الجامعـــة الأردنيـــــة
كليـــــــة الآداب
قسم اللغـــة العربيـــة

المرأة في الأدب النثري في العـراق في العصر العباســي الأول

اعـــداد الـ
ساندة أحمـــد ســـلام

اشـــراف

الأستاذ الدكتور: محمـــود إبراهـــيم

قدّمـت هـذه الرسالـة استكمالا لمتطلبـات درجـة الماجستـير في قســم اللغـة العربيـــة وآدابهـا فـي كليـــة الآداب فـي الجامعة الأردنيـــة

١٩٨٨م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

" ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربّنا ولا تحمل
علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربّنا ولا تحمّلنا
ما لا طاقة لنا به واعف عنّا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا
فانصرنا على القوم الكافرين " .

" سورة البقرة - الآية ٢٨٦ "

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥٤٧
٢٠١٢
٧٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شـــكر و تقديـــر

يسـرّني أن أتقدّم بخالص الشكر وجميل العرفان إلى الاستاذ الدكتـور **محمود إبراهيـم** الذي أشـرف على اعداد هذه الرسـالة ، وقدّم لي من نصحـــه وارشـاده ما أنار لي الطريـق ، وكشـف أمامي أمورا كنـت أجهلهـــا .

كما يسـرّني أن أقدّم شـكري الجزيل للدكتورة عصمة غوشه **والاستاذ الدكتور محمد بركات أبو علي** لتفضّلهما بالموافقة على مناقشـة الرسـالة ، وقراءتهـــا قبـل الطبـع ، وابـداء ملاحظاتهما القيّمة التي انتفعـت بهـــا .

ولا يفوتني أن أقدّم شـكري إلى كل من مدّ لي يد المساعدة لاعـــداد هـذه الرسـالة واخراجهـا في صورتها الأخـــيرة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاهـــــــداء

- إلى والديّ الحبيبين اللذين علّماني حبّ العلم، وغرسا في نفسي الصبر والأمل .
- إلى زوجي الكريم لقاء ما بذله من عون وتشجيع .
- إلى أختي " سوسن " ، وطفلتيها " روان " ، "وسيرين"
- إلى الساعين وراء الحقيقة أهدي هذه الرسالة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

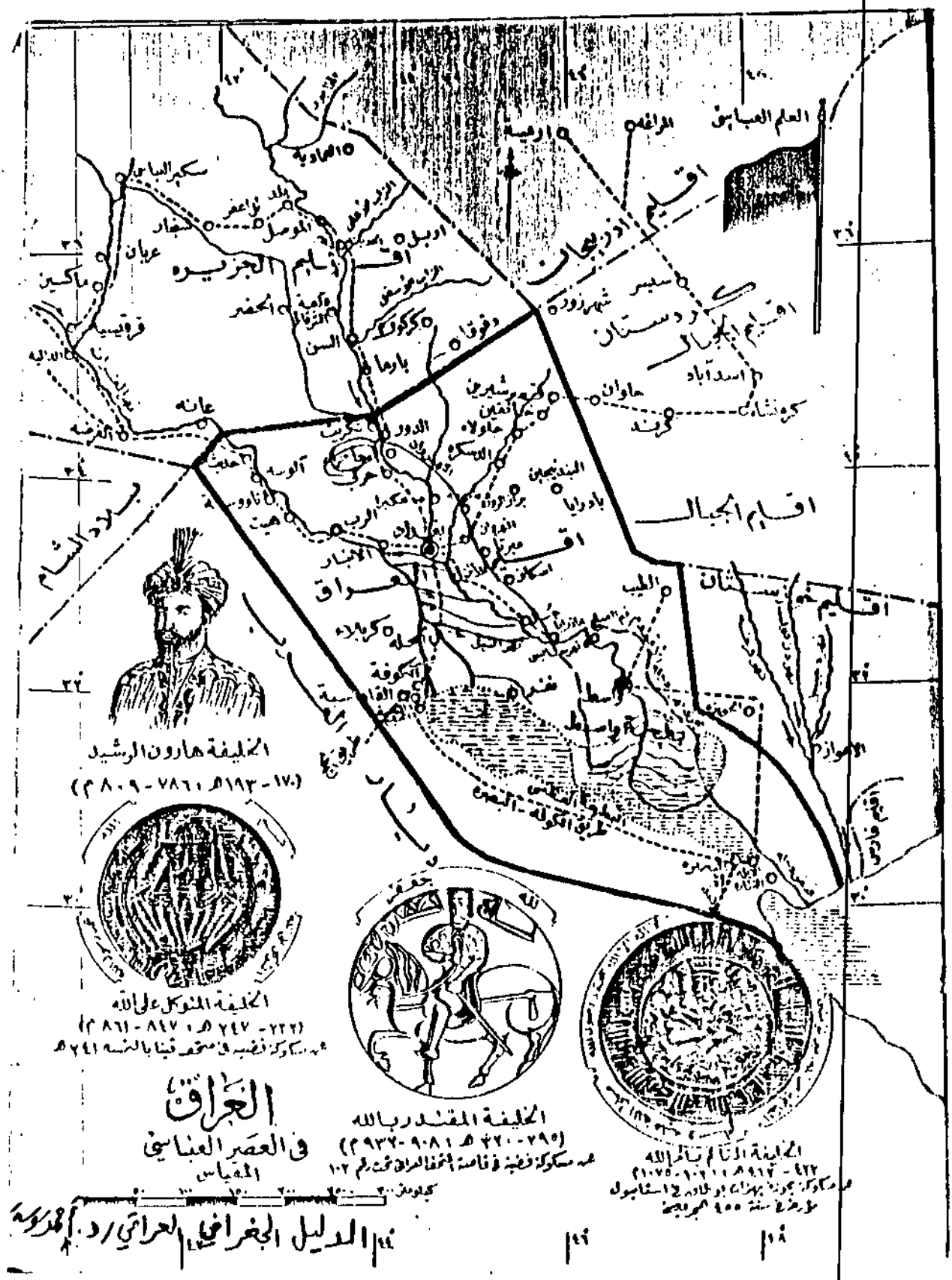

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمـــــــــة :-

الحمد لله الذي أعانني حتى أنجزت عملي هذا آملة أن أكون قـــد وصلت إلى بغيتي ، ولو في إطار الجهد الذى كان في وسعي أن أبذلـــه ، إذ إنه ما من دراسة في أيّما موضوع يمكن أن توصل الدارس إلى الصورة المثلـى لما يريده ويتغيـــه .

تعود صلتي بالعصر العباسي إلى دراستي الجامعية الأولى ، حيث تلقّيت على أيدي أساتذتي محاضرات مفيدة جذّابة عن العصر العباسي ، ممـا دفعني إلى القراءة عن هذا العصر في كتب التراث المختلفة . وقد أحببـت في دراستي هذه أن أسلط الأضواء على المرأة في العراق خلال فترة زمنية محدّدة هي القرن الثاني وحتى منتصف القرن الثالث من العصر العباسي الذى ابتـدأ عام ١٣٢هـ ،وانتهى عام ٦٥٦ هـ ،وهي الفترة التي اصطلح على تسميتهـا بالعصر العباسي الأول . وقد اقتصرت على المرأة العراقية في دراستي هـذه نظرا لاتساع الرقعة الجغرافية التي استظلّت بحكم العباسيين ، ولأن العـراق ضم حاضرة الخلافة مدينة بغداد ،التي كانت مركز علم وثقافة وأدب ،فضـلا عن كونها حاضرة خلافة وحكـم .

وبعد الرجوع إلى كتاب " الدليل الجغرافي العراقي " للدكتور أحمـد سوسة تبيّن لي أن حدود العراق الجغرافية في العصر العباسي كانت تشمـل ما يلـي :-

شرقـا : أقاليم كردستان والجبال وخوزستـان .

شمالا شرقيا : اقليم أذربيجـان .

شمالا وشمالا غربيا : اقليم الجزيـرة .

غربـا : بادية الشـام .

جنوبا غربيـا : جزيرة العـرب.

جنـوبـا : منطقـة الخليج .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واعتمدت في هذه الدراسة على الكتابات النثرية دون غيرها ،وقد تراوحت دراستي في هذه الكتب بين ما كتبه العراقيون عن المرأة في الفترة التي يرتبط بها هذا البحث ،وكذلك ما أسند لهم من أحاديث عن المرأة في كتب الآخرين إضافة إلى ما صدر عن المرأة العراقية من أقوال أو مادة مكتوبة .

وأرى من الواجب عليّ هنا أن أذكر أن السيدة رائدة حسام الدين قد قدّمت عام ١٩٤٦ رسالة ماجستير بجامعة فؤاد الأول في القاهرة ،بعنوان : " أثر المرأة السياسي والاجتماعي في العصر العباسي الأول " . وقد جعلت الباحثة رسالتها في ثلاثة فصول ، تحدثت في الأول منها عن الحياة السياسية والاجتماعية في العصر العباسي الأول ،ثم تحدثت في الفصلين الثاني والثالث عن الجواري وأصلهن وأخلاقهن وأثرهن في حياة الخلفاء ،مرتبة إياهن زمنيا وفقا لتتابع الخلفاء ،وبعد ذلك تحدثت عن خلق الحرائر وأثرهن في السياسة وقد جاءت المعلومات في تلك الرسالة متشابكة متداخلة. أما فيما عدا ذلك - حسبما أعلم - فلم يتعدّ تعرض الكتّاب للمرأة العباسية من خلال حديثهم عن المرأة بشكل عام ككتاب " الجواري المغنيات " لفايد العمروسي" وكتاب " المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها " لعبد الله عفيفي . ونلاحظ أن أصحاب هذه الدراسات لم يتقيّدوا برقعة جغرافية ،ولا بفنّ أدبيّ محدّد .

أما دراستي هذه ،فقد قسّمتها إلى تمهيد وأربعة فصول وخاتمة إضافة إلى الفهارس ، تحدثت في التمهيد عن ملامح المجتمع العباسي ،من النواحي السياسية والاجتماعية والفكرية . أما في الفصل الأول فقد تحدثت عن مفهوم معاصري المرأة العباسيّة عن جمال المرأة الحسّي والمعنوي ،إذ يستبين من خلال ذلك المفهوم ذوق رجال العصر في الجمال الأنثوي ،وقدمت وصفا لجميلات العصر على ألسنة رجاله ،ثم انتقلت إلى الحديث عن اهتمام الرجل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بجمال المرأة المعنوي كما فهمه معاصروها ، ووجدت أنهم اهتموا بذكائها وحركاتها ومواقفها ، وكذلك بثقافتها وفنّها وبيانها ، وقد عرضت مواقف للمرأة نالت بها اعجاب الرجل واطراءه . ثم بيّنت أن المرأة لم تكتفِ بجمالها الطبيعي الحسي منه والمعنوي لتنال به اعجاب الرجل ، بل لجأت كذلك إلى التزين والتجمّل ولذا فقد تحدثت عن أزيائها في التجمّل سواء أكانت حرة أم جارية ، ذلك أن المرأة العباسية برعت في اظهار نفسها في أحسن صورة فزيّنت نفسها بأثمن الجواهر وأحلى الأزهار ، كما قامت باخفاء عيوبها واظهار محاسنها عن طريق التجمّل .

وفي الفصل الثاني تحدثت عن أثر المرأة في الحياة الاجتماعية ، فتتبّعت أصول بعض الجواري وأثرهن في المجتمع العباسي ، سواء أكان إيجابيا أم سلبيًا ، وأوضحت مكانة الجارية عند سيدها ، وأتبعت ذلك الحديث عن مجتمع الحرّة ، فتعرضت لترفها وأثرها في مجتمعها وما قدّمته بعض الحرائر من خدمات جليلة لعامة الناس ، كما فعلت السيدة زبيدة زوجة الرشيد . وقد تناولت في حديثي كذلك كيف كنّ يزجين أوقات فراغهنّ ، وكيف كن يشاركن في المناسبات الاجتماعية ، ثم انتقلت للحديث عن رأي رجال العصر في المرأة بشكل عام ، وأنهيت الفصل بالحديث عن دور المرأة العباسية في السياسة . وقد تبيّن لي من خلاله أنه كان للحرّة دور كبير في مجال سياسة الدولة ، دونه في الغالب دور الجارية .

أما الفصل الثالث ، فقد تحدثت فيه عن حياة المرأة العاطفية ، فتناولت فيه عشق الجواري ، وتحدثت عن تقلبهنّ بين الوفاء والغدر ، وعن تعلق الرجال بهنّ ، وأثرهن على الحياة العاطفية للحرائر ، وانتقلت بعد ذلك إلى الحديث عن الحب الالهي لنساء العصر الزاهدات ، هذا الحب الذي تسامى عن أية رغبة أو منفعة بشرية ، وسما بصاحباته عن نوازع الدنيا ومغرياتها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم انتقلت إلى الحديث عن أدب المرأة ، فتحدثت عن مشاركة الجارية في أدب الفترة ، وقدّمت نماذج من شعرها ونثرها وتحدثت عن مواقف لها أثارت اعجاب بلغاء العصر ، كما تحدثت عن أدب الحرّة ، وقدمت كذلك نماذج من شعرها ونثرها ، وعرضت لأقوالها ، وخصصت صفحات للحديث عن أدب المرأة الزاهدة ، وقد أنهيت الفصل بالحديث عن دور المرأة في الموسيقى ، فبيّنت من خلاله أسهامها الكبير في التلحين ، والغناء ، ومنافستها لكبار ملحني العصر ومغنّيه . ولم يقتصر الاهتمام بالموسيقى والغناء على الجواري وحدهن ، إذ كان للحرائر كذلك مشاركة في هذا المجال ، ومنهن من كن ينتمين إلى بيت الخلافة نفسه .

أما الفصل الرابع فقد كان تقويما أدبيا للنثر الذى اعتمدت عليه في رسالتي ، إذ بيّنت الخصائص الفنية العامة لهذا النثر ، على الرغم من تعدّد من أسهموا فيه في الفترة التي تعني بها هذه الدراسة . وختمت الرسالة بالنتائج التي تمخضت عنها هذه الدراسة مما استطعت استخلاصه من خلال الفصول التي تحتويها هذه الرسالة .

وقد تنوعت المصادر التي اعتمدت عليها في دراستي ، فمنها كتب أدب ، ومنها كتب تاريخ ، وكتب تراجم ، وكتب متنوعة المواد ، وكتب ذات صبغة موسوعية . ومن الطبيعي أن لا تكون هذه المصادر بمستوى واحد من الأهمية والقيمة الأدبية ، فقد نالت مني مؤلفات الأدباء الذين عاشوا في العراق في القرن الثاني الهجرى كمؤلفات عبد الله بن المقفع (١٤٢ هـ) " الأدب الكبير " و" يتيمة السلطان " ، ومؤلفات الأدباء الذين عاشوا في القرن الثالث كمؤلفات عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥ هـ) " الحيوان " ، " المحاسن والأضداد " و"رسالة النساء " ، وغيرها اهتماما خاصا . وتلتها في الأهمية المصادر التي عاش أصحابها في القرن الرابع الهجري ، ككتاب " تاريخ الرسل والملوك " لمحمد بن جرير الطبرى (٣١٠ هـ) ، و " مروج الذهب " لعلي بن الحسين المسعودي (٣٤٦ هـ) ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأغاني " لأبي الفرج الاصفهاني (٣٥٦هـ) ،وقد استعنت أثناء دراستي بمؤلفات لكتّاب غير عراقيين ،ولكني اعتمدت على كل خبر ورد في هذه المؤلفات أسند لعراقي عاش في الفترة التي تنحصر فيها هذه الدراسة . ولقد حوت مادة هؤلاء الاخباريين روايات تصور المجتمع في مختلف نواحيه ،ولعل أهم المصادر التي استقى منها هؤلاء الاخباريون مادتهم كانت المجالس الأدبية التي كانت تضم رجال الأدب ،إذ كانوا يتجاذبون فيها أطراف الحديث في مختلف الموضوعات ،فيذكرون الأخبار والملح والنوادر ، كما كان هؤلاء الرواة ينقلون ما مرّ بهم من تجارب أو ما شاهدوه بأنفسهم أو ما سمعوه من غيرهم ،ومثل هذا التراث القصصي تزدحم به كتب التراث المختلفة كالعقد الفريد واعلام الناس وغيرهما .

وقد رجعت كذلك لعدد من المراجع استأنست بآراء أصحابها أذكر منها على سبيل المثال " العصر العباسي الأول " ،د . شوقي ضيف ،" نساء لهنّ في التاريخ الاسلامي نصيب " د . علي إبراهيم حسن ، " الجواري المغنيات" فايد العمروسي ، " شهيدة العشق الالهي ،رابعة العدوية " عبد الرحمن بدوي

وبعد ، فإن المرأة العباسية الحرّة كانت ذات أثر كبير في مجتمعها . فقد تمتعت بشخصية قويّة استطاعت من خلالها أن تؤثر على من حولها من الرجال ذوي المكانة . وكان من الجواري كذلك من لهنّ أثر ونفوذ في المجتمع العبّاسي ،نظرا لما تميّزت به من ذكاء ،وثقافة ،ومعرفة ،مع أن المصادر والمراجع ركّزت على مجون الجواري وما تركن من آثار سلبية في المجتمع الذى عشن فيه .

أما فيما يتعلق بالصعوبات التي واجهتني ،فهي صعوبات يتعرّض لها معظم الباحثين من تداخل المعلومات وتناقضها أحيانا ،ومن عدم توافر المصادر أحيانا إضافة إلى ظروف شخصية صعبة رافقتني أثناء اعدادي البحث.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأجد قلمي عاجزا عن شكر أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور محمود إبراهيم الذى كان لي مرشدا وهاديا أنار لي الطريق بآرائه وتوجيهاته ، وجنّبني ما أمكن الزلل والعثار . ولا أنسى تشجيعه لي في مواصلة دراستي على الرغم من الظروف الصعبة التي مرّت بي ، فقد وجدت لديه حنو الوالد المربي وتواضع العالم . فأدعو الله العليّ القدير أن يجزيه عنّي كل خير وأن يبقيه ذخرا للعلم وطلابه .

وأحمد الله إن أصبت ، وأعتذر عن كل خطأ وقعت فيه . وما توفيقي الاّ بالله عليه توكلت واليه أنيب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملامح المجتمع العراقي في
العصر العباسي الأول
(١٣٢ - ٢٤٧ هـ)

٣٧٤٤٦٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حاول العباسيون منذ أن تسلّموا الحكم وآلت اليهم الخلافة عام ١٣٢هـ أن يضفوا على خلافتهم صبغة شرعية ، فقالوا إن الخلافة وراثية ،على أساس أن العباسيين هم أبناء عمّ الرسول-عليه السلام- وأولى الناس بخلافته ،في حين أن العلويين هم من نسل فاطمة الزهراء ، وأبناء الرجال أولى بالأرث من أبناء النساء .

ونظرا للدور الفعّال الذى اضطلع به الموالي ،وخاصة الفرس ،في مساعدة العباسيين في دعوتهم ،فقد قوي نفوذهم ،فأصبحت الدولة العباسية،ولا سيّما في عهد الرشيد والمأمون كما يقول صاحب الموشّى :" دولة فارسية يعلوها خليفة عربي . فالفرس هم الذين أوجدوها وأيّدوها ،فكانوا ركن الخلافة ودعامتها ،وولاتها وساساتها وكفاتها وقادتها ،ومشيريها ،ووزراءها ،ومفكّريها وعلماءها ، وكتّابها ،وشعراءها ،فاصطبغت بصبغة فارسيّة "(١)ولكي يزيد خلفاء بني العباس من مهابتهم ،أنشأوا وظيفة الحجابة متأثرين بالفرس ،فلم تعد الرعية ترى الخليفة الاّ بإذن يتم الحصول عليه سلفا .

وأنشأ العباسيون نظام الوزارة ، وهو نظام فارسي لم تعرفه العرب من قبل ، وكان الوزراء من الفرس أيضا ،فكان أول وزير في الدولة العباسية ، أبو سلمة الخلال الملقّب بوزير آل محمد . ومع أن صلاحيات الوزير كانت مطلقة أحيانا ،إلاّ أن ممارسته لها كانت ترتبط بشخصية الخليفة . وكانت أهم هذه الصلاحيات الاشراف على الشؤون المالية . ففي عهد المهدي كان " أبو عبيد الله يضبط أمور المهدي ويشير عليه بالاقتصاد ،وحفظ الأموال ،فلما صرف المهدي أبا عبيد الله عن وزارته ،وقلّدها يعقوب ، زيّن له هواه ، فأنفق المال (٢). وتولّى

---

(١) الموشى أو الظرف والظرفاء ،أبو الطيب محمد بن اسحاق بن يحيى الوشاء ، تحقيق كمال مصطفى ،ط٢ ، ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م ،القاهرة ،ج ٢ ،ص ٧ .

(٢) الوزراء والكتاب ،أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى ،حقّقه ووضع فهارسه ،مصطفى السقا ابراهيم الأبيارى ،عبد الحفيظ شلبي ،ط الأولى ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م ،القاهرة ،ص ١٥٨ - ١٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوزارة في عهد الرشيد البرامكة ،ونالوا من الصلاحيات ما لم ينله أحد ،ولا سيّما جعفر البرمكي . يقول الجهشياري في ذلك :" وغلب جعفر على الرشيد غلبة شديدة ، حتى صار لا يقدّم عليه أحدا ،وأنس به كلّ الأنس ،وأنزله بالخلد ، بالقرب من قصره "(١) . ويمكن القول إن الوزارة في أيام العباسيين كان لها مظهر واختصاصات لم تعرف من قبل وعلى الرغم مما قيل عن تسلّط الموالي في العهد الأول من الحكم العباسي ،إلاّ أنه لا يخفى أن خلفاء بني العباس كانوا في تلك الفترة أقوياء ،وعندما كانوا يشعرون بخطر الموالي ،كانوا يتخلّصون منهم وليس أدلّ على ذلك من قتل السفاح لأبي سلمة الخلّال ،ونكبة البرامكة في عهد الرشيد،والتخلص من الفضل بن سهل زمن المأمون .

وينبغي أن نشير إلى ظاهرة تتكرر في عهد العباسيين ،وهي خلع ولاة العهود ،وتولية ولاة جدد بدلا منهم . فقد " خلع المهدي عيسى بن موسى من ولاية العهد ،واشترى ذلك بعشرة آلاف درهم ،وبايع لابنه موسى الهادي بولاية العهد من بعده ،ثم بايع لابنه هارون بولاية العهد بعد موسى "(٢) . وحين تولّى الهادي ، حاول هو الآخر أن يخلع أخاه الرشيد ويجعل الولاية لابنه جعفر بن موسى ،الاّ أن بعضهم أشار عليه ألاّ يفعل ،في حين كان بعض آخر يقوي عزيمته على خلع الرشيد ،لكن المحاولة لم تفلح ،وبعد وفاة الهادي تولى الرشيد الخلافة (٣) .

ويمتاز عهد الرشيد بما بلغته بغداد من مستوى حضاري راق تحدّثت عنه الأخبار باطناب ،وبايع الرشيد للأمين ثم للمأمون ، ولا يلتفت لما صنع أبوه وجدّه ، ولا بما حاول أخوه الهادي أن يصنعه . ومن المعروف أن الفتنة التي

---

(١) الوزراء والكتاب ، ص ١٨٩ .
(٢) تاريخ اليعقوبي ،أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي ،دار صادر ،بيروت،المجلّد ٢ ،ص ٣٩٥ .
(٣) المصدر نفسه ،ص ٤٠٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حدثت في عهد الأمين لمحاولته أن يخلع أخاه ويأخذ البيعة لابنه قد أدت إلى إراقة الدماء ،وانتهت بأن قتل الأخ أخاه ،ثم يتولّى المأمون الخلافة بعد ذلـــك .

ويتميّز عهد المأمون عن سابقيه باكرامه للعلويّين وانزالهم منازل عالية ،فنرى المأمون يصاهر عليّ بن موسى الرضا ويولّيه عهده ،ثم يأمر بازالة السواد من اللباس والأعلام ،ويظهر بدلا منه الخضرة ،مما أدّى إلى خروج أهل بغداد من العباسيين ومواليهم على المأمون ،وتوليه عمّه إبراهيم بن المهـــدي (١) .

وتضطرب الأحوال أيام إبراهيم بن المهدي ، ما اضّطره الى أن يختفي عندما وصل المأمون إلى بغداد . ويعود المأمون للسواد في اللباس والأعـــلام .

وامتحن المأمون في قضية العدل والتوحيد حين جنح إلى مذهب المعتزلـة وابتلى الناس بذلك في عهده ،وحين خلفه أخوه المعتصم ،قرّب الأتراك وأكثـــر منهم ، وألبس بعضا منهم الديباج والمناطق مميزا إياهم عن جنده (٣) . وكـــان الأتراك يؤذون الضعفاء من الناس بجريهم بالخيول بشوارع بغداد ،وكثيرا مـــا اشتبك معهم الأهالي عندما كانوا يصدمون شيخا أو امرأة أو طفـلا (٤) .

ومن الأحداث البارزة في عهد المعتصم فتح مدينة عمورية ،وهو الفتح الـذى خلّده المؤرخون والشعراء على حدّ سواء ،وعلى رأس هؤلاء الشعراء أبو تمّـام .

أما المتوكل ،فقد قال فيه المسعودي إنه :"لم يكن أحد ممن سلف من خلفاء بني العباس ظهر في مجلسه اللعب والمضاحك والهزل ،مما استفاض في النـــاس تركه ،إلاّ المتوكل ،فانه السابق إلى ذلك والمحدث له ،فلم يكن في وزرائـــه والمتقدّمين من كتابه من يوصف بجود ولا أفضال أو يتعالى عن مجون وطـــرب "(٥). ونراه ينهى الناس عن الكلام بخلق القرآن ويطلق سراح من كان في السجون . وقـــد انتهى أمر المتوكل بأن قتله الأتراك عام ٢٤٧ هـ. فكان تجرّؤ الأتراك على الخلفـــاء على هذه الشاكلة سابقة ذات عواقب خطيرة في تاريخ خلفاء بني العبّـاس .

---

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر ،ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي دار الاندلس للطباعة والنشر ،بيروت ،ج ٣ ،ص ٤٤٠ - ٤٤١ .
(٢) المصدر نفسه ،ج ٣ ، ص ٢٤٤ .
(٣) المصدر نفسه ،ج ٣ ،ص ٤٦٥ .
(٤) المصدر نفسه ،ج ٣ ،ص ٤٦٦ .
(٥) المصدر نفسه ،ج ٤ ،ص ٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان من أهم الآثار التي نشأت عن الفتوحات الاسلامية ، انفتاح المجتمع العربي على مجتمعات جديدة من سريانية وفارسيّة وتركيّة ورومية ، وكان لكل من هذه المجتمعات طابعه الخاص وقد كان هذا الانفتاح على الأجناس الأخرى ظاهراً بصورة خاصة زمن العبّاسيين ، وكان من مظاهره امتلاء القصور والبيوت والمجالس بالجواري من أجناس مختلفة ، ومن الطبيعي أن هؤلاء الجواري قد حملن معهنّ حضارات أقوامهنّ ومواطنهنّ ، وقد أعجب رجال العصر بجمالهنّ ورقّتهنّ ومعارفهنّ ، واتخذوا منهنّ زوجات وسراري ، وكان لهنّ شأن كبير في حياتهم ، بل وفي أمور المجتمع العباسي العامة كذلك .

وفي إطار التمازج الحضاري الواسع الذى عرفه المجتمع العباسي في العراق ، كان للحضارة الفارسية تأثير خاص فيه ، لأسباب لا تخفى ، منها موقع العراق الجغرافي وسيطرة الدولة الفارسية عليه قبل الفتح الاسلامي ، إضافة إلى النفوذ السياسي الكبير الذى كان للفرس في الدولة العباسية في بداية عهدها . وقد تمثّل أثر الحضارة الفارسية في المباني وزخارفها ، وما احتوته منازل العباسيين من أثاث وأدوات ، وكذلك في الاهتمام بالحدائق والزهور . فقد بنى المنصور بغداد على غرار العمارة الفارسية ، وأقام فيها ايوانات وبالغ في ذلك كما يتبيّن من قول الخطيب البغدادي :" وكان في صدر قصر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنصور إيوان طوله ثلاثون ذراعا ،وعرضه عشرون ذراعا ،وفي صدر الإيوان مجلس عشرون ذراعا في عشرين ذراعا ،وسمكه عشرون ذراعا ،وعليه مجلس مثله فوقه القبة الخضراء ثمانين ذراعا ،وعلى رأس القبة تمثال فرس عليه فارس ،وكانت القبّة الخضراء ترى من أطراف بغداد "(١).

ومن مظاهر الترف التي تسترعي الأنظار في هذا العصر ،أن الخليفة العباسي المتوكل أغدق الأموال دونما حساب على أبنيته وحلاّها بالحجارة الكريمة . ففي وصف قصر له قال صاحب الديارات :" وكان البرج من أحسن أبنيته فجعل فيه صورا عظاما من الذهب والفضة، وبركة ظاهرها وباطنها صفائح الفضة وجعل عليها شجرة ذهب فيها كل طائر يصوّت ويصفّر ،مكلّلة بالجوهر ،وسماها " طوبى " . وعمل له سرير من الذهب كبير عليه صورتا سبعين عظيمين ،ودرج عليها صور السباع والنسور وغير ذلك ،وجعل حيطان القصر من داخل وخارج ملبّسة بالفسيفساء والرخام المذهّب ،فبلغت النفقة على هذا القصر ألف ألف وسبعمائة ألف دينار "(٢).

ولم يكن البذخ مقتصرا على دور الخلفاء ،فالمصادر تشير إلى أن الوزراء وكبار رجال الدولة كانوا يبالغون أيضا في الانفاق على أبنيتهم وتزيين قصورهم ويبدو أن امتلاء الخزائن بالأموال كان من أهم الأسباب التي أدت إلى مثل هذا البذخ .

---

(١) تاريخ بغداد ،الخطيب البغدادي ،ط الأولى ،١٣٤٩هـ/١٩٣١م ، مكتبة الخانجي ،القاهرة ، والمكتبة العربية ،بغداد ج ١٠ ،ص ٧٣ .

(٢) الديارات ،أبو الحسن علي بن محمد المعروف بالشابشتي ،تحقيق كوركيس عواد ، ط ٢ ،١٣٨٦هـ/١٩٦٦م ،مطبعة المعارف ،بغداد ص ١٦٠ - ١٦١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد عرف عن الخليفة المهدي اسرافه الشديد ، وكان بعض وزرائه ينصحونه بالتخفيف من حدّة هذا الاسراف ،لكنه لم يكن يلتفت لذلك (١).

ويتّضح الاسراف والتبذير في الصلات التي كانت تمنح للمغنين والشعراء ولم يكن هذا الأمر مقتصرا على الخلفاء ،بل نجد أن الوزراء وكبار رجال الدولة كانوا يحذون حذو الخلفاء كذلك . فهذا الفضل بن يحيى البرمكي يصل أحدهم بأربعة آلاف درهم لزوجته و أخرى ثمنا لمنزل يسكنه ،وأخرى للنفقة على وليمة(٢)، ويقضي يحيى بن خالد دينا كان على عبد الله بن سوار ميمون مقداره ثلاث مئة ألف درهم (٣) .

ومن مظاهر تأثر المجتمع العباسي بالحضارة الفارسية ،تطور الأزياء العباسية وتأثرها تأثرا واضحا بالأزياء الفارسية ،فقد ارتدى العباسيون القلنسوة ،وهي من الأزياء الفارسية ، وكان من عادة ملوك الفرس إذا ارتدوا زيّا معيّنا ،لا يرتديه بحضرتهم أحد . وقد انتقل هذا النظام إلى العباسيين. فهذا الفضل بن سهل يوصي أبا حسان الزيادي بأن لا يعتم بالقلنسوة إذا جاء إلى قصر الخلافة ، لأن الخليفة يعتم بها (٤) .

وقد تنوّعت الأزياء تنوعا يوحي بتباين طبقات المجتمع ،فأصبحت كل طبقة تتميز بزيٍ معيّن ،يقول الجاحظ " لكل قوم زي ،فللقضاة زيّ ،ولأصحاب القضاة زيّ ،وللشّرط زيّ ،وللكتّاب زي ،ولكتّاب الجند زيّ "،(٥) وكانّ لكل فئة من فئات المجتمع عمّة مختلفة عن الأخرى" (٦) . وكان الشعراء يلبسون

---

(١) الوزراء والكتاب ،ص ١٥٩ .
(٢) المصدر نفسه ،ص ١٩٥ .
(٣) المصدر نفسه ص ١٩٨ - ١٩٩ .
(٤) التاج في أخلاق الملوك ،أبو عثمان ،عمرو بن بحر الجاحظ ،تحقيق أحمد زكي باشا ،ط الأولى ،١٣٣٢هـ/١٩١٤م ،القاهرة ،ص ٤٨ - ٤٩ .
(٥) البيان والتبيين ،أبو عثمان ،عمرو بن بحر الجاحظ ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان ،ج ٣ ،ص ٦٠ .
(٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوشيّ والمقطعات والأردية السود . وكان ينبغي على كل من يدخل على الخليفة أن يرتدي لباسا خاصا يليق بهيبة السلطان ،كل حسب مكانته . وبالمثل ،فان الخلفاء كانوا يلبسون زيّا خاصا في الشتاء ،وزيّا آخر في الصيف. ومن الخلفاء من اهتم بالأردية المورّدة ،فالمتوكل كان يرتديها أيام الورد ويملأ مجلسه بالورد ،ويطيب جميع الأدوات بها .

وبالغ العباسيون بارتداء الحرائر والألبسة الموشّاة بالذهب والفضة والمرصّعة بالأحجار الكريمة . فقد تضمنت الهدايا التي أرسلها المعتصم الى الأفشين ،" درّاعة من الديباج الأحمر منسوجة بالذهب،قد رصّع صدرها بأنواع الياقوت والجوهر ،ودرّاعة دونها ،وقلنسوة عظيمة كالبرنس ،وقد نظم على القلنسوة كثير من اللؤلؤ والجوهر " (١) .

ويتجلّى ولع العباسيات بالجواهر في الأزياء الجميلة التي ارتدتها أم سلمة زوج السفاح ،وزبيدة زوج الرشيد ، وبوران زوج المأمون ،حيث كللت كل واحدة منهنّ بأبهى المجوهرات وارتدين أجمل الثياب المرصّعة بالأحجار الكريمة .

وتبدو مبالغة الطبقة الراقية في التأنق بملابسها من الرواية التي أوردها الجهشياري على لسان الجاحظ ،وتتلخص في منح جعفر البرمكي مطرف خز لأبي قابوس النصراني في يوم بارد ، وعندما حضر عيد النصارى ،لم يجد أبو قابوس ما يناسب هذا المطرف من ثيابه ،فكتب إلى جعفر البرمكي أبياتا من أجل أن يمنحه ثيابا تناسب المطرف ،فقال :-

أبا الفَضْلِ لو أبصرتنا يَوْمَ عِيدِنا ... رأيت مباهاةً لنا في الكنائسِ
فلو كان هذا المُطرَفُ الخزّ جُبّةً ... لباهيتُ أصحابي به في المجالسِ
فلا بُدّ لي من جُبّةٍ من جبابِكم ... ومن طيلسانٍ من جياد الطيالسِ

---

(١) مروج الذهب ، ج ٣ ،ص ٤٦٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن ثوب قوهي(١) وثوب غلالةٍ ولا بأس لو اتبعْتَ ذاك بخامسِ

فيوجّه له جعفر من كل صنف ذكره عشر قطع (٢) .

ومن مظاهر التطور الحضاري الذى تعرض له المجتمع نتيجة احتكاكه بالأمم الأخرى ،التأنق في اعداد الطعام وتنويعه . وقد اهتم بذلك الأغنياء وحرصوا عليه ،وتنوعت الأطعمة وفقا للأمم التي تأثر بها المجتمع. يقول الجاحظ في البخلاء :" سئل بعضهم عن حظوظ البلدان من الطعام ،وما قسم لكل قوم منه فقال : ذهبت الروم بالحشو والحسو ،وذهبت فارس بالبارد والحلو "(٣) .

وهذا نسمع بالأطعمة الفارسية على موائد العباسيين ،كالسكباج(٤) والفالوذج (٥) والطباهج (٦) . فها هو المتوكل يثني على أكلة سكباج أكلها فيقول :" ما أكلت أحسن من سكباج أصحاب السفينة "(٧) . وقيل إن الرشيد سأل أبا الحرث عن الفالوذج واللوزينج (٨) ؟ فأجابه إنه لا يستطيع أن يحكم لأحدهما على الآخر (٩) .

وقد بالغ العباسيون في تنويع الطعام على موائدهم . يصف أحدهم الطعام المقدّم على مائدة اسحاق بن إبراهيم فيقول :" كنت أعدّ على مائدته

---

(١) قوهي : ضرب من الثياب بيض ،انظر :تاج اللغة وصحاح العربية ،اسماعيل ابن حماد الجوهرى ،تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ،ط٢ ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ،دار العلم للملايين ،بيروت ،مادة قيه .

(٢) الوزراء والكتّاب ، ص ٢١٠ .

(٣) البخلاء ، ص ١٧٩ .

(٤) السكباج : لحم يطبخ بخل ، انظر :لسان العرب ،مادة سكبج .

(٥) الفالوذج :طعام يصنع من دقيق القمح والعسل والسمن . انظر : المستطرف ،ج ١ ،ص ١٧٧ .

(٦) الطباهج : الطباهجة ،فارسي معرّب، ضرب من قلي اللحم .انظر: لسان العرب ،مادة طبهج .

(٧) مروج الذهب ،ج ٤ ، ص ١٧ .

(٨) اللوزينج :من الحلواء يشبه القطائف يؤدم بدهن اللوز .انظر :البستان ، عبد الله البستاني اللبناني ، ١٩٣٠ ،بيروت ،مادة لوز .

(٩) المستطرف في كل فن مستظرف وبهامشه كتاب ثمرات الأوراق ،شهاب الدين أحمد الأبشيهي ،ط الأخيرة ، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م ،دار احياء التراث العربي ،بيروت /لبنان ،ج ١ ، ص ١٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثلاثين طائرا . فأما الحلو والحامض والحار والقارّ فأكثر من أن أحصيه (١) وقيل إنه وضع على مائدة المأمون في يوم عيد ما يزيد على الثلاثين لونا من الطعام، وكان يتحدّث عن ضرر ونفع كل نوع (٢) .

وأطلقوا على الطعام الذى يقدم في المناسبات المختلفة أسماء مختلفة فقد جعلوا " الأملاك والأعراس ،والسبوع والختان وليمة ، والعرس معروف ، أما الخُرس فالطعام الذى يتخذ صبيحة الولادة للرجال والنساء ،وزعموا أن أصل ذلك مأخوذ من الخرسة ،والخرسة طعام النفساء "(٣) ." ومن طعامهم الوكيرة ،وهو طعام البناء ،والعقيقة دعوة على لحم الكبش الذى يعق عن الصبيّ " (٤) . ويبدو أنهم لم يكونوا يفضّلون كثرة الخبز على الموائد لأنه يورث في النفس الصدود (٥) .

ومن مظاهر البذخ والثراء ،أن كانت الطبقة الراقية تستخدم الأواني من الفضة والأحجار الكريمة . يصف أحدهم صينيّة للحسن بن وهب فيقول : إنها مفصلة بالفصوص بألوان مختلفة ، فصل العقد ،فجعل بين كل خرزتين جوهرة مخالفة لهما مكتوب عليها شعر (٦) .

أما الشراب ،فقد شرب بعضهم الخمر وبالغوا في ذلك متأثرين بالأمم التي اختلطوا بها . وارتبط الشراب بالغناء ،فكان الندماء يشربون الخمر وبين أيديهم القنيات يصدحن بأعذب الألحان . وقد كان لمجالس الخمر والغناء

---

(١) التاج ، ص ١٣ .
(٢) البخلاء ،أبو عثمان ، عمرو بن بحر الجاحظ ،حقق نصّه وعلق عليه ، طه الحاجرى ،١٩٦٣ ،دار المعارف ،مصر ،ص ٢١٣ .
(٣) المصدر نفسه ،والصفحة نفسها .
(٤) المصدر نفسه ،ص ٢١٥ .
(٥) المصدر نفسه ،ص ٩٤ - ٩٥ .
(٦) الموشّى ،ج ٢ ،ص ٢٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طابع خاص ،فقد كان الندماء يتضمخون بالعطر ،ويرتدون أحلى الثيـــاب، ويتناولون أفخر الأطعمة . يصف أحدهم مجلس جعفر البرمكي فيقول : خلعـــت علينا ثياب المنادمة ، وضمخنا بالخلوق ،ومدت الستائر وغنت القينات " (١) . ويصف إبراهيم بن المهدي مجلسا آخر لجعفر فيقول :" تضمخ جعفر بالخلوق ولبس الحرير وفعل بنا مثل ما فعل بنفســـه " (٢) .

ومن أبرز مظاهر تأثر المجتمع العباسي بالحضارة الفارسية ،احتفـــال العباسيين بالأعياد الفارسية كالنيروز (٣) والمهرجان (٤) وجلوس الخلفـــاء لتقبل الهدايا النفيسة بهذه المناسبات. فقد أهدى رجل إلى المتوكل قـــارورة ذهب ،واعتذر عن بساطة هذه الهدية بكلمات أرفقت معها (٥) . ويقـــول أبو عبد الله بن حمدون : كنا عند المتوكل في يوم نوروز ،والهدايا تعرض عليه ، وفيها تماثيل من عنبر ،وكان شفيع الخادم واقفا وعليه أقبية موردة ،ورداء مورّد (٦)

ومن الأيام التي كان يحتفل بها الفرس ،واحتفل بها العباسيـــون كذلك "شاذكلاه" * ،ونرى أن المتوكل يحيي هذا اليوم في غير موعده ،فيلـــون الدراهم بدلا من الورد ،ويطلب من الحواشي والخدم أن يرتدوا أردية ملونـــة متباينة ،نثرها فوق قبة في يوم تحركت فيه الريـــح (٧) .

---

(١) المستظرف ،ج ٢ ،ص ١٧٤ .
(٢) الوزراء والكتاب ،ص ٢١٢ .
(٣) النيروز : اذن بدخول فصل الحر الا أن فيه أحوالا ليست في المهرجان فمنها استقبال السنة وافتتاح الخراج وتولية العمال والاستبدال ،وضرب الدراهم والدنانير وتزكية بيوت النيران وتقريب القربان الخ .انظر :التاج ص ١٤٦ .
(٤) المهرجان : دخول الشتاء وفصل البرد .انظر :المصدر نفسه ،والصفحة نفسها .
(٥) المستظرف ،ج ٢ ،ص ٦١ .
(٦) الديارات ،ص ٥٧ .
* الشاذكلاه : يقال فيها الشاذكلي .لفظة فارسية ،تتألف من (شاذ ، الفرح ،وذكل ،ورد ،ولاه ،عظيم ، فيكون معناها يوم الفرح العظيم بالورد وعربيتها النثار ،وكانت الشاذكلاه لفظة معروفة في العصر العباسي ،انظر الديارات ،ص ١٦٠ .
(٧) المصدر نفسه ،والصفحة نفسها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان العباسيون يمارسون ألوانا مختلفة من الألعاب والرياضات في أوقات فراغهم ، ويبدو أنه كان أهمها النرد والشطرنج ، والصيد ، وسباق الخيل ، وكان الخلفاء على رأس من يمارسون هذه الألعاب .

وعلى الرغم من تبدل أحوال الفرس وارتفاع أمرهم في عهد العباسيين، إلاّ أن كثيرين منهم أظهر الاسلام وأخفى دين المجوسية في أعماقه ، فانتشرت الزندقة في المجتمع . وعلى الرغم من تعدد معاني هذه الكلمة ، الاّ أن الجنوح إلى المجوسية هو أبرز معنى لها . ولقد كافح الخلفاء العباسيون الزندقة ولا سيّما الخليفة المهدي : " الذى ألحّ في طلب الزنادقة وقتلهم ، حتى قتل خلقا كثيرا " (١) .

على أنه يجب القول إن أحوال الناس في المجتمع العباسي العراقي في هذه الفترة كانت متباينة ، فما كانوا كلهم أغنياء لاهين ، وقد شكا كثير من الناس من الفقر الشديد ، حتى إن نفرا منهم اعترضوا موكب الخليفة شاكين فقرهم ، أو اقتحموا قصورهم طالبين العون . وقد شكت إحدى النساء في عهد الرشيد ضيق الحال ، وأنها لا تستطيع أن تشترى لأولادها ثيابا جديدة أسوة بأترابهم . وتقول هذه المرأة : " أما نحن في أنفسنا ، فنصبر على البؤس والشدة ، وأما صبياننا هؤلاء ، فقد قطّعوا قلبي رحمة لهم ، لأنهم يرون صبيان الجيران قد تزينوا في عيدهم وأصلحوا ثيابهم، وهم على هذه الحال من الثياب الرثّة " (٢) .

وهذا رجل يشكو حاله للمأمون فيقول : " لم تبق لي ضيعة الاّ خربت ، ولا منزل الاّ تهدّم ، ولا مال الاّ ذهب ، وقد أصبحت لا أملك سيدا ولا لبدا ، وعليّ دين كثير ، ولي عيال وأطفال وصبية صغار ، وأنا شيخ كبير قد قعدت بي المطالب وكبرت عني المكاسب ، وبي حاجة إلى نظر أمير المؤمنين وعطفه " (٣) .

---

(١) اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٤٠٠ .
(٢) مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٤٤٦ - ٤٤٧ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٢٨ - ٤٢٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويصف المسعودي منزل أحد الفقراء في عهد المتوكل فيقول: " إنه لم يكن يملك بساطا ، وكان يفترش الحصا والرمل ، ولا يملك سوى مدرعة من شعر وملحفة صوف ، وعليه أربعة آلاف دينار دين " (١).

وليس أدل على الهوة السحيقة التي كانت تفصل بين طبقات المجتمع العباسي من قول أحدهم لمحمد بن سليمان في عهد الرشيد " يا محمد ، أمن العدل أن تكون نحلتك في كل يوم مائة ألف درهم ، وأنا أطلب نصف درهم فلا أقدر عليه ؟! " (٢).

وتشير المصادر إلى وجود طبقة متوسطة بين هاتين الطبقتين ، هي طبقة التجار والصناع والزراع . أما طبقة الأطباء والعلماء والشعراء ، فكانوا يعيشون في بحبوحة من العيش لما كان يغدقه عليهم الخلفاء والوزراء والقواد من الأموال والهدايا النفيسة .

ولا نستطيع أن نختم الحديث عن المجتمع العباسي قبل أن نشير إلى طبقة الزهاد والوعاظ التي كرهت الترف والبذخ وما ساد المجتمع من مجون ولهو وشراب وطرب ، فانبرت تقدم الوعظ والنصح والارشاد للخلفاء. وقد ذكر الجاحظ عددا من هؤلاء الزهاد ، فقال: " وكان من النساك ممن أدركناه أبو الوليد وهو الحكم الكندي ، ومحمد بن محمد الحمراني " (٣). ومن هؤلاء عمرو ابن عبيد الذي دخل على المنصور فوعظه موعظة طويلة أثّرت في المنصور فأبكته (٤). ومنهم صالح بن عبد الجليل الذي دخل على المهدي فوعظه وذكّره بسيرة العمرين ، فأبكاه طويلا (٥).

---

(١) مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ١١ - ١٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٣٣٧ - ٣٣٨ .
(٣) البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ١٩٥ .
(٤) الوزراء والكتّاب ، ص ١١٦ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٤٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن التغيرات التي طرأت على الحياة في المجتمع العراقي في العصر الذى يرتبط بهذه الدراسة ، لم تكن بمنأى عن عقل الانسان وتفكيره ، لأن هذه التطورات تركت أثرها في حياة المجتمع الثقافية والفكرية ، وقد أدى امتزاج الأجناس والحضارات والثقافات إلى تسرب معارف جديدة إلى هذا المجتمع حتى قبل أن تنشط حركة الترجمة ، إذ وجد العرب أنفسهم أمام أمور كثيرة جاءت بها الحضارات الأخرى وجاءت معها بأسمائها الجديدة على اللغة العربية وقد استوعبت العربية هذه التسميات ، ثم استطاعت بعد ذلك أن تفرض نفسها على غير العرب من الأعاجم ، فأقبل هؤلاء عليها يتعلمونها ويكتبون بها ، بل ويؤلفون في قواعدها وضوابطها .

وحين نشطت حركة الترجمة من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية وجدت في خلفاء بني العباس، وكذلك في المتنفذين في الدولة من الأعاجم من أمثال البرامكة وسهل بن هارون وغيرهم ، تشجيعا كبيرا ، مما عمل على إغناء اللغة العربية واستيعابها أنماطا من العلوم والمعارف لم يكن لها به عهد فضلا عن الثراء الذى اكتسبته اللغة في تعبيراتها نتيجة لاحتكاكها مع لغات أخرى . وفي اطار حركة الترجمة النشطة هذه ، ترجمت كتب في علوم الطب والفلسفة والفلك والنجوم وغيرها . فالخليفة المنصور أمر بترجمة كتاب في حركات النجوم جاء به أحد هم من الهند ية إلى العربية ، فتولّى محمد بن إبراهيم الفزارى مهمة الترجمة ، وأخرج كتابا يسميه المنجّمون " السند هند الكبير " (١) .

وهذا ابن المقفع يقوم بترجمة كتب أرسطو طاليس المنطقية الثلاثة وهي : كتاب قاطيغورياس ، وكتاب باري أمينياس وكتاب أنا لوطيقا ، وقد صاغ ترجمته بعبارة سهلة قريبة إلى الافهام . وترجم كذلك عن الفارسية الكتاب الهندي

---

(١) أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، جمال الدين أبي الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف القفطي ، ط الأولى ، ١٣٢٦هـ/ مصر ، ص ١٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعروف باسم " كليلة ودمنة " والجدير بالذكر أنه كان أول من اعتنى في الملة الاسلامية بترجمة الكتب المنطقية (١) . وقد كانت الفرس نقلت في القديم شيئا من كتب المنطق والطب إلى اللغة الفارسية ،فنقل ذلك إلى العربية ابن المقفع وغيره "(٢) . ومن الأسماء التي اشتهرت بالترجمة أيضا في عهد المنصور ،ابن البطريق وابنه أبو زكرياء يحيى بن البطريق ،وحنين بن اسحاق الذى نقل للمنصور بعض كتب أبقراط وجالينوس في الطب .

وتنشط حركة الترجمة في عهد الرشيد ،لوقوع عدد من المدن الرومية في أيدي العباسيين ،فيأمر بترجمة الكتب التي وجدت فيها . وقد كان كذلك لتشجيع البرامكة للترجمة أثر في ازدهارها والاقبال عليها . فقد ذكر عن عمر بن الفرخان أبي حفص الطبري أحد رؤساء التراجمة والمتحققين لعلم حركات النجوم وأحكامها ،أنه " كان منقطعا إلى يحيى بن خالد بن برمك "(٣). وكان الفضل بن نوبخت ،أبو سهل ،وهو فارسيّ الأصل ،ينقل زمن الرشيد من الفارسية إلى العربية ، ومن كتب الحكمة ، بعد أن ولاّه الخليفة العباسي الرشيد مهمة الاشراف على خزانة الحكمة " (٤) .

وفي عهد المأمون نشطت حركة الترجمة ،إذ كان يرسل البعوث إلى بلاد الروم لاحضار الكتب في العلوم المختلفة لترجمتها ،وقد ذكر ذلك ابن النديم إذ قال :" فإن المأمون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات ،وقد استظهر عليه المأمون ،فكتب إلى ملك الروم يسأله الإذن في إنفاذ عدد مختار من العلوم القديمة المخزونة المدّخرة ببلد الروم ،فأجاب إلى ذلك بعد امتناع ،فأخرج المأمون لذلك جماعة ، منهم الحجاج بن مطر ، وابن البطريق ،وسلما (٥)

(١) اخبار الحكماء ، ص ١٤٨ .
(٢) الفهرست ،ابن النديم ، دار المعرفة للطباعة والنشر ،بيروت ،لبنان ، ص ٣٣٧ .
(٣) أخبار الحكماء ،ص ١٦١ .
(٤) المصدر نفسه ،ص ١٦٨ - ١٦٩ .
(٥) هكذا في الأصل ، والأصح سلم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صاحب بيت الحكمة ، وغيرهم ، فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا ، فلما حملوه إليه ، أمرهم بنقله ، فنقل " (١) .

ولم يقتصر الاهتمام بالترجمة على الخلفاء والوزراء وحدهم ، إذ أن من الأفراد من أسهم بماله في عملية الترجمة ، ومن هؤلاء محمد وأحمد والحسن أبناء شاكر الذين أنفقوا الأموال الطائلة في سبيل الحصول على الكتب القديمة ، وقد أرسلوا البعوث أيضا إلى بلاد الروم من أجل الحصول على نفائس الكتب . ومن آثار أبناء شاكر هؤلاء ، مؤلفات في الهندسة والموسيقى والنجوم والفلك " (٢) .

ويلمع اسم الخوارزمي محمد بن موسى الذى كان منقطعا إلى خزانة الحكمة في عهد المأمون . وتبع حركة الترجمة النزدهرة في عهد المأمون قيام عدد من المسلمين بدراسة الكتب المترجمة وشرحها والتعليق عليها ، ونخص بالذكر من هؤلاء يعقوب بن اسحاق الكندي الذى نبغ في علوم كثيرة ، أبرزها المنطق والفلسفة والهندسة والحساب والموسيقى ، وله مؤلفات مختلفة في علوم شتّى عدا التي ذكرت " (٣) . وقام عمر بن الفرخان الطبري بترجمة عدد من الكتب للمأمون كما ألف له كتبا كثيرة في علم النجوم وغيره من علوم الفلسفة ، ومن هذه كتاب تفسير المقالات الأربع لبطليموس من نقل يحيى بن البطريق (٤) .

وفي عهد المتوكل ، قام حنين بن اسحاق بترجمة عدة كتب من اليونانية ، كما قام بتوضيح معاني كتب أبقراط وجالينوس ، ولخّصها أحسن تلخيص ، وأوضح ما استغلق منها ، وله مؤلفات رائعة في المنطق وفي الأدوية المسهلة والأغذية لم يسبقه اليها أحد (٥) .

---

(١) الفهرست ، ص ٣٣٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٧٨ - ٣٧٩ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٨٣ .
(٤) أخبار الحكماء ، ص ١٦٢ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١١٧ - ١١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم تكن عمليه التأليف بالأمر الهين ، إذ كان على المؤلف أن يتحرّى الدقّة فيما يكتب ،لأنه كان يكتب في عصر ازدهرت فيه الحركة العلمية ،وكثر فيه العلماء والباحثون ،والنقّاد . وقد أوضح الجاحظ ذلك في كتابه" الحيوان" حين قال :" وينبغي لمن كتب كتابا ألاّ يكتبه إلاّ على أن الناس كلّهم له أعداء ،وكلّهم عالم بالأمور ،وكلّهم متفرغ له ،ثم لا يرضى بذلك حتى يودع كتابه غفلا ولا يرضى بالرأي الفطير ،فإن لابتداء الكتاب فتنة ، وعجبا ،فإن سكنت الطبيعة ،وهدأت الحركة ،وتراجعت الأخلاط ،وعادت النفس وافرة ،أعاد النظر فيه ،فيتوقف عند فصوله توقف من يكون وزن طبعه في السلامة ،أنقص من وزن خوفه من العيب" (١) . ويصف الجاحظ عصره بأنه عصر هبّت فيه ريح العلماء وكسد العي والجهل ،وقامت سوق البيان والعلم ، وقد تحدث عما كان شائعا في عصره من أدوات علمية تعين العلماء في اعداد بحوثهم وتصانيفهم ومؤلفاتهم ،فقال :" وكل شيء من الصناعات والآفاق والآلات ،فهي موجودات في هذه الكتب دون الأسفار ،وها هنا كتب هي بيننا وبينكم ، مثل كتاب اقليدس ،ومثل كتاب جالينوس ، ومثل المجسطي ،وكتب كثيرة لا تحصى فيها بلاغ للناس ،وإن كانت مختلفة ومنقوصة مظلومة ،فالباقي كاف شاف ، والغائب منها كان تكميلا لتسلط الطبائع الكاملة "(٢) .

ويعدد الجاحظ ألوانا من العلوم التي عرفت في عصره ،فيذكر منها " الحساب ،والطب ،والمنطق ،والهندسة ،ومعرفة اللحون ،والفلاحة ،والتجارة وأبواب الأصباغ والعطر والأطعمة والآلات ،والاصطرلابات ،وآلات معرفة الساعات وصناعة الزجاج والفسيفساء والزنجفور ،واللازورد ،والأشربة (٣) .

---

(١) الحيوان ، أبو عثمان ،عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ،مصر ،ج ١ ،ص ٨٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٨٠ .

(٣) الحيوان ،ج ١ ،ص ٨٠ - ٨١ ، الزنجفور : صبغ معروف ،يتخذ من الزئبق والكبريت ،يجمعان في قوارير ويوقد عليهما فيصيرا زنجفرا . المصدر نفسه والصفحة نفسها . اللازورد : جمر فيه عيون براقة يتخذ منها خرز. المصدر نفسه ،والصفحة نفسها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن مظاهر تقدم الحركة العلمية في العهد العباسي ،الاهتمام بالتعليم على المستويين العام والخاص . ويفهم من الجاحظ أن المعلمين كانوا على ضربين : رجال ترفّعوا عن تعليم أولاد الخاصة ، واتجهوا لتعليم أولاد الخلفاء المرشحين للخلافة ،وقد ذكر منهم علي بن حمزة الكسائي ومحمد ابن المستنير . وآخرين ترفّعوا عن تعليم أولاد العامة واتّجهوا لتعليم أولاد الخاصّة (١) .

ولقد كان المعلمون على درجة كبيرة من الثقافة والعلم ،ففيهم الفقهاء والشعراء والخطباء . فالجاحظ يطري ثقافة أبي الوزير وأبي عدنان المعلمين بقوله :" وما كان عندنا بالبصرة رجلان أدرى بصنوف العلم ولا أحسن بيانا منهما "(٢) . وكان معلّمو أبناء الخاصة يتقاضون أجورا عالية ،اضافة للصلات التي كانت تصلهم ، وقد وجد معلمون يقومون برعاية أبناء الطبقة المتوسطة . وكان الناس في العادة يبدأون بتعليم أولادهم في الكتاتيب مقابل أجور زهيدة ، وكان الأولاد يتعلمون فيها القرآن الكريم وبعض الأشعار والأمثال والحساب .

وكانت المساجد تقوم بدور التعليم إضافة الى دورها في العبادة ، وقد أسهمت في تنشيط الحركة العلمية ،إذ كان الطلبة يتحلقون فيها حول أساتذتهم لتلقّي العلوم . ومن العلماء من كان متخصصا بلون من ألوان المعرفة ،إذ تجد في المسجد الواحد عددا كبيرا من الحلقات ،يتحدث شيخ كل حلقة بلون خاص من الحديث . ومن الشيوخ من كان موسوعة ، له باع في أنواع العلوم المختلفة المعروفة في عصره .

ولعل اهتمام الخلفاء بالعلماء قد زاد في إقبال العلماء على العلم ، فقد كان الخلفاء يجالسون من يلمع اسمه منهم ،ويغدقون عليه الأموال الطائلة .

---

(١) البيان والتبيين ،ج ١ ، ص ١٤٠ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٤١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعل في قول الأصمعي ما يدل على ذلك ،إذ يقول :" وصلت بالعلم ،ووصلت بالملح "(١) . وكان مجلس الخليفة مسرحا للمناظرات والمساجلات التي كانت تجرى بين العلماء ،وكان من الخلفاء من يشارك فيها . يقول يحيى بن أكثم عن المأمون إنه :" كان يناظر العلماء أحسن مناظرة بعيدا عن التجبر ، فلا يزال هو وهم على هذه الحال حتى زوال الشمس "(٢) .

" وكان الواثق بالله محبّا للنظر ،مبغضا للتقليد وأهله ، محبّا للاشراف على علوم الناس ورائهم ممن تقدم وتأخر من الفلاسفة وغيرهم من الشرعيين .فحضرهم ذات يوم جماعة من الفلاسفة ،فجرى بحضرته أنواع من علومهم في الطبيعيات وما بعد ذلك من الالهيات "(٣) .

والاهتمام بالعلم لم يقتصر على الخلفاء وحدهم ،بل إننا نرى كبار رجال الدولة يهتمون به كذلك ،فهذا أبو أيوب المورياني وزير المنصور يقول إنه نظر في مختلف العلوم في الكيمياء والطب والنجوم والحساب والسحر(٤) ويقول الرشيد يوم وفاة يحيى البرمكي : " اليوم مات أعقل الناس وأكملهم "(٥).

ونرى جعفر البرمكي يدفع لأبان بن عبد الحميد اللاحقي مئة ألف درهم مقابل أن ينظم له كتاب " كليلة ودمنة " شعرا . وفي رواية أخرى إن يحيى ابن خالد أحب أن يحفظ كتاب " كليلة ودمنة " ،فصنعه له أبان شعرا ليسهل عليه حفظه (٦) .

---

(١) البيان والتبيين ،ج ١ ،ص ١١٢ .
(٢) مروج الذهب ،ج ٣ ،ص ٤٣٢ .
(٣) المصدر نفسه ،ج ٣ ،ص ٤٨٩ .
(٤) الوزراء والكتّاب ، ص ٩٧ .
(٥) المصدر نفسه ،ص ٢٦١ .
(٦) المصدر نفسه ،ص ٢١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وشاعت المكتبات العامة والخاصة التي حرص على اقتنائها الأغنياء والمترفون من أفراد المجتمع . فمكتبة يحيى بن خالد البرمكي كانت تحتوى على ثلاث نسخ من كل كتاب موجود فيها . ويصف الجاحظ اسحاق بن سليمان في مكتبته ،فيقول :" دخلت عليه ووجدت حوله الأسفاط والدفاتر والأوراق والمحابر فما رأيت أهيب منه في ذلك اليوم ،لجمعه بين السؤدد والحكمة (١) .وكانت دكاكين الوراقين المنهل الذى يستقي منه أبناء العامة الثقافة والمعرفة ، وكان عامة الناس يستأجرون الكتب منها ،وليس أدل على شغف بعض الأفراد بالقراءة ، من أن الجاحظ كما قيل ،كان يكتري دكاكين الورّاقين ليبيت فيها ويقرأ من ألوان الكتب ما شاء ، ومن أن الكتب كانت السبب في وفاته ،إذ قيل إنها وقعت عليه وهو مسنّ مريض فقضت عليه .

وتعتبر حركة التأليف النشطة والتي أغنت المكتبة العربية بنفائس المؤلفات من أهم مظاهر ازدهار الحركة العلمية في العصر العباسي ، وقد ميّز المؤلفون بين نوعين من العلوم : العلوم النقلية والعلوم العقلية . وتشمل الأولى علم القراءات والتفسير والحديث والفقه والنحو ،واللغة وعلم الكلام والبيان والأدب ،في حين تشمل الأخرى الفلسفة ،والهندسة ،وعلم النجوم ، والطب ،والكيمياء ،والرياضيات ،والسحر ،والتاريخ ،والجغرافيا .

وقد اشتغل العباسيون بالعلوم الدينية ، ومن هذه علم القراءات الخاص بقراءة القرآن الكريم ، وقد ارتبط هذا العلم بالخط العربي ،إذ إن رسم الكلمة الواحدة كان يقرأ بطرق متعددة تبعا لموقع النقط من الحروف ،و يعتبر علم القراءات المرحلة الأولى من مراحل تفسير القرآن الكريم . وفي تفسير القرآن الكريم ، اتجه المفسرون اتجاهين : أولهما التفسير بالمأثور ،وهو ما أثر عن الرسول-عليه السلام-وأصحابه ،وثانيهما التفسير بالرأي ،وهو ما كان

---

(١) الحيوان ، ج ١ ، ص ٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعتمد على العقل أكثر من اعتماده على النقل ، ومن أشهر من اهتموا بهـــذا النوع من التفسير علماء المعتزلـــــة .

وقد شهد القرن الثاني الهجرى تدوين الحديث النبوى الشريـــف ، وأخذ العباسيون يصنفون الحديث معتمدين على رواته من الصحابة . وقد محّص الرواة ومحّصت نصوص الأحاديث من أجل الاطمئنان إلى صحتها ودقّة روايتهـا . وظهر العلم الذى أطلق عليه اسم علم الرجال ، بما تطلّبه هذا العلم من أمـــور الجرح والتعديل ، كما نشأت في هذا العصر علوم قرآنية كثيرة أحصاها ابـــن النديم في الفهرست احصاء دقيقـــا .

ومن أكثر العلوم ازدهارا في هذا العصر ، علم الكلام ، والمقصـــود به الجدل في أصول العقيدة بين أصحاب العقيدة الواحدة ، أو أصحـــاب العقائد المختلفة . وربما نشأ هذا العلم بسبب امتزاج المسلمين مع أصحـــاب الديانات الأخرى لما كان يجرى بينهم حول التفاضل بين الأديان . وقد اعتمد علم الكلام على العقل والمنطق في الدفاع عن الدين ، وحمل المعتزلة لواء هذا العلم وما يتصل به من قواعد ومبادىء ، وسمي المشتغلون بهذا العلـــم بـ " المتكلمين " . وكانت المناظرات تعقد بين المتكلمين في مجالس الخلفـــاء والمساجد وغيرها ، وكان من أشهر المتكلّمين واصل بن عطاء والعلاف والنظـام . وكان للمعتزلة أثر كبير في النهضة الفكرية في العصر العباسي الأول ، إذ إنهـم شجّعوا النظر الفلسفي والبحث العقلي والالتزام بقواعد المنطـــق .

والجدير بالذكر أن كثيرا من الدراسات اتخذت من القرآن الكريـــم محورا لها ، فعلماء الكلام كانوا يفسرون آياته بقرائن عقلية ، وعلماء النحـــو استمدوا الشواهد من آياته من أجل وضع قواعد اللغة العربية وضوابطهـــا .

وقد ازدهرت العلوم الطبية في هذا العصر ، وكان الطبيب العباســـي يجمع إلى جانب علمه بالطب علوما أخرى ، ولذلك كان يطلق عليه لقب "حكيـــم " .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن عوامل ازدهار هذا العلم في العصر العباسي ، اختلاط المسلمين بغيرهم من الأمم . ونلحظ استعانة الخلفاء العباسيين بالأطباء الأعاجم ،وفي مقدمة هؤلاء آل بختيشوع . فقد رشحت حاشية المنصور مثلا جورجيس بختيشوع لعلاج الخليفة ، لأنه كان يعدّ أفضل طبيب في زمنه" (١). وقد قام بختيشوع بن جورجيس بالاشراف على علاج الهادي بدعوة من المهدي ، واستدعي كذلك عندما مرض الرشيد ،وأكرم أحسن اكرام (٢) .

ويبدو أن مهنة الطب كانت مهنة تجلب الجاه لصاحبها ،فهذا الرشيد يوصي كل من كانت له حاجة أن يوسط جبرائيل بن بختيشوع لديه لأنه لا يرفض له طلب (٣) . وتشير الروايات الواردة في المصادر المختلفة إلى أن الأطباء في هذا العصر لم يبرعوا في طب الأبدان فقط ،بل برعوا في الطب النفسي كذلك .

ومن مظاهر اهتمام الخلفاء العباسيين بالعلوم الطبية ، إقامتهم المستشفيات على اختلاف أنواعها ،فقد بنيت في عهد المنصور مستشفيات للمجاذيب ،وأخرى لطب العيون .

وترك الأطباء مؤلفات شتى في الطب أذكر منها : كتاب علاج الصداع ، وكتاب السدر والدوار ،وكتاب الصوت والبحّة ، وكتاب الفصد والجماحة ،وكتاب اصلاح الأدوية المسهلة ليوحنا بن ماسويه (٤) ، وكتاب علل العين ،وكتاب الأسنان واللثة ،وكتاب معرفة أوجاع المعدة لحنين بن اسحق العبّادي (٥).

---

(١) أخبار الحكماء ، ص ١٠٩ .
(٢) المصدر نفسه ،ص ٧١ - ٧٢ .
(٣) المصدر نفسه ،ص ٥٥ .
(٤) الفهرست ،ص ٤١١ - ٤١٢ .
(٥) المصدر نفسه ،ص ٤١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونجد في هذا العصر اهتماما بالغا باستعمال العقاقير للتداوي وقد وضعت مؤلفات عديدة في هذا المجال ،أشهرها ما ألّفه جابر ابن حيّان .

واشتغل عدد من المسلمين بعلم الكيمياء والرياضيات ،ومن أبرز هؤلاء جابر بن حيّان أبو الكيمياء ،والخوارزمي الذى عني بعلم الرياضيات .

ومن ذلك كلّه يتبيّن لنا أن المجتمع العراقي ابّان الفترة الأولى من حكم العباسيين ، كان مجتمعا نشطا شديد التفاعل مع الأعراق المختلفة التي وجدت فيه ،وبكل ما جلبته هذه الأعراق معها من نظم وتقاليد ومعارف وطرائق معيشية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــــل الأول

الجمـال الأنثوي في مقاييس العصـر

- الجمـال الحســـي .
- الجمـال المعنـــوى .
- الملابس والتزيّـــن .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولا : الجمـــال الحســـــي :-

تتباين نظرة الناس إلى الجمال تبعا لتباين الأذواق والبيئـــات والمستوى الحضاري الذى بلغوه . وعلى الرغم من ذلك ،فان ثمة أوصافا عامـــة اتفق الناس على ضرورة توافرها في الجميل حتى يسمّى جميلا . ومن أهـــم هذه الأوصـاف : الانسجام والاعتدال ، وقد أشار الجاحظ إلى ذلك فقـال " وأنا مبيّن لك الحُسن : هو التّمامُ والاعتدال ،ولستُ أعني بالتّمام تجـاوزَ مقدار الاعتدال ،كالزيادة في طول القامة ،وكدقّة الجسم ،أو عِظَم الجارحـة من الجوارح ،أو سَعَةَ العين أو الفم ،مما يتجاوز مثله من الناس المعتدلـين فـي الخَلْـق ، فإنّ هـذه الزيـادة متى كانـت ،فهـي نُقصانٌ من الحُسـن ، وان عُدّت زيادةً في الجسم ، والحـدود حاصرةٌ لأمور العالـم ، ومحيطةٌ بمقاديرهـا الموقوتـة لهـا ، فكلُّ شيءٍ خرج عن الحدّ في خُلُق ، حتى في الدّين والحكمة اللّذين همـا أفضل الأمور ،فهو قبيحٌ مذمـوم "(١) . ويضيف قائلا " وأما الاعتدالُ فهـو وزن الشيء لا الكميّة ،والكونُ كونُ الأرض لا استواؤها ،ووزنُ النفوس فـي أشباه أقسامها ،فوزن خِلقة الإنسان اعتدالُ محاسنه ،وألاّ يفوتَ شـيء منها شيئـا "(٢) .

ونتيجة لاختلاف الآراء حول الجمال في العصور والبيئات المختلفـة ، كان الاختلاف على مقاييس جمال المرأة . فمن الناس من رأى الجمال يكمن فـي المرأة الممتلئة ، ومنهم من رآه في الهيفاء دقيقة الخصر ، ومنهم مـن رأى أن الجمال المادي لا قيمة له إن لم يرفده جمال معنـوي .

---

(١) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ،رسائل الجاحظ (القيان) ،١٣٨٤هـ - ١٩٦٥ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،ج٢ ، ص ١٦٢ .

(٢) المصدر نفسه ، والصفحة نفسهـا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجاء العصر العباسي ،عصر الحضارة والانفتاح ،فكانت النمومة التي ترافق المدنيّة ،وأثر ذلك في مفهوم الناس لجمال المرأة ،إذ أصبحوا يصدفون ولو جزئيا عن الصورة القديمة لجمال المرأة ،وأصبح لهم مقاييسهم الخاصة بهم التي يحكمون بها على الجمال النسوي .

والجدير بالذكر،أن الجمال العربي لم يكن وحده في الساحة في العصر العباسي ، إذ زاحمه جمال الجواري الوافدات من مختلف المناطق . فهذا خالد بن صفوان (١) يغري السفاح بالتمتع بالجمال بعد أن حرّم على نفسه زواج الحرائر وتسرّي الجواري حفاظا على العهد الذى كان قد قطعه على نفسه أمام زوجه ،فيقول له :" إني فكرت في أمرك ،وآستجليت الفكر فيك فلم أرَ أحدا له قدرة واتساع في الاستمتاع بالنساء مثلك ،وإنك ملّكت نفسك امرأة من نساء العالمين ،فأقصرت عليها ،فان مرضتْ مرضت ،وإن غابتْ غبت، وحرّمتَ على نفسك التلذّذ بما يشتهي منهنّ : الطويلة التي تشتهى لحسنها ، والبيضاء التي تحبّ لرؤيتها ،والسمراء اللعساء ، والصفراء الذهبية ،ومولدات المدينة والطائف واليمامة ،ذوات الألسنة العذبة ،وبنات سائر الملوك ،وما يشتهي من نضارتهنّ ونظافتهنّ " . ثمّ أطنب خالد في تعداد صفات الجواري. فلمّا فرغ من كلامه ، قال له السفاح :" ويحك ، ملأت مسامعي بما أشغل خاطرى. والله ما سلك مسامعي كلام أحسن من هذا ،فأعد عليّ كلامك ،فقد وقع منّي موقعا . فأعاد عليه خالد كلامه بأحسن مما ابتدأ به " (٢) .

كان هذا في بداية الدولة العباسية . ومع تقدم الزمن تدفقت القيان على بغداد من كل حدب وصوب ،فكان فيهن الفارسيّات ،والخراسانيّات ،

---

(١) خالد بن صفوان : هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو الأهتم التميمي من فصحاء العرب المشهورين ،عاش الى أن أدرك خلافة السفاح ، (انظر محمد بن اسحق النحوى (الوشاء) ،الفاضل في الأدب ، ص ٤٦ ،الزركلي ،الأعلام ،ج ٢ ،ص ٣٣٨) .

(٢) الامام محمد المعروف بدياب الاتليدى ،إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العبّاس ، ص ٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والهنديات ،والحبشيّات ، والتركيّات ، واليمانيّات وغيرهنّ ،وقد اختصت كل طائفة منهنّ بسمات جمالية خاصة بها . يقول الجاحظ في حديثه عن سمات بعض الجواري الكوفيّات :" وقد كان أيضا بالكوفة نتاج بين الخراسانية والهنديات. وكنّ[1] أملح وأحسن قدودا من البغلات[2] اللواتي بمصر ، وكانت تجيء ألوانهنّ ذهبية ، لها حلاوة الهندية ،وروعة الخراسانية " (٣) . ويتابع وصفه لجواري الكوفة والبصرة مسميا بعضهنّ ، فيقول :" وكذلك مطهّمات جواري الكوفة ،زرقا تجدهن ،الاّ الواحدة بعد الواحدة. إنما الشينات المرتفعات ،والغوالي الحظيرات ، بصريّات ،مثل عجوز عمير ،ومتيّم ،وهذل جارية المراكبي ،وشارية جارية إبراهيم المهدي ،وزرياب الكبرى ،وعساليج جارية الأحدب ،وفضل جارية العبديّ ، وقبل هذا سلسل وأشباه سلسل "(٤) . ولقد كان لهذا العامل أثر فعّال في تشكيل المقاييس الخاصة التي كانوا يحكمون بها على جمال المرأة .

وما دمنا نتحدث عن جمال المرأة ،فلا بدّ من التحدّث عن رأى الرجل في ذوقها الجمالي ، يرى الجاحظ أن :" النساء لا يبصرن من جمال النساء حاجات الرجال ،وموافقتهن قليلا ولا كثيرا ، والرجال بالنساء أبصر ،وإنما تعرف المرأة من المرأة ظاهر الصفة ،وأما الخصائص التي تقع بموافقة الرجال ، فانها لا تعرف ذلك " (٥) .

---

(١) في الأصل كان والأفضل كسنّ .
(٢) البغل :الحيوان الذى يركب ،والأنثى بغلة ، انظر:لسان العرب، مادة بغل .
(٣) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ،رسائل الجاحظ، كتاب البغال ،١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ج ١ ،ص ٢٨٨ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٨٨ - ٢٩٠ .
(٥) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ،رسائل الجاحظ (النساء) ، جمعها ونشرها حسن السندوبي ،ط الأولى ،١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م ،القاهرة، ص ٢٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن البديهي أن تختلف مقاييس الجمال الأنثوية لدى المرأة والرجل نتيجة لتباين طبيعة كل منهما . والرجل أقدر من المرأة على تقييم جمالها ، لأنها تصف الظاهر فقط ولا تهتدي لمواطن الجمال التي يطلبها الرجل في المرأة .

وإذ نتساءل عن المرأة الجميلة في نظر رجال العصر العباسي ، فلا بدّ أن نطوّف في كتب الأدب والتاريخ والتراجم لنستمع للرجال وهم يعبّرون عن اعجابهم بالمرأة ، ويصفون جمالها بالتفصيل تارة ، وبالاجمال تارة أخرى .

لقد أحبوا الشعر الأسود في المرأة على طريقة العرب القديمة . فهذا خالد بن صفوان يرد على زوجه عندما وصفته بالجمال قائلا : " كيف وما عليّ برنس الجمال " (١) يعني الشعر الأسود .

ومن البديهي أن يكون للشعر الأشقر أنصار تبعا لتباين الأذواق وتنوّع جمال النساء ، وقد رأينا خالد بن صفوان يتحدث عن الشعر الأشقر عندما كان يصف للسفاح جمال نساء العصر ، وأبدى الجاحظ كذلك اعجابه بالمرأة الذهبية عندما تحدث عن سمات الجواري الكوفيّات .

ولقد عدّوا تسلل الشيب إلى شعر المرأة من أكبر عيوبه ، لأنه دليل على تقدمها في السن ، وكرهت المرأة كذلك الشيب في شعر الرجل للسبب ذاته . ولعل ما يرويه لنا الصولي على لسان العتبي (٢) يلقي لنا ضوءا على مدى كراهية كل من الرجل والمرأة للشيب في الشعر . قال الصولي : " قال

---

(١) أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي ، التوفيق للتلفيق ، حققه وعلّق عليه ابراهيم صالح ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، دمشق ص ١٤٥ .

(٢) العتبي : أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الله المعروف بالعتبي ، الشاعر البصري المشهور ، كان أديبا فاضلا وشاعرا مجيدا ، ومات له بنون وكان يرثيهم ، وروى عن أبيه وعن سفيان بن عيينه ، وروى عنه أبو حاتم السجستاني وأبو الفضل الرياشي ، وغيرهم ، توفي سنة ٢٢٨هـ ، انظر : (ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٤ ، ص ٣١-٣٢ ، طبقات ابن المعتز ، ص ٣١٤-٣١٦) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العتبي : رأيت امرأة أعجبتني صورتها ،فقلت : ألك بعل ؟ قالت : لا . قلت: أفترضين في التزويج ؟ قالت: نعم ،ولكن لي خصلة أظنك لا ترضاها . قلت: وما هي ؟ قالت: بياض برأسي ، قال : فثنيت عنان فرسي وسرت قليلا ،فنادتني أقسمت عليك لتقفنّ ! ،ثم أتت إلى موضع خال ،فكشفت عن شعر كأنّه العناقيد السّود ،فقالت: والله ما بلغت العشرين ولكنني عرّفتك أنّا نكره منك ما تكره منّا ،قال فخجلت " (١) .

وقد تنوعت طبائع شعر المرأة ،فمنه السبط ومنه الجعد ،ولكل منهما معجبون ،فقد أحب رجل البادية الشعر الطويل الجعد . يدلّنا على ذلك ما ينقله لنا الأصمعي (٢) على لسان أحد الأعراب وهو يتحدث عن الأوصاف التي يتمنّاها في زوجه ، إذ يقول :" اطلب لي امرأة فرعاء (٣) جعدة (٤). ويضيف البيهقي في كتاب المحاسن والمساوئ إلى جملة الصفات التي ذكرها خالد بن صفوان للسفاح نوعية الشعر فقال :" السبطة (٥) الجعدة (٦)" .مما يدل على وجود أنصار لكل نوع .

إلاّ أن نظرتهم إلى الشعر الطويل قد تبدّلت بعد دخول الغلمان في حياة المجتمع العباسي ،فبدأت النساء باخفاء شعورهن والتزيّي بزيّ الغلمان ومن ذلك الأقبية والمنطقة . " كان محمد الأمين،ابن الرشيد ، قد قدّم الخدم وآثرهم ورفع منازلهم ،فلمّا رأت أم جعفر استضعافه بالخدم ،اتخذت الجواري

---

(١) ابن الفرج بن الجوزي ،اخبار الاذكياء ،تحقيق مرسي الخولي ،١٩٧٠م،ط٢٣.

(٢) الاصمعي :عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن أصمع الباهلي المعروف بالاصمعي ،ابو سعيد ،اديب،لغوي ،نحوي ،اخباري ،محدث فقيه اصولي من اهل البصرة .قدم بغداد أيام هارون الرشيد،وتوفي بالبصرة.(انظر الحصري ،زهر الآداب وثمر الألباب،ج ١ ،ص١٥ ،ابن النديم ،الفهرست، ص ٨٢-٨٣ ،عمر رضا كحالة ،معجم المؤلفين ،ج ٦ ،ص١٨٧ ،القيرواني ، الانمذة والخمور ،ص٢٩٦ ،وفيات الاعيان ،ج ٣ ،ص١٧٠) .

(٣) فرعاء :طويلة الشعر. انظر. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري ،لسان العرب،دار صادر ،بيروت،مادة فرع.

(٤) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ،عيون الاخبار ،الطبعة الاولى ،١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م ،مطبعة دار الكتب،القاهرة ،ج ٤ ،ص٥ .

(٥) السبطة ،ذات الشعر المسترسل ، انظر: لسان العرب،مادة سبط.

(٦) ابراهيم بن محمد البيهقي ، المحاسن والمساوئ ، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م. دار صادر للطباعة والنشر،دار بيروت، ص ٢٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فطرّت رؤوسهنّ ،وجعلت لهنّ الطُرَرْ والأصداغ وشعور الأقفاء" (١) . ونرى أن من الحرائر من تمتنع عن طم شعرها ترفعا عن التشبه بالجواري ،وتؤثر الطلاق على ذلك . يروى لنا الجاحظ أن المتوكل سأل زوجه ريطة بنت العباس ابن علي :" أن تطم شعرها وتتشبه بالمماليك ،فأبت عليه ،فأعلمها إن لم تفعل فارقها ،فاختارت الفرقة ، فطلّقها " (٢) .

أما الجبهة ، فان بعض الناس يخلطون بين الجبهة والجبين في حين أنها مختلفان . فالجبهة مكان السجود ،والجبينان مكتنفان لها من الجانبين ،وقد أحبوا الاعتدال في الجبهة ،إذ إن ضيقها المفرط عيب يسيء إلى جمال الوجه . فهذا الحسين الخليع(٣) يصف إحدى جواري الرشيد فيقول :" مفتوحة الجبين " (٤) . ولكن اتساع الجبهة المفرط عدّ عيبا كذلك ، كما كانت الحال في عليّة أخت الرشيد ،التي كانت تشكو من اتساع مفرط في جبينها ،فابتكرت العصائب المرصّعة بالجوهر لاخفاء هذا العيب ،ولقد أحبوا الجبهة بيضاء ملساء خالية من التجاعيد الدالة على الارهاق والتعب والتقدّم في السنّ .

أما الحاجبان ، فأجمل ما يكونان أزجّين ،أي دقيقين ،يمتدان إلى مؤخرة العين . وكثافة الشعر في الحاجبين تنقص من جمالهما ،وأما بين

---

(١) أحمد بن اسحاق اليعقوبي ،مشاكلة الناس لزمانهم ، تحقيق وليم ملورد، ط٢ ، ١٩٨٠م ،دار الكتاب الجديد ، بيروت/لبنان ،ص ٢٧ .

(٢) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ،المحاسن والأضداد ، ١٣٥٠هـ/١٩٣٢م، مطبعة المعاهد،القاهرة ،ص ١٨٢ .

(٣) الحسين الخليع: الحسين بن الضحّاك بن ياسر ،أبو علي الشاعر البصري المعروف بالخليع ،يقال انه ولد سنة اثنتين وستين ومائة ،ومات سنة خمسين ومائتين ، جالس الرشيد قبل نكبة البرامكة ،ثم جالس من بعده الخلفاء الى آخر أيام المتوكل . (انظر: الحموي :معجم الأدباء، ج ١٠ ،ص٥ ،وفيات الأعيان ،ج ٢ ،ص ١٩١-١٩٨، الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ،ج ٨ ،ص ٥٤-٥٥ ، الأعلام ،ج ١ ،ص ٢٩٢ ،الاصفهاني الأغاني ، ج ٥ ،ص ٢٦٨-٤٣٥ ،طبعة دار الكتب) .

(٤) إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس ، ص ٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحاجبين ،فينبغي أن يبقى خاليا من الشعر أيضا ، وكانت المرأة تلجأ إلى تنظيم حاجبيها . ومن هذا ما حدثنا به الحسين الخليع مبديا اعجابه باحدى الجواري إذ قال :" فإذا أنا بجارية زجّاء الحاجبين" (١) ولأنهم أحبّوا السعة في العيون ،فقد لجأت المرأة الى تنظيم حاجبيها بهذه الطريقة لأنها تضفي على العيون السعة المرغوبة . على أننا قد نسمع عمّن تترك الشعر ما بين الحاجبين ليصل بينهما ،لكن هذا نادر ومن ذلك ما روي عن الجارية التي رآها الحسين الخليع ،فقال :" وعلى صحن جبينها طرة(٢) كالسبج(٣) وحاجبان مقرونان "(٤) . وقد شبّهوا الحاجبين بالأقواس لانتظامهما ،فعمرو بن مسعدة(٥) يصف حاجبي إحدى الجواري بقوله :" لها حاجبان كأنهما قوسان "(٦) .

وقد أحبّوا العيون ذوات الحدقة السوداء ، لذا كانت المرأة تعدّ الكحل في مقدمة أدوات التجميل المستخدمة لزينة العيون ،فقد وصف الحسين الخليع زينة إحدى الجواري فقال :" لها عينان كحلاوان "(٧) . ويضيف خالد

---

(١) المحاسن والأضداد ، ص ٢٣٩ .

(٢) الطرّة : طرّة الجارية : أن يقطع لها في مقدم ناصيتها كالعلم ،انظر لسان العرب ، مادة طرر .

(٣) السّبج : الخرز الأسود ،انظر لسان العرب ، مادة سبج .

(٤) مقرونان : متصلان ، انظر : لسان العرب ، مادة قرن .

(٥) عمرو بن مسعدة : عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول ،أبو الفضل الصولي ، وزير المأمون ،وأحد الكتّاب البلغاء كان يوقع بين يدي جعفر بن يحيى البرمكي في أيام الرشيد واتصل بالمأمون ،فرفع مكانته وأغناه ،وكان مذهبه في الانشاء الايجاز والاقتصار واختيار الجزل من الألفاظ توفي سنة ٢١٧هـ. (انظر: وفيات الأعيان ،ج ١ ،ص ٣٩٠ ،تاريخ بغداد ، ج ١٢ ،ص ٢٠٣ ،الفهرست ،ص ٢٣٦) .

(٦) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ،تحفة المجالس ونزهة المجالس ،عني بتصحيحه محمد بدر الدين الحلبي ،ط الأولى ،١٩٠٨م ،مطبعة السعادة ، مصر ،ص ٣٠٢ .

(٧) المحاسن والأضداد ، ص ٢٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن صفوان المرأة التي يريدها زوجة له لأحد الدلالين ليبحث له عنها ،فيشترط أن تكون :" سوداء المقلتين " (١) . وعدّوا الضيق في العيون عيبا يسيء لجمالها فقد كان من صفات المرأة التي عشقها الرقاشي (٢) من خلال وصف عمرو الـــورّاق لها ،أنها ذات " عيون نجـلاء (٣) دعجـــاء (٤) " (٥)

وجمال العيون لا يتمثل في شكلها فقط ،بل إن نظراتها لها أثـــــر عميق في نفس الرجل " ولذا فقد أكثروا من وصف نظرات العيون وأثرها علـــــى مشاعرهـــــم .

وإلى جانب سعة العيون ،استحبوا أن تكون العين فاترة ذابلة ،لمـــا فيها من دل ونعومة وأنوثة . ينقل لنا حماد بن اسحق(٦) عن أبيه ،وقـــــد التقى جارية في الطريق فوصف عينيها قائلا :" رأيت لها طرفا فاترا ،وشمائـــل حسنـــــة " (٧) .

---

(١) المحاسن والأضداد ، ص ١٧١ .

(٢) الرقاشي : هو الفضل بن عبد الصمد الرقاشي ،وليس من الرقاشيين بل من مواليهم ،أحد شعراء الدولة العباسية ،ومن مدح هارون والأمين والبرامكة ،وكان هو وأبو نواس يتهاجيان . (انظر :ابن المعتز : طبقات الشعراء ،ص ٢٢٦ ،الجاحظ ،البيان والتبيين ،ج ٣ ،ص ٩٣-٩٤ ،الجاحظ كتاب البغال ،ص ٢٨٥ ،ابن النديم ،الفهرست ،ص ١٧٢) .

(٣) نجلاء : عين واسعة . انظر :لسان العرب ،مادة نجـــل .

(٤) دعجاء : شدة سواد سواد العين ،وشدة بياض بياضها ،وقيل شـــدة سوادها مع سعتها ، انظر : لسان العرب : مادة دعـــج .

(٥) أبو الفرج الاصفهاني ،الأغاني ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ،١٩٥٩ ، دار الثقافة ،بيروت ،ج ١٦ ،ص ١٨٤ .

(٦) حماد بن اسحق : أديب ،راوية شارك أباه اسحق في كثير من سماعه ولحق بكبار مشايخه ،سمع عن أبي عبيدة والأصمعي ،وألّف كتبـــا في الأدب كثيرة وأخذ أكثر علم أبيه . (انظر :الفهرست ،ص ٢٠٤-٢٠٥ ، تاريخ بغداد ،ج ٨ ،ص ١٥٩ - ١٦٠ .

(٧) الأصفهاني ،الأغاني ، ١٣١٦ هـ/ ١٩٧٦م ،نسخة مصوّرة عن طبعـــة دار الكتب المصرية ، ج ٥ ،ص ٤٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ورأوا أن الوسن يزيد العيون سحرا وجاذبيّة ،فالحسين الخليع يبدى اعجابه بإحدى الجواري ،ويذكر من ضمن محاسنها أنها " وسناء العينين" (١).

وقد شبهوا المرأة بالظبية لحسن عينيها . فهذا أبو محمد (٢) والسيد حماد يصف جارية فيقول :" لما خرجت مع الرشيد إلى طوس ،كنت معه أسايره فاستسقيت ماء من منزل نزلناه يقال له سمنة ،فخرجت إلينا جارية كأنها ظبية" (٣).

وقد حدثنا الجاحظ فقال : إذا وصفت المرأة عيون المرأة تقول :" وكأن عينها عين غزال " (٤) .

أما الأنف فينبغي أن يكون منسجما مع باقي أجزاء الوجه حتى يعطيه شكلا مقبولا ،ولا يعمل على إفساد جماله ،يقول الجاحظ : " فوزن خلقة الإنسان اعتدال محاسنه ،وألاّ يفوت شيء منها شيئا ،كالعين الواسعة لصاحب الأنف الصغير الأفطس والأنف العظيم لصاحب العين الضيّقة" (٥) . وهذا الأمر يجب أن ينطبق على جميع أعضاء الجسم حتى يتم جمال الانسان . ولكن الجاحظ خصّ العين والأنف والفم بالذكر ،بعد أن أجمل لأهميتهم في جمال الوجه ولعل فيما يرويه لنا الأصمعي مما شاهده في بلاط الرشيد ما يلقي الضوء على مدى

---

(١) المحاسن والأضداد ،ص ٢٣٩ .

(٢) اسحاق بن ابراهيم الموصلي : هو أبو محمد ،اسحاق بن ابراهيم الموصلي، كان الرشيد يولع به فيكنّيه أبا صفوان ،وموضعه من العلم ومكانه من الأدب ومحله من الرواية وتقدمه في الشعر ومنزلته في سائر المحاسن أشهر من أن يدل عليها ،وأما الغناء فكان أصغر علومه ،وأدنى ما يوسم به فوان كان الغالب عليه ،وعلى ما كان يحسنه ،فانه كان له في سائر أدواته نظراء وأكفاء .
(انظر: الاغاني ،ج ٥ ،ص٢٤٢ ،الاعلام ،ج ١ ،ص٢٩٢ ،الفهرست ،ص١٤٠، وفيات الاعيان ،ج ١ ،ص٦٥ ، تاريخ بغداد ،ج ٦ ،ص٣٣٨ ،النويري ، نهاية الارب ،ج ٥ ، ص٨) .

(٣) الاصفهاني ،الاغاني ،١٩٥٦م ،دار الثقافة ،بيروت ،ج ٥ ،ص ٣٨٦ .

(٤) النساء ،ص ٢٧٤ .

(٥) القيان ،ص١٦٢ - ١٦٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اهتمام رجل العصر العباسي بجمال الأنف. قال الأصمعي : " كنت عند أمير المؤمنين الرشيد ، إذ دخل رجل ومعه جارية للبيع، فتأملها الرشيد ، ثم قال : خذ جاريتك ، فلولا كلف في وجهها وخنس (١) في أنفها لاشتريتها " (٢). وعدوا الأنف الأقنى (٣) من الأنوف الجميلة . فالحسين الخليع يذكر محاسن إحدى الجواري ويصف أنفها قائلا : " أنف أقنى " (٤) .

أما الفم ، مصدر البسمة الآسرة ، ومنهل الكلمة الرقيقة ، والصوت الساحر ، فمن الضروري أن يتوافر فيه الجمال والنقاء والرائحة العطرة . فالنقاء كان أهم الشروط التي يطلبها الرجل في الجارية قبل الشراء . وقد ذكر لنا ابن سلام في مقدمة كتابه " طبقات الشعراء " الصفات التي يستحب توافرها في الجارية ، فذكر منها أن تكون " نقية الثغر " (٥) .

وأحبوا السواد في الشفة ، كما كانت الحال لدى العرب قديما . فقد ذكر خالد بن صفوان " السمراء اللعساء " (٦) (٧) على أنها من النساء الجميلات . وقد شبهوا الفم باللؤلؤ والأسنان بالدر ؛ لشدة بياضها ونقائها ، يصف الحسين الخليع فم إحدى النساء ، فيقول : " ثغر كاللؤلؤ ، وأسنان كالدر " (٨).

---

(١) خنس : الخنس في الأنف هو تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة . انظر لسان العرب ، مادة خنس .

(٢) أخبار الأذكياء ، ص ٢٢٨ .

(٣) الأقنى من الأنوف : الذي ارتفع أعلاه واحدودب وسطه وضاق منخراه . انظر لسان العرب ، مادة قنا .

(٤) إعلام الناس ، ص ٥٧ .

(٥) محمد بن سلام الجمحي ، طبقات الشعراء . ط الأولى ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ، دار الكتب العلمية بيروت / لبنان ص ٢٧ .

(٦) اللعساء : ذات الشفة السوداء . أنظر لسان العرب ، مادة لعس .

(٧) إعلام الناس ، ص ٣٨ .

(٨) المصدر نفسه ، ص ٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتطلّب الجاحظ الاعتدال في الفم ، لأن الوجه أول ما يطالع الناظر .

وقد أعجبوا بالخال على الخد ،وكانت ذات الخال مشهورة بالخال الذي على خدها ،وقد فتن الرشيد بها ،ويروي لنا عبد الله وإبراهيم ولدا العباس الصولي هذه الحكاية عن الرشيد وذات الخال ،فقد وعدها أن يصير إليها ذات يوم ، لكنه لم يفِ بموعده وذهب إلى جارية أخرى ، فشق ذلك على ذات الخال ،وقالت :" والله لأطلبنّ له شيئا أغيظه به،وكانت أحسن الناس وجها ، ولها خال على خدها لم يرَ الناس أحسن منه في موضعه . فدعت بمقراض ، فقصت الخال الذى كان في خدها ، وبلغ ذلك الرشيد ،فشق عليه ، ونهض الرشيد مسرعا إلى ذات الخال مسترضيا" (١) . ونحن وإن كنّا نلمس بوضوح المبالغة في أحداث القصة ، إلاّ أنها تمثل لنا مدى اعجاب رجال العصر بالخال على الخد .

وأجمل الخدود ما كان ناعما خاليا من التجاعيد ،كما يتبيّن من وصف اسحاق بن إبراهيم لجمال إحدى النساء ،قال : " لم أرَ أحسن منها قدا، ولا أسيل (٢) خدّا (٣)" . ويصف أبو الحسن الخليع الدمشقي جارية أعجب بها فيقول :" لها خدّ أسيل "(٤).

والحمرة في الخدود كانت محبّبة ، لأنها عنوان لحيويّة المرأة ، ولرقّة بشرتها ولصفائها ،وقد شبّهوها بشقائق النعمان .

---

(١) أبو الفرج الاصفهاني ،الأغاني ، ١٩٥٦ ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار الثقافة - بيروت ،ج ١٦ ،ص ٢٦٧ .
(٢) أسيل : الأملس المستوى ، انظر: لسان العرب ، مادة: أسل .
(٣) الاصفهاني ، الأغاني ، ١٩٥٦ ،دار الثقافة ،بيروت ،ج ٥ ،ص ٣٤٠.
(٤) إعلام الناس ، ص ٧٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصف علي بن الجهم (١) جارية ،فقال :" أقبلت كأنها البدر ليلة التمام بلون كأنه الدّر في البياض ، مع احمرار خدين كشقائق النعمان " (٢) .

وقد اختلفت ألوان الجواري نظرا لتباين بيئاتهنّ ،فقد ذكر خالد ابن صفوان السمراء ،والصفراء ، والبيضاء ، وأضاف الجاحظ ذهبية اللون . إلاّ أن رجال العصر العباسي أحبّوا المرأة البيضاء . وقد يكون السبب في ذلك شيوع السمرة في النساء العربيات ، ولأن البياض قد يدلّ على المرأة المترفة ،لأنها لا تتعرض للشمس ،ويرى خالد بن صفوان أن البياض رداء الجمال . وينقل لنا الأصمعي عن أحد الأعراب الصفات التي تمنّاها في زوجه ،فكان منها قوله :" أطلب لي امرأة بيضاء "(٣) ، ممّا يدلّ على أن رجل البادية أحب هو الآخر المرأة البيضاء اللون .

وأجمل ما يكون بياض المرأة ، إذا خالط لون بياضها حمرة تدل على حيويّتها . يقول الحسين الخليع واصفا جارية :" وقد علت شدة بياض بدنها حمرة قميصها " (٤) .

والبشرة النقية الخالية من الشوائب كانت تنال الاعجاب . يقول الجاحظ: " أحسن النساء الرقيقة البشرة ، النقيّة اللون"(٥) . ويطلب خالد بن صفوان في زوجه نقاء البشرة وصفاءها :" لم يشن وجهها كلف "(٦) . ويحدثنا

---

(١) علي بن الجهم : شاعر من معاصري أبي تمام والبحتري ،وهو صاحب الرّائية المشهورة التي يقول فيها :-

عيون المها بين الرصافة فالجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

اختص بالمتوكل ،ثم غضب عليه فنفاه الى خراسان ،فاقام بها مدة ورحل الى حلب ثم قتله بعض بني كلب سنة ٢٤٩ . (انظر: ابن المعتز ،الطبقات، ص ٣١٩-٣٢٢ ،زهر الآداب ،ج ١ ،ص ١٩٨ ،الاعلام ،ج ٤ ،ص٢٦٩-٢٧٠) .

(٢) المحاسن والأضداد ، ص ١٥٤-١٥٥ .

(٣) عيون الاخبار ، ج ٤ ، ص ٥ .

(٤) المحاسن والأضداد ، ص ٢٤٠ .

(٥) المصدر نفسه ،ص ١٦٣ .

(٦) المصدر نفسه ،ص ١٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لحسين الخليع عن اعجابه بإحدى النساء على الرغم من الارهاق والتعب الذى كانت تعاني منه فيقول لها : " عزيز عليّ وأنت على ما بك من الضنا ، وشغل القلب بالهوى ، وانحلال الجسم وضعف القوى ، ما أرى بك من صفاء اللون ورقة البشرة ، فكيف لو لم يكن بك من الهوى شيء ؟! أراك كنت مفتنة في أرض البصرة " (١) .

وللجاحظ رأى في لون المرأة ، يقول : " أحسن النساء يضرب لونها بالغداة إلى الحمرة ، وبالعشي إلى الصفرة " (٢) . ولقد أحب العرب قديما المرأة الصفراء اللون ، وشبهوا بشرة المرأة بالمرمر لنعومته ورقّته . يصف أبو الحسن الدمشقي إحدى النساء فيقول : " وإذ عليها غلالة لا زوردية ، وجميع جسدها بائن من تحت الغلالة كأنها عمود مرمر " (٣) . ووصف خالد بن صفوان لون المرأة الجميلة فقال : " لونها كالبرق " (٤) . ونلاحظ أن رجال العصر كثيرا ما شبّهوا المرأة بالقمر ليلة تمامه ، أو كالبدر الطالع دلالة على شفقهم بالوجه المستدير الصافي الخالي من الكلف والشوائب الأخرى . يروى لنا الحسين بن دعبل على لسان والده كيف استرعى نظره جمال وجه إحدى الجواري ، فوصفه وصفا مجملا . يقول : " سمعت أبي يقول : بينا أنا جالس بباب الكرخ ، اذ مرّت بي جارية لم أر أحسن منها وجها " . ثم يطري نضارة وجهها فيقول : " ولم أر أنضر منها وجها " . (٥) فجمال البشرة مما يسترعي النظر ، لأن العين تقع أول ما تقع على الوجه ، ثم تتأمل باقي المحاسن بعد ذلك .

ولقد عدّ الجيد الطويل من أهم سمات المرأة الجميلة ، فهذا خالد بن صفوان يطلب من الدلال أن يراعي هذه الصفة في الزوجة التي يبحث له عنها ،

(١) المحاسن والاضداد ، ص ٢٤٠ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٦٣ .
(٣) إعلام الناس ، ص ٧٨ .
(٤) المحاسن والأضداد ، ص ١٧١ .
(٥) الاصفهاني ، الأغاني ، ١٩٥٩ ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار الثقافة ، بيروت ، ج ١٨ ، ص ٣٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن أراد أن يكون لها " جيد أتلع "(١) . وقد شبّهوا العنق بابريق الفضة لطوله ونقائه . يقول الجاحظ : " كأن جيدها إبريق فضة "(٢). كما أنهم شبّهوه بجيد الغزال وتطلّبوا أن يرافق اعتدال طوله رقّة ولين ونقاء وخلو من الأعصاب والعروق .

واستحسنوا أن تكون جنبات الصدر المسماة بالترائب مكسوة باللحم فلا تبدو العظام من الصدر . وتطلبوا " أن تكون كاسية العظام بين الممتلئة والقضيفة(٣)(٤) " . وهذا ما بيّنه الجاحظ حين تحدث عن جمال المرأة المرغوب فيه في ذاك العصر . ونجد أنهم صدفوا عن الصدر الضخم ورغبوا في المعتدل الحجم الخالي من الترهل والارتخاء ، قال النظّام(٥) : " وجدت الناس مختلفين في الشهوات ، ولكن سمعت الله تعالى يقول في وصف الحور : " وكواعب أترابا " ، ولم يقل فوالك ولا نواهد "(٦) . وكانت مكنونة تدافع عن عيب قوامها بجمال صدرها ، ممّا يدل على أهمية الصدر في اعطاء المرأة قواما جميلا . وقد اشترط ابن سلام في الجارية أن تكون جيدة الصدر(٧) حتى يقبل على شرائها الناس. وقد شبّه صدر المرأة بالتمثال أو قطعة المرمر لصفائه ونعومته .

---

(١) المحاسن والأضداد ، ص ١٧١ .
(٢) النساء ، ص ٢٧٤ .
(٣) القضيفة : جارية قضيفة : ممشوقة . انظر : السيّد محمد مرتضى الزبيدي ، تاج العروس ، دار ليبيا ، بنغازي للنشر والتوزيع . مادة " قضف " .
(٤) النساء ، ص ٢٧٤ .
(٥) النظّام : ابراهيم بن سيار بن هانئ البصري ، أبو اسحاق النظّام . من أئمة المعتزلة ، تبحر في علوم الفلسفة ، وانفرد بآراء خاصة تابعته فيها فرقة من المعتزلة سميت " النظامية " ، توفي سنة ٢٣١ هـ . (انظر : تاريخ بغداد ، ج ٦ ، ص ٩٧ ، المرتضي ، الأمالي ، ج ١ ، ص ١٣٢ ، ابن تغربردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٢٣٤ ، ابن المعتز ، طبقات الشعراء ، ص ٢٧١ - ٢٧٣) .
(٦) أبو القاسم حسين بن محمد الراغب الاصبهاني ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء ، ١٩٦١م ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ج ٣ ، ص ٣٠٦ .
(٧) طبقات الشعراء ، ص ٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما يد المرأة ، فينبغي أن تكون ملتفة ناعمة بيضاء ،وقد شبهت بالفضة لشدة بياضها . ومن هذا وصف الحسين الخليع لاحدى الجواري بقوله : " وشمرت عن ساعدين كأنهما طومار فضة " (١) .

وكان لكف المرأة أثر كبير في اجتذاب عشاقها ، فبه تلوح للوداع ،وتسقي الشارب كأسه ،وتمسك بريشة العود لتعزف ،فرغبوا في أن يكون لينا ناعما خاليا من العروق . ويروى لنا إبراهيم بن المهدي (٢) حكايته مع إحدى النساء ،فيقول مخاطبا المأمون :" فنظرت إلى كف ومعصم قد خرجا من الشباك، فشغلني يا أمير المؤمنين حسن الكف والمعصم عن رائحة الطيب ،وبقيت باهتا ساعة " (٣) .

وكانوا يرون أن تحول الخصر سرّ جماله . وكانت المرأة تزيّن خصرها بالزنّار لتظهر دقّته وجماله . ويصف أحمد بن محمد الحريري جواري لحمنة بنت عبد الله اللواتي أعدتهن عندما دعت المأمون لزيارتها فيقول :" وفي وسطهنّ مناطق " (٤) ويعبّر أبو الحسن الخليع الدمشقي عن اعجابه بإحدى الجواري ويصف خصرها قائلا :" ولها خصر نحيل" (٥) . ووصفوا دقة الخصر بألفاظ عدة فمن ذلك قول الحسين الخليع :" مهفهفة الخصر " (٦) ،وقول خالد بن صفوان في خصر امرأة : " خصر مرهف " (٧) . ورأوا في دقة الخصر وضمور البطن وكبر

---

(١) المحاسن والأضداد ، ص ٢٤٢ .
(٢) ابراهيم بن المهدي : هو ابن محمد المهدي بن عبد الله المنصور العباسي الهاشمي ،أخو هارون الرشيد ،نازع المأمون ،فأهدر دمه ،ثم اعتذر له ،فعفا عنه ، كانت له يد طولى في الغناء وحسن المنادمة ،ت سنة ٢٢٤ . (انظر: الثعالبي ، لطائف اللطف ،ص ٤٢ ،الأغاني ،ج ١٠، ص ١٠١ - ١٥٦ ، الفهرست ،ص ١٦٨ ،الأغاني ،ج ١٠ ،ص ٦٩ ،ابن الجوزي أخبار الأذكياء ،ص ٣) .
(٣) تحفة المجالس ، ص ١٣٩ .
(٤) إعلام الناس ، ص ١٠٣ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٧٣ .
(٦) المحاسن والأضداد ، ص ٢٣٩ .
(٧) المصدر نفسه ،ص ١٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العجز معالم جمال مرغوبة في المرأة . ووصفت المرأة التي عشقها الرقاشي من خلال وصف محمد بن جعفر النحوي نقلا عن عمرو الوراق ،بأنها ضامرة البطن . يقول : " رأيت جارية خرجت من دور آل سليمان بن علي ، فما رأيت جارية أحسن منها ، هيفاء "(١) . ولقد عدّوا العجز الخفيف مما يسيء إلى قوام المرأة وكانت مكنونة تعيّر بأنها خفيفة العجز .

وقد انتقلت هذه السمات الجمالية من الحضر إلى البادية ،فأخذت نساء البادية يعنين بالرشاقة والقد الممشوق ، كما يمكن أن نستخلص من حديث محمد بن وهيب (٢) الشاعر . قال : " جلست بالبصرة إلى عطار ، فإذا أعرابية سوداء قد جاءت، فاشترت من العطّار خلوقا . فقلت له : تجدها اشترتها لابنتها ، وما ابنتها الا خنفساء ! فالتفتت إليّ متضاحكة ثم قالت: لا والله الا مهاة خبنداة(٣) إن قامت فقناة ، وإن قعدت فحصاة ،وإن مشت فقطاة ، أسفلها كثيب ، وأعلاها قضيب لا كفتياتكم اللواتي تسمنونهن بالفتوت ثم انصرفت "(٤) .

على أننا قد نصادف من أحب المرأة ذات العكن ،وهذا شاذ ونادر ، يصف الحسين الخليع إحدى النساء فيقول : "لها بطن كطي القباطي(٥) ، وعكن مثل القراطيس" (٦) .

---

(١) الاصفهاني ،الأغاني ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ١٩٥٩ ،دار الثقافة، بيروت ، ج ١٦ ، ص ١٨٤ .

(٢) محمد بن وهيب الشاعر :محمد بن وهيب الحميرى ،شاعر من أهل بغداد ، من شعراء الدولة العباسية ،أصله من البصرة ،وله أشعار كثيرة يذكرها ويتشوقها ويصف ايطانة اياها ومنشأه بها ، انقطع للمامون حتى مات سنة ٢٢٥هـ. انظر: الأغاني ،ج ١٩ ،ص ٣ ،المرزباني ،معجم الشعراء ،ص ٣٥٧، الصفدى ،الوافي بالوفيات ، ج ٥ ،ص ١٧٩).

(٣) خبنداة : الممتلئة ،وقيل الثقيلة الوركين ،انظر لسان العرب: مادة خبند .

(٤) الاصفهاني ،الأغاني ، ١٩٦٠ ، دار الثقافة ،بيروت ،ج ١٩ ،ص ١٣ . الفتوت: الخبز المفتوت. انظر: المصدر نفسه ،والصفحة نفسها .

(٥) القباطي : القبط: جيل بمصر ،والقبطية: ثياب كتان بيض رقاق تعمل بمصر وهي منسوبة الى القبط على غير قياس ،والجمع قباطِي ،وقَباطِي ،انظر: لسان العرب ، مادة ،قبط .

(٦) المحاسن والأضداد ، ص ٢٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما الأرداف فينبغي أن تكون ملتفة مكتنزة لينة ناعمة ،وقد شبّهوها بالكثيب لارتفاعه . ويطلب خالد بن صفوان في الزوجة التي يريدها أن تكون " ليّنة الأطراف ،ثقيلة الأرداف ،أعلاها عسيب ، وأسفلها كثيب" (١) ،ويصف أبو الحسن الدمشقي جارية ،فيقول :" لها ردف ثقيل ، إن أقبلت فتنت ، وإن ولّت قتلت " (٢) .

ولعلّ ما يرويه لنا الأصمعي على لسان أعرابي رسم الصورة المثالية لجمال المرأة ،يوضح لنا أن السمات الجمالية التي تطلّبها رجل المدينة في المرأة لم تختلف عما تطلّبة رجل البادية فيها :" قال أعرابي لابن عمه :اطلب لي امرأة تقوم فلا يصيب قميصها منها الا مشاشة منكبيها ،. . . . . ،ورضاف ركبتيها ،إذا استلقت فرميت تحتها بالأترجّة العظيمة ،نفذت من الجانب الآخر . فقال له ابن عمه : وأنى بمثل هذه إلاّ في الجنان ؟!" (٣) .

أما الساق ،فرغبوا فيها ريّا تخرس الخلخال ،فدقة الساقين عيب في المرأة ،كما يتضح من قول هارون بن عبد الملك بن المأمون :" لما عرضت الخيزران على المهدي ،قال لها : والله يا جارية ،إنك لعلى غاية المتمنّي ،ولكنك حمشة الساقين "(٤) لكن ذكاءها عوّض هذا العيب فيها ،فأصبحت سيدة البلاد .

ويبدي خالد بن صفوان رأيه في المرأة الجميلة فيذكر ضمن سماتها أنها " خدلّجة الساقيين ،لفاء الفخذين " (٥) .

---

(١) المحاسن والأضداد ، ص ١٧١ .
(٢) إعلام الناس ، ص ٧٣ .
(٣) عيون الأخبار ،ج ٤ ، ص٦ . الأترجّة :شجر بستاني من جنس الليمون ناعم الورق والحطب ، انظر :المصدر نفسه ،والصفحة نفسها.
(٤) أخبار الأذكياء ،ص ٢٣٠ ، انظر كذلك :عبد الرحمن سنيط قنيتو الأريلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، مختصر من سير الملوك ،وقف على طبعه وتصحيحه مكي السيد جاسم ،بغداد ، ص ١١٦ .
(٥) المحاسن والأضداد ،ص ١٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أحبّوا المرأة الطويلة ، وشبّهوا طولها بغصن البان ، وقضيب الخيزران . ويرى خالد بن صفوان أن الطول عمود الجمال . إلاّ أن الطول المفرط عيب يسيء إلى قوام المرأة ، يقول الجاحظ : " رأيت امرأة طويلة القامة جدا ، ونحن على طعام ، فأردت أن أمازحها ، فقلت : انزلي حتى تأكلي معنا ، قالت : وأنت اصعد حتى ترى الدنيا (١) . أراد أن يسخر من طولها ، فسخرت من قصره .

ويعبّر خالد بن صفوان عن ذوق رجال عصره في طول المرأة بقوله في وصف إحدى النساء : " لا الطول أزرى بها ولا القصر " (٢) . ويؤكد أبو الحسن الخليع ما قاله خالد في وصفه لاحدى النساء فيقول : " لا بالطويلة الشاهقة ، ولا بالقصيرة اللاصقة " (٣) .

ونسمع في هذه الفترة بالمرأة الخماسية والسداسية ، أي المرأة التي يبلغ طولها خمسة أشبار ، من هذا وصف أبي الحسن الخليع لطول إحدى الجواري التي رآها في البصرة ، يقول : " جارية نائمة خماسية القد " (٤) .

ومن السمات التي تطلّبها رجال العصر في الجارية كما يذكر ابن سلاّم أن تكون " جيدة الشطب (٥) " (٦) . وأهم الأوصاف التي رأوا أن تتوافر في المرأة الجميلة القد ، عدم الترهّل والارتخاء . يقول الجاحظ : " ورأيت أكثر الناس من البصراء بجواهر النساء الذين هم جهابذة هذا الأمر يقدمون المجدولة . والمجدولة من النساء تكون في منزلة بين السمينة والممشوقة . وإنما يريدون بقولهم مجدولة : جودة العصب وقلة الاسترخاء وأن تكون سليمة من الزوائد والفضول " (٧) ويضيف أيضا : " على أن النحافة في المجدولة أعم ، وهي بهذا

---

(١) أخبار الأذكياء ، ص ٢٢٨ .
(٢) المحاسن والأضداد ، ص ١٧١ .
(٣) إعلام الناس ، ص ٧٣ .
(٤) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .
(٥) الشطب : جارية شطبة : طويلة حسنة ، انظر : لسان العرب ، مادة شطب .
(٦) ابن سلاّم ، طبقات الشعراء ، ص ٢٧ .
(٧) النساء ، ص ٢٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تحبب على السمان الضخام وعلى الممشوقات والقضاف ، كما تحبب هذه الصفات على المجدولات . وقد وصفوا المجدولة فقالوا : " أعلاها قضيب وأسفلها كثيب " (١) فالمرأة المرغوب فيها ينبغي أن تكون وسطا بين النحافة والسمنة ، من غير ترهل ، لأن النحيفة التي تبرز عظامها وتظهر عروقها غير مرغوب فيها ، وكذلك السمينة .

واعتبرت استقامة القامة في المرأة أساس جمالها . وقد بيّن ذلك الجاحظ بقوله : " ولا بدّ من جودة القدّ ، وحسن الخرط ، واعتدال المنكبين واستواء الظهر " (٢) . ونجد في العصر العباسي من حرص على أن تكون جواريه بقدّ واحد ، كما كانت الحال عند جواري الخليفة المأمون . ويصف أحمد بن محمد الحريري هؤلاء الجواري ، فيقول : " وهن بقد واحد ، لا تزيد الواحدة منهنّ على الأخرى " (٣) .

ولقد قالوا في قوام المرأة الجميلة : " خمصانة وسيفانة ، وكأنها جان ، وكأنها جدل عنان ، وكأنها قضيب خيزران " (٤) . ويصف عمرو الورّاق قوام إحدى النساء فيقول : " كأنها خوط بان ، أو جدل عنان " (٥) . ويصف محمد بن كناسة جارية رآها في طريق الكوفة فيقول : " كأنها قضيب بان " (٦) .

ويتبع القوام الجميل كما تطلبوا مشية ناعمة جميلة ، فيها دلّ وأنوثة . يقول الجاحظ : " والتثني في مشيها أحسن ما فيها ، ولا يمكن ذلك الضخمة والسمينة وذات الفضول والزوائد " (٧) . ويصف خالد بن صفوان قوام إحدى

---

(١) النساء ، ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٧٤ .
(٣) إعلام الناس ، ص ١٠٢ .
(٤) أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، الجواري والغلمان ، تحقيق عبد السلام هارون ، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ج ٢ ص ١٢١ .
(٥) الاصفهاني ، الأغاني ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ١٩٥٩ ، دار الثقافة ، بيروت ، ج ١٦ ، ص ١٨٤ .
(٦) المصدر نفسه ، ١٩٥٨ ، دار الثقافة ، بيروت ، ج ١٣ ، ص ٣٣٩ .
(٧) النساء ، ص ٢٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجواري ومشيتها فيقول : " أعلاها عسيب ،وأسفلها كثيب ،لها بطن مخطف ، وخصر مرهف ،تتثنّى تثنّي الخيزران وتميل ميل السكران" (١) ويصف الحسين الخليع للرشيد مشية إحدى النساء فيقول : " فما كان إلاّ أن طلعت جارية تمشي مشية مستوحل (٢) ، ترتج من دقّة خصرها على كبر عجزها ،ذات عجيزتين تختطفان الأنفس اختطافا " (٣) . ويصف أثر مشية المرأة على نفسه أيضا فيقول: " تخطر على أكباد محبّها في مشيتها " (٤) . ثم يصف كذلك اعجاب رجال العصر بتثنّي مشية المرأة فيقول : " سمعت أبي يقول ،بينا أنا جالس بباب الكرخ إذ مرّت بي جارية لم أر أحسن منها وجها ولا قدا تتثنّى في مشيها " (٥) . فالتثنّي دلالة على طول المرأة وليونة قوامها وهما من مقومات الأنوثة في ذاك العصر .

ولكي تستوفي المرأة شروط الجمال ،لا بدّ من جمال صوتها ورقّته ،ولا بدّ من دلّها ونعومتها التي تعتز بها وتحاول أقصى جهدها أن تظهرها ، لأنها عنوان أنوثتها وطريقها لقلب الرجل . ومن منا لم يسمع ببيت الشعر الذي عبّر به بشّار بن برد عن عشقه للمرأة من خلال صوتها :-

يا قوم أُذني لبعْضِ الحيّ عاشقةٌ
والأُذْنُ تَعْشَقُ قبلَ العَيْنِ أحْياناً

تلك المرأة التي جاءت إليه في مجلسه ،وبادلته الحديث ،فعشقها لرقّة صوتها (٦) ويعبّر أبو نواس عن اعجابه بصوت امرأة فيقول : " فشبهت كلامها بعقد درّ وهي

---

(١) المحاسن والأضداد ، ص ١٧١ .
(٢) مستوحل :استوحل : صار ذا وحل .انظر :لسان العرب،مادة وحل.
(٣) المحاسن والأضداد ، ص ٢٤٣ .
(٤) إعلام الناس ، ص ٥٧ .
(٥) الاصفهاني ،الأغاني ،تحقيق عبد الستّار أحمد فراج ،١٩٥٩، دار الثقافة ،بيروت ،ج ١٨ ،ص ٣٣٠ .
(٦) الاصفهاني ،الأغاني ،١٩٥٥ ،دار الثقافة ،بيروت ،ج٣ ،ص ١٦٥ .انظر كذلك :ديوان بشار، جمعه وشرحه وعلّق عليه الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، ١٩٧٦ ،الشركة التونسية للتوزيع ـ الشركة الوطنية للنشر /الجزائر ج ٤ ، ص ٢١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سلكه فانتشر ،بنغمة عذبة رقيقة رخيمة ،لو خوطب بها الصّم الصّلاب لانبجست مع وجه يظلم لنوره ضياء العقول ، وتتلف في روعته مهج النفوس ، وتحف في محاسنة رزانة الحلـــيم " (١) .

وقد سعى الرجل لنيل رضى المرأة ،فتغنّى بجمالها ووصفها بكل معنى جميل ، والتفت العباسي إلى بيئته ،فاختار أجمل ما فيها ليشبّه المرأة به يقول الجاحظ :" وسموا الجارية غزالا ،وسموها خشفا ،وسهرة ، وفاختة ، وحمامة ،وزهرة ،وقضيبا ،وخيزرانا "(٢) . وينقل لنا ابن عائشة وصف مطيع(٣) ابن اياس لاحدى الجواري فيقول :" مرّ مطيع بن اياس بالرصافة ،فنظر إلى جارية قد خرجت من قصر الرصافة كأنها الشمس حسنا "(٤) . ويصف اسحاق بن إبراهيم امرأة فيقول :" خرجت إلينا جارية كأنها ظبية "(٥) . ويصف أبو الحسن الدمشقي جواري في مجلس شراب في البصرة ،فيقول :" وإذا ثلاث جوارٍ قد أقبلن كأنهن الأقمار "(٦) ويطري محمد بن كناسة إحدى الجواري فيقول لها :" أنت لوضعت لقالوا ضاعت جارية ،ولو قالوا ضاعت ظبية لكانوا أصدق "(٧) .

---

(١) أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربّه الأندلسي ،العقد الفريد ، شرحه وضبطه وصححه ورتّب فهارسه أحمد أمين ،أحمد الزين ،ابراهيم الأبياري ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م ، القاهرة ،ج ٦ ، ص ٤١١ - ٤١٢ .

(٢) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ،الحيوان ،مكتبة مصطفى الحلبي ،ج ١ ، ص ٢١١

(٣) مطيع بن اياس الكناني ،أبو سلمى شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، كان ظريفا مليح النادرة ماجنا ، متهما بالزندقة مولده ومنشأه بالكوفة ، انقطع في الدولة العباسية الى جعفر المنصور ،وكان صديقا لحماد عجرد وحماد الراوية . أقام ببغداد زمنا وولاّه المهدى العبّاسي الصدقات بالبصرة . (انظر: الأغاني ،ج ١٢ ،ص ٧٥ - ١٠٤ ، الشابشتي ،الديارات ،١٥٩ ، تاريخ بغداد ، ج ١٣ ،ص ٢٢٥ ،ابن المعتزّ ، طبقات الشعراء ، ص ٩٤ - ٩٦).

(٤) الأصفهاني ،الأغاني ، ١٩٥٨ ، دار الثقافة ،بيروت ،ج ١٣ ،ص ٢٩٠ .

(٥) المصدر نفسه ، ١٩٥٦ ،دار الثقافة ،بيروت ،ج ٥ ، ص ٣٨٦ .

(٦) إعلام النساس ، ص ٧٧ .

(٧) الاصفهاني ،الأغاني ،١٩٥٨ ،دار الثقافة ،بيروت ،ج ١٣ ،ص ٣٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونرى الجاحظ يتصدّى لهذا الوصف الذى حفل به الشعر الجاهلي والاسلامي فينكره ،لأن المرأة أجمل من كل ما شبّهت به ، لأن حيوية الجمال في المرأة مخالفة لجمود الجمال بكل ما شبّهت به ، يقول الجاحظ :" وقد علم الشاعر ، وعرف الواصف ، أن الجارية الفائقة الحسن أحسن من الظبية ، وأحسن من البقرة ، وأحسن من كل شيء تشبّه به . ولكنهم إذا أرادوا القول ، شبّهوها بأحسن ما يجدون ،ويقول بعضهم : كأنها الشمس ،وكأنها القمر ، والشمس وإن كانت بهيّة ،فانما هي شيء واحد ، وفي وجه الجارية الحسناء وخلقها ضروب من الحسن الغريب والتركيب العجيب ،ومن يشكّ في أن عين المرأة الحسناء أحسن من عين البقرة ،وأن جيدها أحسن من جيد الظبية ؟ والأمر فيما بينهم متفاوت ،ولكنهم لو لم يفعلوا هذا وشبّهه لم تظهر بلاغتهم وفطنتهم" (١) .

وهنا نتساءل : هل نظر الرجل للمرأة على أنها جسد فقط دون أن يلتفت إلى الجمال المعنوي فيها ؟ هذا ما سأحاول أن أتحرّاه فيما وصلنا من أدب الفترة الذى يرتبط بهذه الدراسة .

---

(١) النساء ، ص ٢٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا : الجمال المعنـــــوي :-

اهتم الرجل في العصر العباسي بجمال المرأة المعنوي إلى جانـــب اهتمامه بجمالها الحسّـي ،فهي إنسانة يتعامل معها ، ويسرّ بذكائهـــا ، ويعجب بثقافتها ، ويؤسر بدلالها ورقّتها . ولعلّ شيئا من هذا يتبـــيّن من وصف علي بن الجهم إحدى الجواري إذ يقول :" فأقبلت تحدثنا ، فـــإذا عقل كامل ، وجمال فاضـل "(١) . كما أن الحوار الذي دار بين أبـــي عيسى الرشيد (٢) ،وعبد الله بن العباس الربيعي (٣) حال انتهاء مجلسهم مع عسالج يعتبر هو الآخر دليلا على اهتمام الرجل بمحاسن المرأة المعنويـــة إضافة إلى محاسنها الحسّية . يقول أبو عيسى :" عشقتها وحياتي يا عبد اللـــه فقال : لا والله يا سيدى ، وحياتك ما عشقتها ، ولكن استملحت كل مـــا شاهدته منها من منظر ،وشكل ، وعقل وعشرة وغنـــاء "(٤) . وهـــذا اسحاق الموصلي يعبر عن اعجابه ببوران زوج المأمون قائلا : " ولا شاهـــدت من النساء امرأة تقارنها فهما ، وعقلا ، وحلاوة ، وشكـــلا "(٥) .

---

(١) المحاسن والأضـداد ، ص ١٥٤ - ١٥٥ .

(٢) أبو عيسى الرشيد : اسمه أحمد ،وقيل : بل اسمه صالح بن الرشيـــد وهذا نسب أشهر من أن يشرح . وأمه أم ولد بربرية . وكان من أحســـن الناس وجها ومجالسة وعشرة ،وكان يقول شعرا لينا طريا ،توفي سنـــة ٢٠٩ هـ . (انظر: الأغاني ،ج ١٠ ،ص ١٩٧ ،الأنبذة والخمور ،ص ٢٩٤) .

(٣) عبد الله بن العباس الربيعي : عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع وكان شاعرا مطبوعا ،ومغنّيا محسنا ، جيد الصنعة حسن الرواية ،توفـــي سنة ٢٩٦ . (انظر: الأغاني ، ج ١٩ ،ص ١٦٤ ، تاريخ بغـــداد ج ١٠ ، ص ٣٦) .

(٤) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى ،نهاية الأرب في فنـــون الأدب ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ،وزارة الثقافة والارشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف ، والترجمة والطباعة والنشـــر ، السفر الخامس ، ص ١٣٨ .

(٥) تحفة المجالـــس ، ص ١٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يعد جمال المرأة المادي كافيا لكي يختارها الرجل زوجة له ، فلا بدّ أن يرفده جمال معنوي يضمن للرجل مع زوجه حياة مستقرة هانئة . فهذا خالد بن صفوان يطلب في زوجه التحلّي بالتواضع والقناعة . يقول : " قد عاشت في نعمة ، وأدركتها حاجة ، فخلق النعمة معها ، وذلّ الحاجة فيها ، وأن تكون واسطة في قومها ، ترضى مني بالسنّة ، إن عشت أكرمتها ، وإن متّ ورّثتها ".(١)

وينصح من أراد الزواج أن تتوافر في زوجه - إضافة إلى ما سبق - العفّة لأنها تاج المرأة ، يقول : " من تزوج امرأة ، فليتزوجها عزيزة قومها ، ذليلة نفسها ، أدبّها الغنى وأذلّها الفقر ، حصانا من جارها "(٢) . وهذا أبو عمرو بن العلاء(٣) يهتمّ بأصل المرأة ، على اعتبار أن العرق دساس . يقول : " لا أتزوج امرأة حتى أنظر إلى ولدي منها . قيل له : وكيف ذاك ؟ قال : أنظر إلى أبيها وأمها ، فانها تجرّ بأحدهما "(٤) .

أما رجل البادية ، فقد أحب المرأة المتواضعة في نفسها ، العزيزة في أهلها ، الكثيرة الانجاب . وقد بيّن لنا ذلك الأصمعي حين نقل عن " جميع ابن أبي غاضرة ، وكان شيخا مسنّا من أهل البادية من ولد الزبرقان بن بدر من قبل النساء ، قال : " أحب كنائني إليّ الذليلة في نفسها ، العزيزة في رهطها ، البرزة(٥) الحييّة (٦) التي في بطنها غلام ، ويتبعها غلام "(٧)

---

(١) عيون الأخبار ، المجلد الرابع ، ص ٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٤ .
(٣) أبو عمرو بن العلاء المازني البصري ، أحد القراء السبعة ، وهو في في النحو في الطبقة الرابعة من علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال الأصمعي : سألت أبا عمرو عن ألف مسألة ، فأجابني فيها بألف حجة . (انظر ، وفيات الأعيان ، ج ٣ ، ص ٤٦٦-٤٧٠ ، الكتبي ، فوات الوفيات ، ١ : ص ٣٣١).
(٤) عيون الأخبار ، المجلد الرابع ، ص ٣ .
(٥) البرزة : الموثوق برأيها وعفافها . انظر : عيون الأخبار ، ج ٤ ، ص ٤ .
(٦) الحييّة : امرأة ذات حياء . انظر : لسان العرب ، مادة حيا .
(٧) عيون الأخبار ، المجلد الرابع ، ص ٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم تستطع المرأة أن تنجو من المؤثرات الحضارية التي عمّت البلاد ولا سيّما ما ارتبط منها بالثقافة . فلكي تنال المرأة إعجاب الرجل ، كان لا بدّ لها من الثقافة.وقد كان لهذه الميّزة شأن وقيمة عند تقدير قيمة الجارية ،إذ كانت تخضع لامتحان صعب قبل الشراء للتعرّف على مستواها الثقافي .

ولو استعرضنا رأى رجال العصر في الجواري اللواتي لمعت أسماؤهنّ وكان لهنّ شأن في زمانهنّ ،رأينا أنهنّ كنّ على درجة عالية من الثقافة والذكاء إلى جانب الجمال الحسّي . ولعل الكلام الذى أورده حماد بن اسحاق عن أبيه في عريب يلخص لنا تلك المرحلة الطويلة التي كان يستغرقها تعليم الجارية وتأديبها . يقول :" ما رأيت امرأة أضرب من عَريب ،ولا أحسن صنعة ،ولا أحسن وجها ،ولا أخف روحا ،ولا أحسن خطابا ،ولا أسرع جوابا، ولا أجمع لخصلة حسنة "(١) .

ويقول محمد بن داود (٢) بن الجراح في عِنان :" جارية الناطفي،شاعرة ظريفة أديبة ،كانت تجلس للشعراء ، ويجتمعون عليها ،فيلقي كل رجل منهم الأبيات والمعاني النادرة ، فتجيبه بديها"(٣) . ويقول الأصفهاني :" كانت عِنان صفراء جميلة الوجه ،شكلة مليحة الأدب والشعر ، وسريعة البديهة ،وكان فحول الشعراء يساجلونها فتنتصف منهم "(٤) . وقد كان طبيعيا في مجتمع يروج فيه بيع الجواري وإلماء أن يهتمّ النخّاسون بثقافتهن وتنمية أذواقهنّ واحساسهنّ الجمالي ، كما يهتمّون بمظهرهنّ ،ويحاولون عرضهنّ في صورة مغرية جذّابة لرفع أثمانهنّ .

(١) الاصفهاني ،الاغاني ،تحقيق عبد الستار أحمد فراج ،١٣٧٩هـ/١٩٦٠م ، دار الثقافة ،بيروت ،ج ٢١ ، ص ٥٨ .

(٢) محمد بن داود الجراح :كاتب عارف بارع ،عالم بأيام الناس وأخبارهم ودول الملوك ، من تصانيفه كتاب الورقة .توفي سنة ٢٩٦هـ (انظر :الوافي بالوفيات ج ٣ ،ص٩٥٣ ،فوات الوفيات ،ج ٢ ،ص٢٥١ ،تاريخ بغداد ،ج ٥ ،ص٢٥٥) .

(٣) ابو عبد الله محمد بن داود الجراح ،الورقة ،تحقيق د .عبد الوهاب عزام ،وعبد الستار أحمد فراج ،ط٢ ،دار المعارف ،مصر ،ص ٤٢ .

(٤) الاصفهاني ،الأغاني ،تحقيق عبد الستّار أحمد فراج ،١٣٨٠هـ/١٩٦٠م دار الثقافة ،بيروت ،ج ٢٢ ،ص ٥٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وليس عجيبا أن تتمتّع الجواري بسرعة خاطر ملحوظة ، وذكاء متفتّح ، وثقافة نافعة ، يستعنّ بها في شؤون حياتهنّ . وبعضهنّ كنّ نجيبات أصلا ثم صقلتهن أيدي المربين والمثقفين ، واكتسبن بالمعاشرة ، والمجالسة ما هنّ بحاجة إليه من دقة الملاحظة وسرعة الفهم وصواب الإجابة ، مما جعلهن ينلن إعجاب المستمعين ويملكن عليهم أفئدتهم . فهذه جارية بلغت من الذكاء حدا استطاعت معه أن تحل رمز رسالة جاءت لسيدها ، بعد أن عجز الجميع عن حلّها ، فانتزعت بذلك إعجاب الحاضرين . فقد " غضب المأمون على طاهر بن عبد الله (١) ، فأراد طاهر أن يقصده ، فورد كتاب له من صديق له ليس فيه الاّ سلام ، وفي حاشيته " ياموسى " . فجعل يتأمله ولا يعلم معنى ذلك وكانت له جارية فطنة فقالت : إنه يقول يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك " (٢) ومن ذلك أيضا الجاريتان اللتان أدخلتا على المنصور ، فأعجب بهما ، إذ قالت التي دخلت أولا : " يا أمير المؤمنين ، إن الله فضّلني عليها بقوله : " والسابقون الأولون " . فقالت الأخرى : " لا بل الله فضّلني عليها بقوله : " وللآخرة خير لك من الأولى " (٣) .

وقد تجلّى ذكاء المرأة ورقّة إحساسها في سلوكها ، كما قد يتضح من المروية التالية : " كان في جملة حظيّات الرشيد واحدة لم ترزق جارية من الجمال ما رزقته هي ، وكان الرشيد إذا أتحفهنّ بشيء ، ردّت المذكورة حصتها ، وهو يفتاظ من ذلك . واتفق يوما أنه نثر عليهن جواهر لها قيم ، فالتقطنها ، ولم تمد تلك إليها يدا ، ثم أحضر جواهر غيرها ، وخيّرهن فيها ، فاخترن ، وقال لتلك

---

(١) طاهر بن عبد الله : كان شاعرا مترسلا بليغا وكذلك أبوه طاهر بن الحسين ولكل واحد منهما مجموعة رسائل ورسالة طاهر بن الحسين الى المأمون عند فتح بغداد مشهورة . وهي حسنة . (انظر : الفهرست : ابن الأثير ، ص ١٧٠ . الكامل في التاريخ ، ج ٧ ، ص ١٤-١٥ ، ٦٤ ، ١١٨ ، ١٦٥ ، ٢٧٩) .

(٢) سورة القصص ، آية " ٢٠ " ، عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الله ابن الجوزي ، الظراف والمتماجنين ، تقديم وتعليق محمد بحر العلوم ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م ، منشورات المكتبة الحيدرية ، النجف ص ١٤٨ - ١٤٩ .

(٣) نهاية الأرب ، ج ٤ ، ص ١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم لا تختارين أسوة بصواحبك ؟ قالت: إن كان لي ما أختاره فسأفعل، وجاءت، وأخذت بيده ،وقالت: هذا اختياري من جميع جواهر العالم . فأعجب الرشيد بها وسمّاها خالصة ، وفاقت سائرهنّ في الحظوة منه وفي الثوائب والصلات، والمواهب" (١) .

وكثيرا ما كان يعتزّ الرجل بالإجابات الذكية التي يسمعها من جواريه ويتحدّث عنها ،ومن ذلك ما حدث به علي بن الجهم إذ قال :" اشتريت جارية فقلت لها : نجعل مجلسنا في القمر ؟ فقالت: ماأولعك بالجمع بين الضرائر! ، ونظرت إلى الشمس كاسفة ، فقالت :احتشمت محاسني ،فتنقبت" (٢) .

وكانت بعض الإجابات الذكية للمرأة تعبّر عن مدى ثقتها واعتزازها بجمالها ،فكانت تمتدح هذا الجمال أمام الرجل ،فيعجبه ذكاؤها وجمالها معا . من هذا :" أن قراريط جارية أحمد بن سليمان قدمت إليه المائدة ونسيت الملح ،فقال لها : أين الملح ؟ فقالت:في وجهي "(٣) ويقول أبو نواس : استقبلتني امرأة ، فأسفرت عن وجهها ،فكانت على غاية الحسن . فقالت: ما اسمك ؟ قلت: وجهك . فقالت: أنت الحسن إذن "(٤) ويقول علي بن الجهم عن جاريته أنها :" كانت تكره الحليّ وتقول : يستر المحاسن ،كما يغطي القبائح" (٥) .

وهذه فريدة تصل بذكائها إلى ما تريد دون أن تعلن عن مرادها صراحة ،ودون أن ينتبه أحد من الجالسين إلى أنها استفسرت عن أمر شغل

---

(١) أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني ،الجماهر في معرفة الجواهر، الطبعة الأولى ،١٣٥٥هـ ،ص ٥٨ .
(٢) علاء الدين علي بن عبد الله البهائي الغزولي ،مطالع البدور في منازل السرور ،الطبعة الأولى ،١٣٠٠هـ ،ج الأول ،ص ٢٦٢ . انظر كذلك : ابن الجوزي ،أخبار الأذكياء ، ص ٢٣٣ .
(٣) أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي ،لطائف اللطف ،تحقيق د . عمر الأسعد ،الطبعة الأولى ،١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ،بيروت ،ص ٩٨ .
(٤) أخبار الأذكياء ، ص ٢٣٠ .
(٥) مطالع البدور، ج ١ ،ص ٢٤٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالها ، يروى الهشامي عن عمرو(١) بن بانة قوله : " غنيت الواثق ، قلت :

قلتُ حِبلاً فاقبلي معذرتي ما كذا يجزي محبٌ من أحب

فقال لي : تقدّم إلى الستارة ، فألقه على فريدة ، فألقيته عليها ، فقالت : هو حلّ أو خل ، كيف هو ؟ فعلمت أنها سألتني عن صاحبها في خفاء من الواثق " (٢) .

وها هي شارية تطلب الصلات والهدايا ، وتحصل عليها دون أن تحرج نفسها بالتصريح . يقول جحظة(٣) : " كنت عند المعتمد يوما ، فغنته شارية بشعر مولاها ابراهيم بن المهدي ولحنه :-

يا طُولَ علّةِ قلبيَ المعتادِ إلفَ الكرامِ وصحبةَ الأمجادِ

فقال لها : أحسنت ! قالت : هذا غنائي وأنا عارية ، فكيف لو كنت كاسية ؟ فأمر لها بألف ثوب من جميع أنواع الثياب ، فحمل ذلك إليها " (٤) .

وإذا نال جواب المرأة اعجاب الرجل ، كافأها بالهدايا والصلات تقديرا لفطنتها وذكائها . من هذا ما روى عن المهدي أنه قابل امرأة من بني ثعل ، فسألها : ممن العجوز ؟ قالت : من طيء . فقال : مامنع طيئا أن يكون فيها آخر مثل حاتم ؟ فأجابت : الذى منع العرب أن يكون فيها آخر مثلك . فأعجب بجوابها ووصلها " (٥) .

---

(١) عمرو بن بانة : هو عمرو بن بانة بن محمد بن سليمان بن راشد مولى ثقيف كان مغنيا محسنا ، وشاعرا صالح الشعر ، وصنعته متوسطة ، وكان مرتجلا وكان معهودا في ندماء الخلفاء ومغنيهم ، (انظر : الأغاني ، ج ١٥ ، ص ٢١١ ، نهاية الأرب ، ج ٥ ، ص ٢١ ، وفيات الاعيان ، ج ٣ ، ص ٤٧٩) .

(٢) الاصفهاني ، الاغاني ، ١٩٥٥ ، دار الثقافة ، بيروت ، ج ٤ ، ص ١١٧ .

(٣) جحظة : أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن برمك شاعر مفحم مطبوع في الشعر حاذق بصناعة غناء الطنبور حسن الأدب ، وقد لقي العلماء والرواة وأخذ عنهم ، توفي بواسط سنة ٣٢٦هـ . (انظر الفهرست ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩ ، معجم الأدباء ، ج ٢ ، ص ٢٤١-٢٨٢ ، الكامل في التاريخ ج ٧ ، ص ٧٧ و ١٥١) .

(٤) الاصفهاني ، الأغاني ، ١٩٥٥ ، دار الثقافة ، بيروت ، ج ٤ ، ص ١٠٢ ، انظر كذلك نهاية الأرب ، ج ٥ ، ص ٨٨ .

(٥) المحاسن والمساوئ ، ص ٤٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا الأمر غير مقتصر على الخلفاء، فهذا إبراهيم بن هرمة[١] الشاعر يعجب بذكاء ابنته فيكافئها عليه. يروى عبد العزيز بن عمران ما يلي: " نزلت على ابنة لإبراهيم بن هرمة الشاعر فقلت: انحري لنا جزورا. فقالت: لا والله ما هي عندنا، قلت: فبقرة، قالت: لا. قلت فشاة. قالت لا. قلت: فدجاجة قالت: ما هذا عندنا. قلت: فأين قول أبيك:

لا أُتْبِعُ العُوذَا الفِصالَ ولا
أُبتاعُ إلّا قريبةَ الأجَلِ

قالت: فذاك والله أفناها. فبلغ ذلك والدها. فقال: هي والله ابنتي حقّا، ومنحها ماله دون الذكور[٢].

وكم من جارية تمتعت بذكاء حاد عوّضها عن نقص في جمالها الحسّي. فقد امتنع الرشيد عن شراء جارية لعيب في أنفها وبشرتها فقالت: يا أمير المؤمنين، أردني إليك أنشدك بيتين حضراني. فردّها، فأنشأت تقول:

ما سَلِمَ الظبيُ على حُسنِهِ
كلّا ولا البدرُ الذي يوصفُ
الظبيُ فيه خنسٌ بيّنٌ
والبدرُ فيه كلفٌ يعرفُ

فأعجب بذكائها، واشتراها، وأصبحت من أحظى جواريه عنده[٣].

---

(١) ابراهيم بن هرمة: هو ابراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة الفهري، شاعر غزل من سكان المدينة، مدح كثيرا من ملوك الامويين ثم ورد على المنصور فأبعده ثم رضي عنه (انظر، ابن الجوزي، أخبار الاذكياء، ص ٤٠، ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص ٢٠-٢١، الاغاني، ج ٤، ص ١٠٢، الجاحظ، الحيوان، ج ٦، ص ١٢٦.

(٢) محمد بن اسحاق النحوي الوشاء، الفاضل في صفة الادب الكامل، تحقيق يوسف يعقوب مسكوني، جمعه ووضع فهارسه حكمت رحماني، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ج ٢، ص ٨٣-٨٤.
العوذ: الحديثات النتاج من الظباء والابل والخيل الصحاح: انظر المصدر نفسه، والصفحة نفسها. الفصال: ولد الناقة اذا فصل عن امه، والجمع فصلان. انظر: المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) أخبار الاذكياء، ص ٢٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد استطاعت المرأة أن تنتزع اعجاب الرجال لمواقف لها أعجبتهم فاعترفوا بذكائها ، وأثنوا عليه ، ومن هؤلاء الرجال أدباء وخلفاء . من ذلك شهادة المأمون لمن سمّيت بأم أبيها . قال : " قاتلها الله ! فلو كانت رجلا لكانت أقعد بالخلافة من كثير من الخلفاء "(١) . وها هو الجاحظ يعترف بذكاء إحدى النساء وتفوقها عليه فيقول : " ما أخجلني قطّ إلاّ امرأة أخذت بيدي ، وأتت بي إلى نجار وقالت : مثل هذا ، ثم تركتني ومضت ، فبقيت متعجّبا من أخذها لي مثالا ، فسألت النجار بعد ذلك فقال : إن هذه المرأة سألتني أن أصنع لها مثال شيطان تفزع به ولدها ، فطلبت منها مثالا ، فجاءتني بك "(٢) .

ولبشار مع إحدى النساء حكاية تخرج منها منتصرة عليه ، فيعترف بذلك . " قالت امرأة لبشار : " أي رجل أنت لو كنت أسود اللحية والرأس " ؟ قال بشار : أما علمت أن بياض البزاة أثمن من سود الغربان " ؟ فقالت له : " أما قولك فحسن في السمع ، ومن لك بأن يحسُن شيبك في العين كما حَسُنَ قولك في السمع ؟ فقال : بشار : " ما أفحمني قطّ غير هذه المرأة " (٣) .

وكان الجواري يتخلّصن من المواقف الصعبة بأسلوب ذكي يخجل من حاول أن يخجلهن ، فيتركونهن وشأنهن ولا يعاودونهن . وهذا أبو نواس يحاول أن يخجل عِنان مرارا ، ولكنها انتصرت عليه ، فبلغت شهرتها الآفاق حتى إن الرشيد طلب شراءها من مولاها . ومن مواقفها مع أبي نواس ما تبيّنه الحكاية التالية : تحدث أن وقع بينها وبين أبي نواس شرّ ، فاستعانت بسفهاء الكرخ ،

---

(١) أبو الحسن علي بن محمد المعروف بالشاشتي ، الديارات ، تحقيق كوركيس عواد ، ط٢ ، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ص ٣٥-٣٦ . أم أبيها : ابنة الرشيد وأمها جارية تدعى شذر ، انظر المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٢) تحفة المجالس ، ص ٢٨٠ .

(٣) الاصفهاني ، الأغاني ، ١٩٥٥ ، دار الثقافة ، بيروت ، ج ٣ ، ص ١٩٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وطلبت منهم أن يصيحوا ويعطعطوا* اذا رأوا أبا نـــواس :

أبو النّوَاسِ اليمانـــــي وأمّـــهُ جُلّبُـــــانِ
والنغلُ أفْطَـنُ شـــيءٍ إلى حروف المعانـــي

ففعلوا ،وانتشرت الحكاية ، فقال له الفضل بن الربيع ،واسماعيل بن صبيـــح : " بالله عليك ألاّ أخجلتها ، وإن أخجلتها ،فلك عندنا ما تحب " . فحـــاول أبو نواس إحراجها أمام جماعة من الناس فلم يوفـــق " (١) .

وعلى الرغم مما كانت توصف به الجواري من سوء الخلق ،إلاّ أن هـــذه القاعدة ليست عامة ، إذ نرى أن بعضا منهن كنّ ذوات أخلاق كريمة ونفـــوس شريفة وأدب جمّ ،ظهر في تصرفاتهن . ومن هؤلاء الجارية التي " أهديـــت إلى المأمون" ،ولما أدخلت عليه ،طلب منها أن تغني ،ففنت وهي قائمة . فلما سئلت عن سبب وقوفها أثناء الغناء ،أجابت : " يا سيدي ،أمرتني أن أغنّي ولم تأمرني أن أجلس ،ففنيت بأمرك ،وكرهت سوء الأدب في الجلوس بغير إذنـــك فاستحسن ذلك منها ووصلهـــــا " (٢) .

وقد سجّلت المصادر التاريخية والأدبية لبعض الجواري وفاءً خالدا وعفّـة نفس وترفّعا عن حب المال،مثبتة بذلك أن ما أشيع عن الجواري في العصر العباسي من مثالب كان أمرا مبالغا فيه ،إذ إن معظم من كتبوا عن الجواري ،ركّزوا علـــى الجوانب السلبية فيهنّ ،ولعل فيما يرويه لنا اسحاق عن أبيه دليلا على وجـــود الوفاء عند الجارية . فقد قام بزيارة الري واستضافه أحدهم ،وأخرج له جاريتـــه

---

* العطعطة : صوت المجان اذا قالوا عيط ،عيط وذلك اذا غلبوا غيرهـــم ، جلّبان : حق اللغة أن ترفع النون لأن " جلّبان" خبر المبتـــدأ . النغل : عنت به عنان أبا نـــواس .

(١) ابن منظور المصرى ،أبو نواس في تاريخه وشعره ومباذله وعتبه ومجونه ،قدّم له وأشرف على تصحيحه وتقسيمه عمر أبو النصر ، ١٩٧٥ ،دار الجيـــل ، بيروت ،ص ٣٧ .

(٢) أبو الفضل أحمد بن طاهر الكاتب المعروف بابن طيفور ،كتاب بغداد ،عني بنشره ،وراجع أصله ووقف على طبعه السيد عزّت العطار الحسيـــني ، ص ٩١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لتغنّي من وراء الستارة ،فذكره غناؤها بالعراق وشوّقه له . فطلب الموصلي عودا وغنى ،فخرجت إليه الجارية من وراء الستارة ،فأكبت على رأسه وقالت: " أستاذي والله " . فسألها سيدها : أي أستاذك هذا ؟ قالت: إبراهيم الموصلي . فإذا هي إحدى الجواري التي كانت قد أخذت الغناء عن إبراهيم الموصلي وطال العهد بها ،فأكرمه مولاها ووصله " (١) .

ولعلّ مطالبة الجارية قلم بحق مولاها الذى باعها للواثق يعدّ كذلك دليلا على وفاء الجارية لسيدها . فقد أمر الواثق لصالح بن عبد الوهاب بخمسة آلاف دينار ثمنا لقلم ،ولكن ابن الزيات لم ينفذ أمر الواثق ،فنعم الواثق بقلم ولم ينل مولاها إلاّ الحرمان ،فأرسل لها من يعلمها بذلك ،فلم تشعر بالراحة ولا الاستقرار حتى دفع الواثق لمولاها ما أرضاه وأرضاها" (٢) .وهذه دنانير تقدّم لنا مثالا في العرفان بالجميل لأستاذها الذى علّمها حتى وصلت إلى مستوى فنّي رضي عنه مولاها . روى حكم الوادي أنه دخل على يحيى بن خالد البرمكي ،فأمر له بطعام وشراب ،ثم غناه حكم :

بنفسي مَنْ قلبي له الدهرُ ذاكرٌ
ومَنْ هو عني معرض القلبِ صابرُ

فاستعاده منه مرارا ،ثم قال له : يا أبا يحيى ،ألقه على دنانير ،فإن أخذته فلك خمسمائة دينار ،وبعد جهد ،أخذت دنانير اللحن ،فأمر لها مولاها بألف دينار ولأستاذها بخمسمائة ،ولكنها قالت لسيدها :" وحياتك يا سيدى لأشاطرنّ أستاذى الألف " (٣) .

---

(١) الاصفهاني ،الأغاني ،١٣٥٦هـ/١٩٧٦م ،نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ،ج ٥ ،ص ١٨٨ - ١٨٩ .
(٢) نهاية الأرب ، ج ٥ ، ص ٧٢ .
(٣) أبو اسحاق ابراهيم المعروف النديم ،قطب السرور في أوصاف الخمور ، تحقيق أحمد الجندى ،١٩٦٩ ، دمشق ، ص ٢٣ - ٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد نرى الجارية تمد يد العون إلى من يحتاج إليه ، ولا تمُنّ عليه في ذلك ،ولا تستعجل سداده . يقول يعقوب بن بيان عن شارية : " كانت أكرم الناس ،عاشرها أبو الحسن علي بن الحسين ،ثم ضاق في وقت ، فاقترض منها على غير رهن عشرة آلاف دينار ،فأقرضته ،ومكثت أكثر من سنة ما ذكرته بها ولا طالبته بردّها " (١) .

ونرى من النساء الحرائر والجواري من يفصحن عما في نفوسهنّ دون تهيّب أو وجل ،حتى وإن كان الأمر يتعلق بالخلفاء . فقد جاء في تاريخ الخلفاء : " أن امرأة اعترضت المهدي فقالت له ،يا عصية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - انظر في حاجتي ،فقال : ما سمعتها من أحد قطّ . اقضوا حاجتها ،وأعطوها عشرة آلاف درهم " (٢) . وهذه سكن تتصدى للمعتصم عندما استخفّ بها . فقد أراد شراءها في حياة مولاها بعشرة آلاف دينار ،فرفض سيدها بيعها ،فلما مات ،اشتريت من تركته بألف دينار ،فلما دخلت على المعتصم قال لها : قد عرضنا عليك عشرة آلاف دينار . فأجابته : " إذا كان ملك الأرض ،وخليفة الله ينتظر ، . . . . ،بالمواريث فكثير لمثلي مئة دينار ! فاستظرفها وعجب من جوابها وحظيت عنده " (٣) . ومن لا يعجب بتلك المرأة التي اشتكت الأمير عيسى بن موسى للقاضي شريك لأنه اعتدى على أرضها ،وبقيت تطالب بحقّها حتى نالته كاملا . ويحدثنا إبراهيم بن المهدي عن جرأة إحدى النساء التي قامت باخفائه في منزلها مدة ثلاثة أيام وهو مطارد من رجال المأمون (٤).

وتميّزت بعض نساء العصر بالظرف ،وروح المرح والدعابة ،كما يتبيّن من هذه الرواية لأبي جعفر بن الدهقانة ،قال : " إن جارية للمعتصم قالت له لما ماتت متيم وإبراهيم المهدي وبذل : يا سيدي ،أظن أن في الجنة عرسا ،فطلبوا

---

(١) نهاية الأرب ،ج ٥ ،ص ٨٧ .
(٢) جلال الدين السيوطي ،تاريخ الخلفاء ،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،ص ٢٧٤ .
(٣) لطائف اللطف ، ص ١٠٠ - ١٠١ .
(٤) تحفة المجالس ، ص ١٤٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هؤلاء إليه "(١). ومن طريف الصدف أن احترق منزل هذه الجارية بعد ثلاثة أيام، فجاءت المعتصم باكية، فقال لها: ما احترق منزلك، لكن أهل العرس استعاروه!

وإذا تحدثنا عن رجاحة العقل وسلامة المنطق عند النساء في المجتمع العباسي، فلا بدّ من الحديث عن زبيدة زوج الرشيد، التي تجلّى عقلها الراجح ومنطقها السليم من خلال المواقف التي سجّلتها لها المصادر. فقد رفضت أن تخرج لتثأر ممن قتل وحيدها. يقول المسعودي في مروج الذهب: "لما قتل محمد، دخل إلى زبيدة بعض خدمها فقال لها: ما يجلسك وقد قتل أمير المؤمنين محمد؟ فقالت: ويلك!! وما أصنع؟ فقال: تخرجين، فتطلبين بثأره، كما خرجت عائشة تطلب بدم عثمان. فقالت: اخسأ لا أم لك، ما للنساء وطلب الثأر ومنازلة الأبطال"(٢).

وقد عدّها الجاحظ ضمن من ذكر من العقلاء الذين أحاطوا بالرشيد. قال: "اجتمع للرشيد ما لم يجتمع لغيره: وزراؤه البرامكة، وقاضيه أبو يوسف - رحمه الله - وشاعره مروان بن أبي حفصة، ونديمه العباس بن محمد عم أبيه، وحاجبه الفضل بن الربيع، أنبه الناس وأعظمهم، وزوجته زبيدة"(٣).

ويتجلّى تعقل زبيدة وبعد نظرها في وصيتها لعلي بن عيسى حين خرج هذا لقتال المأمون بعد أن وقعت الفتنة بينه وبين أخيه الأمين. قالت في تلك الوصية: "إن أمير المؤمنين، وان كان ولدي وإليه انتهت شفقتي فإني على عبد الله منعطفة، مشفقة لما يحدث عليه من مكروه وأذى، فاعرف لعبد الله حق ولادته وأخوته، ولا تجبهه بالكلام، فإنك لست له بنظير، ولا تقتسره اقتسار العبيد، ولا توهنه بقيد ولا غلّ، ولا تمنع عنه جارية ولا خادما، ولا تعنّف

---

(١) الاصفهاني، الأغاني، ١٩٥٦، دار الثقافة، بيروت، ج ٧، ص ٢٩١.
(٢) مروج الذهب، ج ٣، ص ٤١٥.
(٣) تاريخ الخلفاء، ص ٢٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عليه في السير ،ولا تساوه في المسير ،ولا تركب قبله ،وخذ بركابه ،وإن شتمك فاحتمل منه ، ثم دفعت إليه قيدا من فضة ،وقالت إن اصار إليك فقيّده بهذا القيد " (١) .

ومن النساء العباسيات من تسامت عن الشماتة والانتقام ،وهي قادرة. فهذه الخيزران تكرم مزنة زوج مروان (٢) بن محمد ،مع أنها كانت قد أساءت لاحدى نساء بني العباس ،فلم تعاملها بالمثل ،بل أمرت جواريها ، فعدلت بها إلى بعض المقاصير ،وأمرت بتغيير حالها والإحسان اليها" (٣).

ومنهنّ من لم تتخل عن عزّة النفس في أصعب المواقف وأشدّها إيلاما. فهذه لبانة بنت ريطة عروس الأمين ،ترثي زوجها القتيل رثاء يمتزج فيه التفجع بالأنفة :-

أبكيك لا للنعيم والأنس ... بل للمعالي والسيف والترس
أبكي على سيد فجعتُ به ... أرْملني قبل ليلة العرس
يا مالكاً بالعراء مُطّرحا ... خانته أشراطه مع الحَرَس (٤)

---

(١) الكامل في التاريخ ،مجلد ٦ ،ص ٢٤٠ .
(٢) مروان بن محمد : آخر خلفاء بني أمية ، وعنه انتقلت الى بني العباس ،ويقال له الجعدى ،ويقال له الحمار ،وكان شجاعا صاحب دهاء ومكر ،وكانت أيامه فتن وهرج ومرج ،ولم تطل أيامه حتى هزمته الجيوش العباسية فقتل بقرية اسمها بوصير من قرى صعيد مصر سنة اثنتين وثلاثين ومائة (انظر: الفخري في الآداب السلطانية ، ص ١٢٣ ،البغال ،ص ٣٦٦ ، تاريخ بغداد ج ١٣ ،ص ١٤٦) .
(٣) مروج الذهب ، ج ٣ ،ص ٣١٤ .
(٤) المصدر نفسه ،ص ٤١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأخرج مما سبق بأن النظرة الى المرأة في العصر العباسي لم تكن محصورة في الناحية الحسّية المادية دون غيرها إذ تعدّتها إلى نواح معنوية مثل حسن الأدب ،وجودة المنطق ،وسلامة الفكر ،وغزارة المعرفة ،وحسن التأتي للأمور ،وما إلى هذه الصفات مما يضيف إلى الجمال الحسّي جمالا معنويا لا بدّ من توافره في المرأة ،لكي تتكامل شخصيّتها وتستحق اعجاب الرجال بها وتقديرهم لها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثا : الملابس والتزيّن :

الازياء ظاهرة قديمة جديدة في حياة المرأة، بما فيها من ابتكار أو تقليد. وعندما يذكر الابتكار في الازياء النسائية في الفترة التي نعني بها في هذا البحث، تطالعنا علية بنت المهدي سيدة الانأقة في زمنها. فهي التي ابتكرت العصائب زينة جميلة، فقلدتها النساء، وبدأن يطعمن عصائبهن باللؤلؤ والجوهر. يقول ابو الحسن الدمشقي في جوار للرشيد : " دخلت على هارون الرشيد، وعلى رأسه جوار كالتماثيل، فرأيت عصابة منظمة بالدرّ والياقوت مكتوبا عليها في صفائح الذهب" .(١) ويقول الشاعر علي بن الجهم: " حضرت مجلسَ بعض الظرفاء، فخرجت علينا جارية وعليها عصابة قد أرسلت لها طرفين على صدرها" (٢).

ومن النساء من كنّ يضعن التيجان على رؤوسهن مكلّلة بالجوهر والياقوت والذهب. يصف عمرو بن مسعدة جارية فيقول : " وعلى رأسها تاج من الذهب، تحته عصابة مكتوب عليها بماء الفضة :

جنيّةٌ ولها جنٌّ يعلمها
ترمي القلوب بسهم ما له وتَرُ (٣).

وقد أولمت حمنة للمأمون وليمة، فغنّته ثلاث قينات حسان توّجن رؤوسهن بتيجان ذهب مكلّلة بالجوهر. وربما صنعت النساء الذهب على شكل النرجس وشبنه بالفضة. يقول علي بن محمد، إنه سمع أباه يقول : " إن المهدي نظر إلى جارية له عليها تاج فيه نرجس من ذهب وفضة، فاستحسنه ". (٤) ويذكر الشابشتي في كتاب الديارات " أن المهدي زوّج ابنه الرشيد بأم جعفر ابنة

---

(١) العقد الفريد، ج٦، ص ٤٢٤ .
(٢) الموشى، ج١، ص ٢٢٤ .
(٣) تحفة المجالس، ص ٣٠٢ .
(٤) ابو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، ج٨، ص ١٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أخيه ، فاستعدّ لها ما لم يستعدّ لامرأة قبلها من الآلة والصناديق والجوهر والحلي والتيجان والاكاليل " (١).

ومن الملابس النسائية التي ابتكرتها عليّة " البرنس " ، وهو غطاء للرأس رصّعته بالجواهر وحلّته بسلسلة ذهبية مطعّمة بالاحجار الكريمة ، وحذت النساء حذوها . ومن ملابس الرأس المقانع ، فهذه حمنة تخرج للمأمون جواري وعلى رؤوسهن مقانع رشيدية (٢). ويصف لنا حماد بن اسحق عن أبيه جارية عند الرشيد فيقول : " كانت ترتدي قناعا موردا (٣). وقد استعان إبراهيم ابن المهدي بالازياء النسائية الشائعة ليخفي نفسه من السلطة وقال في ذلك : " قمت فتزييت بزيّ النساء بالخف والنقاب " (٤). وهذه متيّم جارية الهشامي " لم تكن تخرج الا متنقبة " (٥). ويصف لنا جحظة جارية فيقول : " بينما أنا جالس على باب داري يوما ، إذ أقبلت جارية متنقبة " (٦). ولم يكن النقاب زيّا ضروريا للجارية ، فمنهنّ من ظهرن بمكشوفات الرؤوس. ومن ذلك وصف الحسين الخليع لإحدى الجواري إذ يقول : " حاسرة الرأس مفتوحة الجربان " (٧). ويصف عمرو بن مسعدة جواري فيقول : " عليهنّ الديباج الأحمر ومناطق الذهب ، مكشوفات الرؤوس " (٨).

---

(١) الديارات ، ص ١٥٦ .
(٢) إعلام الناس ، ص ١٠٣ .
(٣) الاصفهاني ، الاغاني ، ١٩٥٦ ، دار الثقافة ، بيروت ، ج ٥ ، ص ٢٧٠ .
(٤) ابو بكر علي بن محمد بن حجة الحموى القادرى الحنفي ، ثمرات الاوراق في المحاضرات ، شرحه وضبطه د. مفيد محمد قميحة ، ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م. دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص ١٦٠ .
(٥) نهاية الارب ، ج ٥ ، ص ٦٨ .
(٦) قطب السرور في أوصاف الخمور ، ص ١٦٢ — ١٦٣ .
(٧) المحاسن والاضداد ، ص ٢٣٩ .
(٨) تحفة المجالس ، ص ٣٠١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولقد اتخذت النساء القلانس اللطيفة على رؤوسهن للتزيّن ، وكنّ يتّخذنها في أغلب الاحايين من الديباج. يصف الجماز (١) جارية أسماء بنت المهدي فيقول : " خرجت وعلى رأسها قلنسوة ابريسمي رقيقة منسوجة بالذهب" (٢).

وقد ارتدت المرأة الإزار ،وهو عبارة عن قطعة قماش كبيرة تلف على الجسم، تعقد على وسطه من تحت السرّة. وقد تفنّنت المرأة في حياكته ،فوضعت له الزنانير وخيوط الابريسم والذهب ليزيدها جمالا وأناقة. يقول علي بن هشام في جاريته متيم إنها " أول من عقد من النساء في طرف الازار زنّارا ، وخيط ابريسم (٣) ، ثم تجعله في رأسها ،فيثبت ولا يتحرّك " (٤).

وارتدت المرأة السراويل التستّرية والقزّ والملحم. يصف لنا الجماز جارية أسماء بنت المهدي فيقول : " إنها كانت ترتدي سراويل وشي أخضر منسوج بالذهب" (٥). ويصف حماد بن اسحق جارية للرشيد فيقول :" كانت ترتدي سراويل موردة " (٦).

---

(١) الجماز: لقب له ،ومعناه الوثاب،وهو محمد بن عمرو بن عطاء بن ريان ، شاعر أديب بصري ،معاصر لأبي نواس ،وكان أكبر منه سنّا. دخل بغداد في أيام الرشيد ،وأعجب به المتوكل يوما ، فأمر له بعشرة آلاف درهم. (انظر كتاب البغال ،ص ٢٣٢ ، تاريخ بغداد ،ج ٣ ،ص ١٢٥ ، عيون التواريخ حوادث ٢٥٠ ،الطبقات ، ص ٣٧٣ — ٣٧٥).

(٢) ابو هفان ،عبدالله بن احمد بن حرب المهزمي ،أخبار ابي نواس، تحقيق عبدالستار احمد فراج ،دار مصر للطباعة ،ص ٢٨ — ٢٩.

(٣) الابريسم: الحرير ،انظر: تاج العروس ،مادة أبرم.

(٤) الاصفهاني ،الاغاني ،١٩٥٦ ،دار الثقافة ،بيروت ج٧ ، ص ٢٨٧.

(٥) ابو هفان ،اخبار ابي نواس ، ص ٢٨ — ٢٩.

(٦) الاصفهاني ،الاغاني ،١٩٥٦ ،دار الثقافة بيروت، ج ٥ ،ص ٢٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وارتدت المرأة السراويل . يقول أبو الحسن الدمشقي واصفا جارية : " عليها فلالة (١) زوردية " (٢) . يصف أبو الحسن الأسدي جارية جالست مطيع بن إياس فيقول : " عليها فلالة رقيقة مطيبة " (٣) .

ومن ملابس النساء القمصان ، وهي متنوعة ، منها الطبرية والرشيدية . يصف حماد بن اسحق على لسان والده جارية رآها عند الرشيد فيقول : " عليها قميص مورّد " (٤) . ويصف الحسين الخليع جارية فيقول : " عليها قميص لاذ (٥) جلناري (٦) " . أما الماوردي فيقول في وصف جارية لعمرو بن مسعده : " عليها قميص موشّح " (٧) .

أما الدراعة (٨) ، فهي رداء للمرأة والرجل . فقد كتبت بنان جارية الخيزران على ترانين درّاعة لها بذهب :

لم تقل قولا ولكن حَلَفَتْ
أنها أحسنُ عين أطرقت (٩) .

ولقد رغبت النساء في الزنانير ليبدو هيف خصورهن . يقول أحمد ابن صدقة (١٠) : " دخلت على المأمون في يوم الشعانين ، وبين يديه

---

(١) الفلالة : الثوب الذي يلبس تحت الثياب . انظر : لسان العرب ، مادة : فلل .
(٢) إعلام الناس ، ص ٧٨ .
(٣) الاصفهاني ، الاغاني ، ١٩٥٨ ، دار الثقافة ، بيروت ، ج ١٣ ، ص ٣٢٥-٣٢٦ .
(٤) المصدر نفسه ، ١٩٥٦ ، دار الثقافة ، بيروت ، ج ٥ ، ص ٢٧٠ .
(٥) لاذ : ثياب حرير تنسج بالصين . انظر : لسان العرب ، مادة : لوذ .
(٦) المحاسن والاضداد ، ص ٢٣٩ .
(٧) الموشى ، ج ١ ، ص ٢١٩ .
(٨) الدّراعة : جبّة مشقوقة من المقدم . انظر : لسان العرب ، مادة : درع .
(٩) الموشى ، ج ١ ، ص ٢٢٠ .
(١٠) احمد بن صدقة : كان ابوه حجازيا مغنيا قدم على الرشيد وغنى له ، وكان احمد طنبوريا محسنا مقدما حاذقا محكم الصنعة ، ولم يزل بالعراق حتى بلغه موت بنية له بالشام ، فشخص نحو منزله وخرج اليه الاعراب فقتلوه . (انظر : نهاية الارب ، ج ٥ ، ص ٣٣) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عشرون وصيفة روميات مزنـرات " (١) . وشاعت المناطق (٢) الذهبية . يقـول ابن الزبير (٣) : إن جارية المتوكل شجرة الدرّ أهدت اليه عشرين وصيفـة بمناطق ذهب . ولقد نالت تلك المناطق المصنوعة من الذهب قسطا وافـرا من الاهتمام، حتى إن الكثير منها قد رصع بالاحجار الكريمة . يصف عمـرو ابن مسعدة جواري فيقول : " وجاءت عشرة أخرى عليهن الوشي المنسوج بمناطق الذهب " (٤) . وهذا أحمد بن محمد الحريري يصف جواري حمنة بنـت عبيد الله الهاشمي فيقول : " عليهن من ألوان الثياب ما يعجز عنه الوصـف، وفي وسطهن مناطق الذهب الاحمر " (٥) . ويصف يوسف ابن الداية جاريـة على باب أسماء بنت المهدي فيقول : " عليها منطقة ذهب على زرياب (٦) حرير عريض، وقد غابت في خصرها من انهضامه فما يكاد يبـين " (٧) .

ومن النساء من تزيّت بزي الغلمان . وكانت زبيدة هي التي ابتكـرت هذا الزي للجواري بعد أن آثر الامين الغلمان ورفع منازلهم . " فألبستهـنّ الاقبية والمناطق ، وأبرزتهن للناس، فاتخذ الناس من الخاصة والعامـة الجواري المطموسات، وألبسوهن الاقبية (٨) والمناطق ، وسموهن الغلاميات " (٩) .

---

(١) الاصفهاني ، الاغاني ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م، دار الثقافة ، بيروت ، ج ١٢ ، ص ٢١٧ .

(٢) المناطق : جمع نطاق : وهو ما تشدّ به المرأة وسطها . أنظر : لسان العرب ، مادة : نطق .

(٣) ابن الزبير ، القاضي الرشيد ، صاحب كتاب الذخائر والتحف .

(٤) تحفة المجالس ، ص ٣٠٢ .

(٥) إعلام الناس ، ص ١٠٣ .

(٦) زرياب : الاصفر من كل شيء وكذلك الذهب ، انظر : لسان العرب مادة : زرب .

(٧) ابن منظور ، ابو نواس ، ص ١٤١ .

(٨) الاقبية : جمع قباء ، بالفتح ، وهو ثوب يلبس فوق الثياب ، وقيل ثوب يلبس فوق القميص ويتمنطق عليه . انظر : الاغاني ، ج ٥ ، ص ٣٠٠ .

(٩) مشاكلة الناس ، ص ٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويصف والد حماد بن اسحق غلامية فيقول : " كأنها صورة ، تامة الحسن ، لطيفة الخصر ، في زيّ غلام ، عليها أقبية ومنطقة "(١) . ويصف لنا أحمد ابن محمد الحربي جواري المأمون فيقول : " وقد لبسن الوشي بطرر وشعور وأصداغ "(٢) . ولم يكن زي الغلمان خاصة بالجواري فقط ، إذ إن ابنة المهدي البانوقة قد تزيبت به . ويذكر علي بن محمد عن أبيه قوله : " رأيت المهدي وقد دخل البصرة من سكة قريش ، فرأيته يسير والبانوقة بين يديه بينه وبين صاحب الشرطة ، عليها قباء أسود ، متقلدة سيفا في هيئة الغلمان "(٣).

وكانت ثياب النساء المترفات تحاك من الحرير والديباج الموشى . ولقد رغبن في الوشي رغبة شديدة ، فانتشر بينهن . ويحدثنا اليعقوبي أن زبيدة " اتخذت رفيع الوشي ، حتى بلغ ثوب وشي عمل لها خمسين ألف دينار "(٤). ويذكر لنا أنواع الاقمشة السائدة في ذلك العصر فيقول : " الوشي السمور والديباج والخز والملحم والدبيقي "(٥) .

وقد تفننت المرأة في تجميل القماش ، فزينته بالذهب والفضة . ومن النساء من لبست الأقمشة البسيطة كالقطن والصوف ، ومنهن من ألجئن إلى لبس الثياب المرقعة . قالت ربق جارية إبراهيم بن المهدي : " استزار المعتصم من إبراهيم بن المهدي جواريه ، وكان في جفوة من السلطان ، فحضرنا مجلس المعتصم ونحن في سراويلات مرقعة ، فجعلنا نرى جواري المعتصم وما عليهن من الجواهر والثياب الفاخرة "(٦) .

---

(١) الاصفهاني ، الاغاني ، ١٩٥٦ ، دار الثقافة ، بيروت ، ج٥ ، ص٣٠٠ .
(٢) إعلام الناس ، ص ١٠٢ .
(٣) تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص ١٨٦ .
(٤) مشاكلة الناس ، ص ٢٧ .
(٥) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .
(٦) الاصفهاني ، الاغاني ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٥٦هـ — ١٩٧٦م ، ج١٦ ، ص ١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد رغبت النساء في جعل الاكمام واسعة والجيوب مفتوحة، والأثواب مذيّلة . حدّث أبو جعفر قال: " بينا محمد بن زبيدة الأمين يطوف في قصره، إذ مرّ بجارية له، عليها كساء خزّ تسحب أذياله " (١).

وقد أعرضت النساء المترفات عن الثياب ذات الألوان المصبوغة، وارتدت ما هو أصلي من جلناري، وورد ي، وأزرق، وأبيض، وأخضر. وكان اللون الأسود دليلا على الحزن والحداد. فبعد وفاة الامين، أمرت زبيدة " بثيابها فسوّدت ولبست مسحا(٢) من الشعر " (٣). أما اللون الأبيض، فكان لباس المهجورات، وفيه امارة الحزن أيضا. فهذه محبوبة تأتي بثياب بيضاء بعد وفاة المتوكل دلالة على حزنها. أما اللون الأحمر، فقد اعتبر آية الطرب والفرح.

ولقد ولعت جواري العصر العباسي بزركشة ملابسهن بالأشعار والأقوال التي كانت تتغير تغيّرا، وكنّ ينقشنها بالذهب والفضة والسلك والعنبر على العصائب وطرر الارْدية والقلانس والمناديل والخفاف. أما موضوعات هذه الأشعار، فكانت تدور حول الحب والهجر تارة، والهيام والوصال والاعتزاز بالجمال الأنثوي تارة أخرى . . . الخ. يقول علي بن الجهم: " حدثني الحسن بن وهب (٤) قال: " كتبت شعب على قلنسوة جاريتها شكل:

لم ألق ذا شجن يبوح بحبه إلّا حسبتك ذلك المحبوبا

---

(١) العقد الفريد، ج٦، ص ٤٠٩.

(٢) مسح: يجمع على امساح، وسوح. وهو ثوب من الشعر غليظ. انظر: تاج العروس، مادة: مسح.

(٣) مروج الذهب، ج٣، ص ٤١٥.

(٤) الحسن بن وهب: الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو، ابو علي الكاتب، وهو معرق في الكتابة فأباؤه واجداده كلهم كتبة في الدولتين الاموية والعباسية. وكان الحسن يكتب بين يدى محمد بن عبد الملك الزيات وولي بعض الاعمال بدمشق ومات وهو يتولى البريد آخر أيام المتوكل ومولده سنة ١٨٦. أنظر: الصفدى: الوافي بالوفيات، ج١٢ ص٢٩٧، الفهرست، ص١٧٧، الاعلام، ج٢، ص٢٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حذرا عليك وإنني بك واثـــــق أن لا ينال سواي منك نصيبا (١)

وقد تشكو الجارية من قسوة الحبيب وشدة حبها له . يقول الماوردي : رأيـــت جارية ونحن عند محمد بن عمرو بن مسعدة ، وكانت فوق وصف الواصف مـــــن الحسن والجمال ، وعليها قميص موشح ، ورداء مكتوب في وشاح القميـص :

أغيبُ عنكَ بودٍّ لا يُغـــــيِّرُهُ نأيُ المَحلِّ ولا صرفٌ مِنَ الزَّمَنِ
تعتلُّ بالشُّغلِ عنّا ما تُكلمُنـــا الشُّغلُ للقلبِ ليس الشغلَ للبدنِ

وعلى طراز الـــرداء :

أقلُّ الناسِ في الدنيا سـروراً محبٌّ قد نأى عنه الحبيـــبُ (٢)

وقد تعتز المرأة بجمالها وتتحدث عنه . قال علي بن الجهم ، كتبت حدائـــق في كفها بالحنـــاء :

ليس حُسنُ الخِضابِ زَيّنَ كفّـي حُسنُ كفّي زيّنَ لكلِّ خِضـــابِ (٣)

ومن الجواري من عمدت إلى الكتابة على خدها أو جبهتها بالمســـك والعنبر والحناء عبارات لاجتذاب الأنظار واستمالة القلوب : " قال علـــي ابن الجهم : " كان المتوكل مشغوفا بقبيحة أم ولده المعتز ، لا يصبر عنها . فوقفت له يوما وقد كتبت على خدها بالغالية ، جعفر " (٤) فسرّه ذلـــك . وقال أيضا : " رأيت على خد جارية لفاطمة بنت محمد بن عمران الكاتـــب مكتوبا بالمسك :

رضيت على زُغمي بحبّك فاعدلـي ولا تسرفي إذ صار في يدك الحكم (٥)

---

(١) العقد الفريد ، ج ٦ ، ص ٤٢٦ .
(٢) الموشى ، ص ٢١٩ .
(٣) العقد الفريد ، ج ٦ ، ص ٤٢٧ .
(٤) تاريخ الخلفاء ، ص ٣٥٠ .
(٥) الموشى ، ص ٢٤٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم تقتصر الكتابة على الشعر فقط، بل قد يخترن عبارات نثرية تسرق لهن، فهذه فرحة جارية علي بن الجهم تكتب على عصابتها بالريش: " من صبر ظفر " (١). وكتبت كنوز جارية إبراهيم بن اسحق على جبينها بالمسك: " العشق والكتمان لا يجتمعان " (٢). وكتبت بعض الجواري عبارات تدل على مجونهنّ. فقد كتبت المستحسنة جارية اللاحقي على طرازها الايمن: " من داري خليلة، داوى عليلة " وعلى طرازها الايسر: " .... استحق العطاء " (٣). وكتبت جارية البرمكي: " عبارة تخدش الحياء " (٤). والجدير بالذكر أن هذا النوع من الزركشة اختصّت به الجواري وترفعت عنه الحرائر.

وقد لبست النساء الخفاف، وزوّقنها بالفضة والذهب، وكتبن عليها الأشعار، ولبسن النعال التي تصر عند المشي لاجتذاب الأنظار. يصف الحسين الخليع إحدى الجواري فيقول: " تخطر على أكباد محبها في مشيها، وقد خالط أصوات نعلها وخلاخيلها كل جزء من محاسنها " (٥). ويصف الجماز نعل جارية لاسماء بنت المهدي قائلا: " وفي رجليها نعل مدبجة الدروز " (٥). ويصف يوسف بن الدابة نعل إحدى الجواري فيقول: " وفي رجليها نعل مفشاة بديباج " (٦).

وتتحدث المصادر عن شغف المرأة في العصر العباسي بالجواهر المختلفة الأنواع وتغنّنها بالتزين بها. فهذا المهدي " لما زوّج الرشيد بأم

---

(١) مطالع البدور، ج١، ص ٢٧٨.
(٢) المصدر نفسه، ص ٢٧٩.
(٣) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
(٤) ابو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، القسم الثاني، عني بتحقيقه والتعليق عليه: د. ابراهيم الكيلاني، مكتبة اطلس ومطبعة الانشاء / دمشق، ص ٤٣٣.
(٥) المحاسن والاضداد، ص ٢٣٩.
(٦) ابو هفان، أخبار ابو نواس، ص ٢٨ — ٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جعفر أعطاها بدنة عبدة إمرأة هشام ولم ير في الاسلام مثلها ومثل الحب الذى كان فيها . وكان في ظهرها وصدرها خطّان من ياقوت أحمر، وباقيها من الدرّ الكبار الذى ليس مثله " (١) .

وقد بلغ من أعزاز زبيدة والمغالاة في تزيينها بالجواهر الكريمة ما قارب الوهم. فقد ألقي عليها في ليلة عرسها من الجواهر ما أثقلها فلم تقو على المشي . ولم تكن زبيدة العروس الوحيدة التي بالغت في تزيين نفسها بالجواهر . يروى الصولي عن عبدالله بن سهل قال : " لما بنى المأمون على بوران بنت الحسن بنت سهل، وانحدر إليهم إلى ناحية واسط، فرشت يوم البناء حصير من ذهب، ونثر عليه جوهر كثير، فجعل بياض الدرّ يشرق على صفرة الذهب، فقال المأمون لمن حوله من بنات الخلفاء : شرّفن أبا محمد . فمدّت كل واحدة منهن يدها فأخذت درة ، وبقي باقي الدر يلوح على الحصير الذهب" (٢) . واذا رجعنا زمنيا قليلا إلى الوراء نجد المصادر تتحدث عن الجواهر النادرة والكثيرة التي تزينت بها أم سلمة عروس السفاح . وقد اقتنت السيدات العباسيات مجموعات كبيرة من الحلي ، فقد ذكرت المصادر أن تركة شجاع أم المتوكل من الجواهر قاربت مليون دينار . ويذكر القاضي ابن الزبير أنه عثر لدى قبيحة زوج المتوكل على ثلاثة أسفاط في أحدها زمرّد لم ير مثله قط، وفي الآخر نصف مكوك من حب كبار لؤلؤ، وفي الأخير فصوص ياقوت أحمر، فقوّم ذلك، فكانت قيمته ألف ألف دينار" (٣) . وورد على لسان أم جعفر البرمكي أن لها مائة جارية ،كل واحدة لها ثياب وجواهر تخالف الاخرى . وهؤلاء جواري الرشيد يجلسن معه وهنّ في أحسن

---

(١) البدنة : ما يلبس من الثياب على البدن ،والمراد بها هنا ضرب من القمصان لا أكمام لها ،تلبسها النساء . انظر : الديارات، ص ١٥٦ .

(٢) تاج الدين ابي طالب علي بن أنجب المعروف بابن الساعي ،نساء الخلفاء المسمى أسمات الائمة من الحرائر والاماء ،حققه وعلّق عليه د . مصطفى جواد ،دار المعارف مصر، ص ٧٠ .

(٣) مطالع البدور، ج٢، ص ١٤٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

زي، من كل نوع من أنواع الثياب والجوهر" (١). وكانت زبيدة "أول من اتخذ القمص اللؤلؤ مفصلة بالجوهر وشمع العنبر" (٢). أما أنواع الجواهر التي استخدمتها المرأة للزينة، فمنها حلي العنق، وأهمها القلائد والمخانق والعقود. يصف الحسين الخليع حلية جارية فيقول: "متقلدة خرزا من الذهب والجوهر" (٣). وهذا الواثق يقدم لفريدة عقدا فاخرا يسترضيها به بعد أن أغضبها. وقد علقت النصرانيات الصلبان في أعناقهن. يقول أحمد بن صدقة واصفا جواري المأمون في عيد الشعانين: "علّقن في أعناقهن صلبان الذهب" (٤). وكانت القلائد من أجمل الهدايا التي تقدمها المرأة للمرأة. يقول الهشامي: "وجهت مؤنسة جارية المأمون إلى ستيم جارية علي بن هشام مخنقة في وسطها حبّة لها قيمة جليلة كبيرة، وعن يمين الحبة ويسارها أربع بواقيت وأربع زمردات، وما بينهما من شذور الذهب" (٥).

ولبسَ النساء الخلاخل في أرجلهن، والأساور في معاصمهن، وأزنادهن والأقراط في آذانهن، والخواتم المرصعة بالبواقيت. وكانت المرأة تلحّ على زوجها كي يحضر لها الحليّ لتتزيّن بها. فهذه زوج العتابي (٦) تلومه قائلة: "هذا منصور النمري قد أخذ الاموال فحلّى نساءه، وأنت هاهنا كما ترى" (٧).

---

(١) الاصفهاني، الاغاني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٧، ج ١٠، ص ١٨٢.
(٢) مشاكلة الناس، ص ٢٧.
(٣) المحاسن والاضداد، ص ٢٣٩.
(٤) الاصفهاني، الاغاني، تحقيق عبدالستار احمد فراج، ١٩٦٠-١٣٨، دار الثقافة، بيروت، ج ٢٢، ص ٢١٧.
(٥) الاصفهاني، الاغاني، ١٩٥٦، ج ٧، ص ٢٩١.
(٦) العتابي: هو كلثوم بن عمرو العتابي، من شعراء الدولة العباسية، كان منقطعا للبرامكة فوصفوه للرشيد ووصلوه به، فبلغ عنده كل مبلغ، ت ٢٢٠. (انظر: فصل ما بين العداوة والحسد، ص ٣٥٥، زهر الآداب، ج ١، ص ١١٥ - ١١٦. ابن المعتز، الطبقات، ص ٢٦١-٢٦٤).
(٧) الاصفهاني، الاغاني، ١٩٥٨، ج ١٣، ص ١٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان الخلفاء يقدمون للجواري الهدايا من الجواهر الفاخرة. فهذا الرشيد يقدم لدنانير " في ليلة عيد عقدا قيمته ثلاثون ألف دينار " (١). ومن الطريف أن الجواهر كانت تستأجر، فتتحلى بها النساء ثم تعيدها للصاغ. ذكر أحمد بن أبي طاهر أن الرشيد اشتاق يوما لذات الخال، بعد أن وهبها لحمّويه، فطلب أن يزوره ليراها، فاستعد لذلك، " واستأجر لها من بعض الجوهريين بدنة وعقودا ثمنها اثنا عشر ألف دينار. فأخرجها إلى الرشيد وهو عليها. فلما رآها أنكره وقال: " ويلك يا حمّويه: من أين لك هذا؟ وما وليتك عملا تكسب فيه مثله، ولا وصل اليك مني هذا القدر؟ (٢). فأخبره بالأمر، فاشترى الرشيد الجواهر ووهبها لذات الخال.

ولم تكتفِ المرأة بأغلى الجواهر وبأحدث الأزياء لتجمل نفسها وتخفي عيوبها، بل راحت تبحث عن وسائل الزينة المختلفة واستعمالاتها المتباينة فكرست وقتها وفنّها وجهدها، إضافة إلى مالها للحصول على وسائل الزينة. وشاع المثل القائل: " التحسّن خير من الحُسْن ". فقد اهتمت النساء بشعرهن لأنه تاج جمالهن. فكنّ يرسلنه ذوائب وضفائر وراء ظهورهن، ويجعلنه جدائل تتدلى بالمسك والعنبر لتطيب رائحته. قالت تحفة جارية عَرِيب: " كانت عَرِيب تجد في رأسها بردا، فكانت تغلف شعرها بمكان العلة بستين مثقالا مسكا وعنبرا وتغسله من جمعة إلى جمعة. فإذا غسلته أعادته، وتقتسم الجواري فسالة رأسها بالقوارير " (٣). وعندما أحب الناس الغلمان، تشبهت بعض النساء بهم، فقصصن شعورهن وزرفنّ (٤) أصدافهن،

---

(١) الاصفهاني، الاغاني، تحقيق عبدالستار احمد فراج، ١٩٥٩، دار الثقافة - بيروت، ج ١٨، ص ١٦.
(٢) المصدر نفسه، ج ١٦، ص ٢٦٦.
(٣) المصدر نفسه، ج ٢١، ص ٨٨.
(٤) زرفن: جعل الشعر كالزرافين، الزرافين واحدها زرفين: الحلق الصغيرة (فارسية). انظر لسان العرب، مادة زرف.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وربما جمعن شعرهن بالجمّة السكينية نسبة الى سكينة بنت الحسين . والجمّة شكل من تصفيف الشعر . وكانت العباسة أخت الرشيد تفعل ذلك ، وتضع في مقدمة الجمّة طرّة مرصّعة بالماس على شكل طائر عيناه من الزمرد ، وفي أجنحته فصوص الياقوت . كما استخدمت النساء الدهون من اجل أن يضفين على الشعر الصحة والجمال . قال يوحنا بن ماسويه (١) : " إن المرأة كانت تستخدم دهن الغافية ، فهو جيد لشعور النساء ، مصلح لها ، كما يستعمله الرجال والنساء " (٢) .

وقد عملت المرأة على اخفاء عيب شعرها بالحناء ، لأنّ بياض الشعر من أكبر عيوب الشعر كما هو معروف . يقول الجاحظ : " إن من النساء من يتحسن ويستر عيبه بخضاب الشعر " (٣) .

واستخدمت المرأة الحناء لصبغ الأكف . يصف عبدالملك بن عمر بن ابان الثقفي ، وكان صديقا لأبي نواس ، الجارية جنان قائلا : " وجنان واقفة مع النساء تلطم وجهها وفي يدها خضاب " (٤) . كما استخدمت المرأة الكحل لتجميل العيون وعرفت أحمر الخدود والشفاة ، وعملت على تنظيم الحواجب وازالة الشعر الزائد عنها ، وجعدت الشعر ، وجعلته سبطا ، وسمنت قوامها وأزالت السمنة عنه ، وعرفت ما تحترس به من الحمل لئلا يسوء قوامها . جاء في الحيوان " قالوا : وإذا احتملت المرأة شيئا من نجو الفيل بعد أن يخلط به شيء من عسل ، فانها لا تحبل أبدا " (٥) .

---

(١) يوحنا بن ماسويه : من علماء الاطباء في بغداد ، خدم الرشيد والمأمون وما بعدهما الى ايام المتوكل ، بمعالجتهم وتطبيب مرضاهم ، أصاب شهرة واسعة و ثروة طائلة ، وكان مجلسه ببغداد أعمر مجلس يجمع الطبيب والمتفلسف والاديب ، توفي بسامرا . (انظر : اخبار الحكماء ، ص ٢٤٨-٢٥٦ الفهرست ، ص ٢٩٥ ، دائرة المعارف الاسلامية ١ : ٢٧١) .

(٢) نهاية الارب ، ج ١٢ ، ص ١١٩ .

(٣) الجواري والغلمان ، ص ١٢٢ .

(٤) الاصفهاني ، الاغاني ، ١٩٦٠ ، تحقيق عبدالستار فراج ، دار الثقافة ، بيروت ، ج ٢٠ ، ص ١٢ .

(٥) الحيوان ، ج ٧ ، ص ٨٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأحبت المرأة العطر واستخدمته . يصف الحسين الخليع إحدى النساء فيقول : " وقد غلب جريانها سواد المسك والغالية دابر العود الهندي " (١) . ويصف عطر امرأة أخرى فيقول : " ثم دنوت منها لأسلم عليها فإذا الدار والدهليز والشارع قد عبقت بالمسك" (٢) . وكانت المرأة تعطر هديتها قبل إرسالها . فهذه مؤنسة ترسل لمتيم مخنقة قد طيبت بغالية (٣) . وعملت المرأة العطر للخلفاء . ومن أشهر النساء اللواتي صنعن العطر، بنان العطارة التي كانت تحضر العطر للواثق . ويذكر الجاحظ نوعا من العطر استخدمته المرأة وهو التهتي، نسبة إلى بلاد التبت . وكان لهنّ الكافور والقرنفل والزعفران والعطور البرمكية . وكنّ يلبسن عقود الازهار والبنفسج والزنبق . وكانت المرأة تحمل الأزهار في يدها لتنعم برائحتها وتزيد من أناقتها . " فهذه جارية القاسم بن الرشيد تمر أمام أبي نواس وفي كفّها النرجس" (٤) . وهذا الهاشمي يتحدث عن كلف جاريته متيم بالأزهار فيقول : وكانت متيم يحبها البنفسج جدا وكان عندها أكثر من كل ريحان وطيب، حتى أنها من شدة إعجابها به لا يكاد يخلو من كمّها ولا نراه الاّ كما قطف من البستان " (٥) . ومن النساء من حملت المذاب والمناديل لتكمل بها أناقتها . يصف حماد بن اسحق جواري رآهن فيقول : " بأيديهن المذاب والمناديل " (٦) .

---

(١) المحاسن والاضداد ، ص ٢٣٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٣٩ — ٢٤٠ .
(٣) الاصفهاني ، الاغاني ، ١٩٥٦ ، دار الثقافة — بيروت ، ج٧ ، ص ٢٩١ .
(٤) ابن منظور ، ابو نواس ، ص ١٧٠ .
(٥) الاصفهاني ، الاغاني ، ١٩٥٦ ، ج٧ ، ص ٢٩١ .
(٦) المصدر نفسه ، ١٩٥٩ ، دار الثقافة ، بيروت ، ج٥ ، ص ٣٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن بدع التزين التي لجأت إليها الجواري، طلاء الجسد بالورس(١)، يحدثنا الجاحظ نقلا عن الأصمعي على لسان أحدهم أنه رأى جارية طلت نفسها بالورس" (٢). ولا غرو في ذلك، فقد أحبّ العرب لون البشرة الضارب للصفرة. وقد استخدمت المرأة الزعفران أيضا. يقول الجاحظ: " أهلك النساء الأحمران: الذهب والزعفران " (٣).

وكان فيهن من تعشهن التزين والتجميل. فقد كان لجعفر بن يحيى البرمكي امرأة تزيّن له جواريه في كل ليلة.

لقد كان التزين فنّا له خصائصه، وقد وصل إلى أرقى المستويات، ذلك لأنّ الجواري الوافدات من المناطق المختلفة، حملن معهن تجاربهنّ في هذا المجال وسعين إلى تطوير هذا الفن. ولقد أحبت المرأة التزين لأنّه يعمل على إخفاء عيوبها وإبراز مفاتنها، فلا عجب أن وصلت نساء ذلك العصر إلى مستوى من الجمال الفطري والمصنوع كان سببا في اجتذاب الرجال وتهافتهم عليهن.

---

(١) الورس: نبات كالسمسم يصبغ به ولونه أصفر. لسان العرب، مادة: درس.
(٢) المحاسن والاضداد، ص ٢٩٣.
(٣) الجاحظ، الحيوان، ج٣، ص ٢٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــــل الثانـــــي

المـــــــــرأة والمجتمـــــــع

- مجتمـــع الجـــواري
- مجتمـــع الحرائـــــر
- أثر المرأة في الحياة السياسيـــة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولا : مجتمع الجواري :-

لقد كان للتقدم الحضاري الذي بلغه المجتمع العباسي أثر كبير في مشاركة المرأة في شتى الميادين .ونجد المصادر تعنى بأخبار الجواري وتفرد لها الصفحات الطوال ،بينما نجد أن أخبار الحرائر لا تعطي صورة واضحة عن دورهن في بناء مجتمعهن .

وكان الحصول على الجواري يتم من مصدرين :الحروب وسوق النخاسة ، وقد حملت الجواري من الأجناس والبلاد المختلفة إلى بغداد حاضرة البلاد ، وغيرها من المدن في أرض الخلافة العباسية ،فتركن أثرا واضحا في المجتمع العباسي في مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية .

ومن هؤلاء الجواري من دارت الشبهات حول نسبها كالمغنية عَرِيب التي ادعي أن لها نسبا رفيعا ،يقول الفضل بن مروان :" كنت إذا نظرت إلى قدمي عَرِيب ،شبهتهما بقدمي جعفر البرمكي " (١) . ويقول يوسف بن يعقوب : إنه سمع بعض الكتّاب يقولون عندما ذكرت بلاغة عَرِيب :" وما يمنعها من ذلك ، وهي بنت جعفر بن يحيى؟!" (٢) .

وينسبها أحمد بن إسماعيل المراكبي كذلك إلى يحيى بن خالد البرمكي(٣)" (٤)

---

(١) الأصفهاني ،الأغاني ،تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج ، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م، بيروت ، ج ٢١ ،ص ٦٦ .

(٢) المصدر نفسه ،والصفحة نفسها .

(٣) يحيى بن خالد البرمكي : وزير هارون الرشيد ،وهو الذى نشّأ هارون وربّاه ، وكان يقول له : يا أبي إلى أن نكب البرامكة ،فغضب عليه وحبسه ،فمات في الحبس سنة ١٩٠هـ ،وكان له من الأبناء جعفر والفضل ومحمد وموسى . (انظر:البغال ،ص ٢٤٢ ،وفيات الأعيان، ج ٢ ،ص ٢٤٢ - ٢٤٦ ، تاريخ بغداد ،ج ٣ ،ص ٣٨٠ ،الأعلام ،ج ٨ ، ص ١٤٨) .

(٤) الأصفهاني ،الأغاني ، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م ،تحقيق عبد الستار أحمد فراج ،دار الثقافة ،بيروت ،ج ٢١ ، ص ٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن هؤلاء كذلك شارية التي يقول فيها محمد بن راشد : " إن شارية كانت مولدة بالبصرة ، وكانت لها أم خبيثة منكرة ، تدّعي أنها بنت محمد بن يزيد من بني سامة بن لؤى "(١) . ويقول ابن المعتز ، حدثه أحدهم عن شارية ، فقال : " إنها كانت تدّعي أنها من بني زهرة "(٢) . ومع أنه يستخلص من مجمل الروايات التي دارت حول نسبها ، أن أباها غير معروف ، فانها كانت تدّعي أن أباها قرشي ، وأنها سرقت وهي صغيرة ، فبيعت لإبراهيم بن المهدي ، وكان يسميها ابنتي (٣) . ومن الجواري اللواتي لم تتضارب الروايات حول نسبهن قلم الهالخية وهي مولدة صفراء حلوة ، حسنة الغناء والضرب ، أخذت الغناء من إبراهيم الموصلي وابنه اسحاق ، وكانت لصالح بن عبد الوهاب ، ثم اشتراها الواثق بعشرة آلاف دينار بعد سماعه غناءها (٤) . أما بذل الصغيرة ، فكانت من جواري علي بن هشام ، وقد انتقلت إلى الأمين ، وغنت من بعده المأمون(٥) . وكانت دنانير جارية يحيى بن خالد البرمكي ، وكانت صفراء من مولدات المدينة (٦) .

وقد انتشرت تجارة القيان في العراق ، فكان المقينون ينتقون من دور النخاسة الجواري اللواتي يتفرسون فيهن النجابة ودلالات النجاح ، وينقلونهن إلى دورهم ، حيث تبدأ عملية الاعداد التي يتوخون من ورائها الربح الوفير وفي المقيّن يقول الجاحظ : " فالذى يقاسيه الناس من عيلة العيال ، ويفكّرون فيه من كثرة عددهم وعظيم مؤونتهم ، وصعوبة خدمتهم ، هو عنه بمعزل ، لا يهتمّ بغلاء الدقيق ولا عَوَزَ السّويق ، ولا عِزّة الزيت ، ويُلقَى أبداً بالإعظام ، يكنّى

---

(١) الأغاني ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٨ ، ج ١٥ ، ص ٣٢١ .
(٢) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .
(٣) المصدر نفسه ، ج ١٥ ، ص ٣٢٥ .
(٤) نهاية الأرب ، ج ٥ ، ص ٧١ - ٧٢ .
(٥) المصدر نفسه ، أخبار بذل ، ص ٨٨ - ٩١ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٩٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذا نوديَ ، ويفدّى إذا دعي ، ويُحيّا بطرائف الأخبار ، ويُطْلع على مكنـــون الأسرار ، ويتفاير الرّبطاء عليه ، يتبادرون في برّه ، ويتشاحنون فـــي ودّه ، ويتفاخرون بإيثاره . ولا نعلم هذه الصّفة الا للخلفاء ، يُعطَون فوق مـــا يأخذون ، تَحصّل بهم الرغائب ، ويدرك منهم الغـــنى " (١) .

وكانت دار المقيّن تغص بالجميلات اللواتي يسحرن الألباب ويأســـرن العقول ، بما يتّحلين به من ثقافة وصوت جميل ، ورقّة وذوق ، وطيب معشر ، وسرعة بديهة ترضي كل الأذواق . وكان المقيّن يميّز بين روّاد داره ، فهو يعرفهـــم كما يعرف التاجر تجارته . يقول الجاحظ واصفا تعامل المقيّن مع ضيوفه : " يعـــدّ لكلّ مربوط عُدّةً على حِدَة ، ويعرف ما يصلح لكلّ واحدٍ منهم ، كما يميّز التاجـــرُ أصنافَ تجارته ، فيسعّرها على مقاديرها ويعرف صاحب الضياع أراضيه لمـــزارع الخَضِر والحِنطة والشعير . فمن كان ذا جاه من الرُّبطاء اعتمد على جاهه ، وسأله الحوائج ، ومن كان ذا مال ولا جاه ، استقرض بلا عينة ، ومن كان السّلطـــان بسبب ، كفيت به عادية الشُّرَط والأعوان ، وأُعلِنت في زيارته الطبول والسُّرانـــي مثل سلمة الفُقّاعي وحمدون الصّحنـــاوى " (٢) .

ويصف الجاحظ كذلك عملية إعداد الجارية فيقول : " وتروي الحاذقـــةُ منهنّ أربعةَ آلاف صوتٍ فصاعداً ، يكون بين الصوتُ فيما بين البيتين إلى أربعـــة أبيات ، عدد ما يدخل في ذلك من الشعر إذا ضُرِب بعضه ببعض ، عشرةُ آلاف بيت ، ليس فيها ذكرُ الله إلاّ عن غفلة ، ولا ترهيب مِنْ عقاب ولا ترغيبٌ في ثواب ، وإنما بُنيت كلّها على ذكر الزّنى والقيادة والعِشق والصبوة والشوق والقُلْمة " (٣) . ولا تقف القنية عند هذا الحد ، وإنما تعمل على إتقان صنعتها . يقـــول الجاحظ في ذلك : " ثم لا تنفك من الدراسة لصناعتها منكبّةً عليها تأخـــذ

---

(١) القيـــان ، ص ١٧٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٧٦ . الخِضَر : جمع خَضِرة ، وهي الخضراء من النبات ، عينة : (بالكسر) : ربا . السراني : جمع سُرناي ، والسُرناي بضم السين : كلمة فارسية معناها البوق الذى ينفخ فيه ويزمر . انظر شرح المفردات في القيان ص ١٧٦ .

(٣) المصدر نفســـه ، ص ١٧٩ - ١٨٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من المطارحين الذين طرْحُهم كلُّه تجميشٌ(١) ،وانشادُهم مراودة ،وهي مضطرّةٌ إلى ذلك في صناعتها ، لأنها إن جَفَتْها تفلّتت ، وإن أهملتْها نَقصَتْ ، وإن لم تستفِد منها وقفتْ ، وكل واقف فإلى نقصانٍ أقرب ،وإنّما فرق ما بين أصحاب الصناعات وبين من لا يُحسنُها التزيّدُ فيها والمواظبةُ عليها "(٢) وهكذا ندرك أن حياة الجارية لم يكن فيها في الغالب طهر ولا عفّة ولا ذكر لله . " فهي لو أرادت الهدى لم تعرفْه ،ولو بغت الفضلة لم تقدر عليها ،وان ثبّتت حجة أبي الهذيل (٣) فيما يجب على المتفكّر ،زال عنها خاصته ،لأن فكرَها وقلبَها ولسانَها وبدنَها مشاغيل بما هي فيه ،وعلى حسب ما اجتمع عليها من ذلك في نفسها لمن يلي مجالستها عليه وعليها "(٤) . وكانت دور القيان ملتقى يلتقي المعجبون فيه لسماع صوت جميل ،أو سعيا وراء حسناء ،وكل ذلك في جو تعرف فيه القينة كيف تصل إلى مرادها ،وصاحبُها يغضُّ طرفَه عنهنا ، ما دامت الأموالُ تتدفق في جيبه . فهو لا يهتم بما يحدث في منزله بين الجواري والربطاء ، ولا يسأل عن تأخر الجارية ،أو حتى عن غيبتها خارج المنزل (٥) .

وكانت الجارية تتعلم إلى جانب العلوم والأدب فن المجالسة من صمت وحديث واحترام ،وتعرف كيف تجالس كبار السادة وأهل الأدب ، من هذا ما حدثنا به الجارية فضل عندما اشتراها المتوكل وحملت إليه من البصرة إلى سرّ من رأى ،تقول :" فكنت أعلّم آداب خدمة الخلفاء طول طريقي لأجل جهلي بها ونشوئي في خدمة العوام والسفهاء " (٦) .

---

(١) التجميش: المفازلة .انظر: لسان العرب ،مادة جمش .
(٢) القيان ، ص ١٧٦ - ١٧٧ .
(٣) أبو الهذيل : محمد بن الهذيل بن عبد الله المعروف بالعلاّف ،المتكلّم كان شيخ البصريين في الاعتزال ،ومن أكبر علمائهم وهو صاحب مقالات في مذهبهم ومجالس ومناظرات . (انظر: ابن النديم ،تكملة الفهرست، ص ١ - ٢) .
(٤) القيان ، ص ١٧٧ .
(٥) المصدر نفسه ،ص ١٧٩ .
(٦) غرس النعمة أبي الحسن محمد بن هلال الصابي ،الهفوات النادرة،حقّقه ، وعلق عليه د . صالح الأشتر،ط الأولى ،١٣٨٧هـ/١٩٦٧م،ص ٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فمن الضروري أن تكون الجارية قادرة على مسايرة مختلف الأنماط ، مستعدة لتقلب الظروف ،وما يبدر من هؤلاء الضيوف من جميل القول وسيئّه ، ومعقول الكلام وسخيفه ، لكي تكون الأثيرة لديهم ،فيتنافسون على شرائها لتصبح في قصر أمير أو دار ثرى . فتخرج من دار المقين متحررة من القيود التي يفرضها المجتمع .

وتفرد المصادر صفحات عن مجون الجواري (١) ، مع أنه وجدت جوار فاضلات تلقّين من العلم ما قرّبهن من سيدات القصور ،كجواري الخيزران وزبيدة وعليّة بنت المهدي . وهذا ما يؤكد لنا أن المجون لم يكن سمة لكل جارية إلاّ أن الصالحات منهن أخبارهن قليلة إذا ما قيست بأخبار الماجنات. فإن كانت المصادر قد تحدثت باسهاب عن مجون عَرِيب ، فانها تحدثت بغير هذا الاسهاب عن عفة عتبة جارية الخيزران التي لاحقها أبو العتاهية بشعره ، ولكنها لم تلتفت لقوله ،بل صدّت عنه ورفضته ، وتؤكد الأخبار المروية عنها أنها كانت طاهرة الذيل نقية لم ينل منها أبو العتاهية سوى قبلة يد بعد أن فكته من رقّ اصطنعه ، وكانت تظنّه شيخا لا حول له ولا قوة . يقول راوي القصة المبرد بن يزيد (٢) : أن ريطة سيدة عتبه - وكانت لها ثم أصبحت للخيزران - طلبت من عبد الله بن مالك الخزاعي شراء رقيق للعتق وأمرت أن تحضر عتبة ذلك. فجاء أبو العتاهية في زى متنسك ، وطلب من عتبة أن تتوسط له ليعتق ففعلت . فطلب أبو العتاهية يدها ليقبّلها شكرا على صنيعها معه ،ولكنها اكتشفت بعد ذلك حقيقته . ويقول المبرد إنها " سترت وجهها خجلا ،وقالت: سوأة لك يا أبا العباس ، أمثلك يعبث ؟! ثم قامت فلم تعد إليه "(٣) . وكانت عتبة تتأذى من غزل أبي العتاهية بها وتشتكيه إلى مولاتها . يروى المسعودي

(١) انظر مثلا : اخبار عبيدة الطنبورية ،الاغاني ،ج ٢٢ ،ص ٢٠٧ - ٢١٤ : ، انظر كذلك : أخبار عريب ،المصدر نفسه ،ج ٢١ ،ص ٦٠-٨٣ ،انظر كذلك : أخبار دقاق ،المصدر نفسه ،ج ١٢ ،ص ٢٨٤ - ٢٨٨ .

(٢) محمد بن يزيد :أبو العباس المعروف بالمبرد ،كان شيخ أهل النحو والعربية ، مات سنة ٢٨٥ هـ. (انظر :زهر الآداب ،ج ١ ،ص ٢٥٧ ،تاريخ بغداد ،ج ٣، ص ٣٨٠ ،قطب السرور في أوصاف الخمور ،انظر فهرسة الاعلام ،ج ٧ ،ص ١٤٤).

(٣) مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٣١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن المهدي دخل على الخيزران ذات يوم ، فوجد عتبة تبكي بين يديها . فلما سألها عن خبرها قالت إن أبا العتاهية قد تعرض لها بشعره ، فأمر باحضاره ، وقال له : أنت القائل في عتبـــــة :-

الله بيني وبين مولاتـــــي أبدت لي الصدَّ والملامـــاتِ ؟

متى وصلتك حتى تشكو صدها ؟! فأمر بأن يعاقب (١) . هذا مع العلـــم أن الجارية كانت في المعتاد تسعى لنيل رضى الشعراء ، وتتمنّى لو تغزّلوا بهـــا ، لما يفتح لها مثل هذا الغزل من أبواب الشهرة ، في حين أن هجاء الشعـراء لها من شأنه أن يغلق الأبـواب في وجهها ويتسبب في العزوف عنها . ومن أجل ذلك كان المغنّين يحرص كل الحرص على ارضاء الشعراء لئلا يتعرضوا لجواريـه .

وقد كانت عتبة هذه وفيّة لمولاتها لا تقطع أمرا إلاّ بمشورتها حتى ولو تعلق الأمر بأمير المؤمنين نفسه ، قال المهدي مرة لعتبة : " إن أبا العتاهية كلّمـني فيك فما تقولين ، ولك عندي وله مما لا تبلغه أمانيكما . فقالت : قد علم أمـــير المؤمنين ما أوجب الله عليّ من حق مولاتي ، وأريد أن أذكر ذلك لها . فقال : افعلي ، قال يزيد بن حوراء : " ثم مضت أيام ، فعاود المهدي سؤال الجاريـة فجاءت ، فقال : ما صنعت ؟ فقالت ، ذكرت ذلك لمولاتي فكرهته وأبت أن تفعـل ، فليفعل أمير المؤمنين ما يريد ، قال : ما كنت لأفعل شيئا تكرهـــه " (٢).

وهذه سكن جارية محمود الوراق تضرب لنا مثلا في الوفاء وعفّة النفـــس، بتفضيلها الفقر إلى جوار سيدها على الغنى بعيدة عنه . يروى الحسن العلوي أن محمودا الوراق قد رقت حاله ، فقرر بيع جاريته سكن ليخرجها من الفقر إلـــى سعة الحال ، فخرجت والدموع في عينيها وهي تقول له : " يا محمود ، هذا كـان آخر أمري وأمرك أن اخترت عليّ مائة ألف درهم ؟ قال محمود: فتجلسين علـــى

(١) مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٣١٦ - ٣١٧ .
(٢) أبو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني (زهر الآداب وثمر الألباب)، مفصل ومضبوط ومشروح بقلم د . زكي المبارك ، ط ٣ ، ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م ، ج ١ ، ص ٣٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفقر والخسف ؟! قالت : نعم ، أصبر أنا ، وتضجر أنت ؟!" فيعتقها ويصدقها ويتزوجها (١).

وبلغ من اعتزاز بعض الجواري بكرامتهن الامتناع على الخلفاء . يحدثنا إبراهيم الموصلي عن امتناع جارية زلزل (٢) على الرشيد قائلة له : " أما إذا اشتريتني ، فلا خير لك فيّ ! " فيعتقها ويجرى عليها مؤنة (٣). ومن الجواري المتعففات ، بذل والتي قيل إنها ما خرجت إلاّ متنقبة ، واحتجبت على سيدها بعد أن أصبحت لغيره . وذكر أنه بلغ المأمون أنها غضبى على علي بن هشام - سيدها سابقا - فأكرهه على أن يذهب اليها فيترضاها ، فذهب إليها وهي تمشط شعرها ، فأسرعت إليها وشيكة جاريتها مخبرةً إياها بقدوم الزائر ، فدعت بمنديل وغطّت شعرها مما أثار عجب جاريتها ، فقالت أتحتجبين على ابن هشام ؟! وعندما رأته بادرته قائلة : إن جئت بأمر الخليفة ، فأهلا بك ، والا فاخرج (٤).

---

(١) ابن المعتز ، طبقات الشعراء ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار المعارف ، مصر ، ص ٣٦٧ .

(٢) زلزل : هو منصور زلزل الضارب بالعود ، وكان هو وبرصوما من سواد أهل الكوفة قدم بهما إبراهيم الموصلي سنة حج ، ووقفهما على الغناء العربي وأراهما وجوه النغم ومات في خلافة الرشيد . (انظر : قطب السرور في أوصاف الخمور ، ص ٢٩٥ ، الحيوان ، ج ٦ ، ص ١٦) .

(٣) داود الأنطاكي المعروف بالأكمه ، تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق ، ج ١ ، ص ٢٤٠ .

(٤) نهاية الأرب ، ج ٥ ، ص ٩٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مكانة الجواري وأثرهن في المجتمع العباسي :-

تحدثت المصادر عن مكانة الجواري وما دفع فيهن من المال الكثير ، وقد بلغت العناية بالإماء مبلغا عظيما ، وتنافس الناس في شرائهن وتفاخروا في اقتنائهن ، إذ إن وجودهن في القصور والمنازل كان يعدّ مظهرا من مظاهر الجاه والثراء .

على أن بيع الجواري لم يكن مظهرا من مظاهر الاسترقاق والعبودية كما توحيه كلمة " بيع " للسامع . فالمتتبع لأخبار هؤلاء الجواري لا بدّ أن يلحظ مظاهر النعمة التي كن يتمتعن بها . يقول الجاحظ :" ولم يكن يُعدَم من الخليفة ومَنْ بمنزلته في القُدرة والتأتّي أن تقفَ على رأسه جارية تذبّ عنه وتروّحه ، وتعاطيه أخرى في مجلس عام يحضره الرجال "(١) . ولقد كنّ في بيوت الهاشميات والقصور وبيوت الأثرياء يتقلّبن في أهنأ عيش ويجلسن مكلّلات بأنفس الجواهر وأبهى الحلل ، وكانوا يقدمون للجواري أنفس الهدايا . يقول محمد بن الحسن الكاتب : كان الأمين يعجب ببذل ، وكان ينفق عليها الأموال الطائلة ، وكان قد أهداها من الجوهر ما لم تملكه واحدة أخرى."(٢) ودخل بختيشوع (٣) على المتوكل يوم مهرجان ، فقال المتوكل : أين هديتك ؟ فقال : هديتي لم يملكها خليفة قبلك ولا ملك ، وأخرج ملعقة زبرجد توزن ثمانية مثاقيل . ثم حُكي عن أبيه جبريل أنه قصد دنانير جارية يحيى بن خالد وأنه لما عاد إليها للتثنية ، وجدها تأكل رمانا بهذه الملعقة "(٤) .

---

(١) القيان ، ص ١٥٥ .

(٢) الأصفهاني ، الأغاني ، ١٩٥٩م ، دار الثقافة ، بيروت ، ج ٧ ، ص ٣٣ ، انظر كذلك : نهاية الأرب ، ج ٥ ، ص ٨٩ .

(٣) بختيشوع : بختيشوع بن جبريل النصراني الطبيب صاحب التصانيف ، خدم المأمون ومن بعده من الخلفاء ، نكبه المتوكل مرة ونفاه ثم أعاده وكان يضاهي المتوكل في اللبس ، ونقل له كتبا كثيرة من كتب جالينوس ، (انظر : الوافي بالوفيات ، ج ١٠ ، ص ٨٧ - ٨٨ ، أخبار الحكماء ص ١٠٢ ، الفهرست ، ص ٢٩٦ ، الأعلام ، ج ٢ ، ص ١٢) .

(٤) الجماهر في معرفة الجواهر ، ص ١٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولقد كان لبعض الجواري مكانة عظيمة في نفوس أسيادهن ، فكان بعض الرجال يقصدونهن كي يتوسطن لهم لدى الخلفاء ، مستفنين بهن عن الرجال . يقول محمد بن علي بن طاهر بن الحسين عن أحدهم : " ومن سقطاته ، أنه كلّم أبا العباس عبد الله بن طاهر في حاجة له يخاطب له المأمون عليها ، فوعده بذلك ، ثم عاد إليه فقال له : كنت سألتك أن تكلم أمير المؤمنين في كذا ، وقد سألت مؤنس - يعني جارية كان المأمون يتحظاها - أن تخاطب أمير المؤمنين فيها ، وما بالأمير حاجة إلى الخطاب في ذلك . فلما خرج قال : أرأيتم أحمق من هذا ؟ يسأل مثلي في أمر أن أخاطب الخليفة فيه ، ثم يجيئني و يعرفني أنه سأل جارية فيما سألني ، وأنه قد استفنى بها عني ؟ ! " (١) .

ونقرأ عن احتفال الجواري النصرانيات بحرية تامة بعيد الشعانين وعن مشاركة الخليفة لهن في الاحتفال ، كما روى أحمد بن صدقة من أنه قد دخل قصر المأمون في يوم الشعانين فوجد الجواري النصرانيات يحتفلن بعيد الشعانين بين يدي المأمون فيطلب المأمون منه أن يقول شعرا في هذا ويغنّيه(٢) ونقرأ كذلك عن مشاركة الجواري الخلفاء مجالسهم . وكان الرجل يعمل جاهدا للحفاظ على صحة جاريته ويدفع عنها كل ما يؤذيها . فقد كان يحيى البرمكي يتصدق بألف دينا في كل يوم لم تستطع جاريته دنانير أن تصومه خلال شهر رمضان لاصابتها بالعلّة الكلبية (٣) .

وها هو المأمون يتأثر كثيرا لمرض إحدى الجواري الشديد الذى لم يمكنها من ردّ السلام على مولاها ، فيخرج من مقصورتها وهو يبكي كما روى

---

(١) الهفوات النادرة ، ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .
(٢) الاصفهاني ، الأغاني ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م ، دار الثقافة ، بيروت ، ج ٢٢ ، ص ٢١٧ .
(٣) المصدر نفسه ، ج ١٨ ، ص ١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مخارق (١) . وكثيرا ما كانت المرأة الحرة تكن للجارية الاحترام والمحبّة كما يتبيّن من رواية جارية من جواري زبيدة عن استقبال علّية بنت المهدي لها . تقول الجارية :" فلمّا رأتني فرحت بي ،وقالت الحمد لله الذى منّ عليّ بك ، فأكببت على البساط ،فقبلته ،فقالت ؛ لا والله الاّ معانقة فعانقتها وقبّلت فاها ورأسها ويديها " (٢) .

وإذا كنّا نلمس شيئا من المبالغة في الروايات السابقة ،إلاّ أنها تقدّم دليلا على مكانة الجواري في أوساط معينة من المجتمع العباسي ،وإن لم يكن هذا هو الشائع الغالب في ذلك المجتمع . فقد نجد من السادة من يسيء معاملتهنّ ويعاقبهن بالضرب ، ومن هؤلاء السادة من كان ذا مكانة رفيعة. يقول أبو العباس المبرد : " دخلت على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر (٣) وقد فصد (٤)، فظننت أن ذلك لعلّة ، فأكثرت له من الدعاء فقال : خفف عليك أبا العباس، فليس ذلك لعلّة ،وانظر ما تحت البساط ،قلت حسن أيها الأمير فما سببه ؟ قال : مددت البارحة يدى إلى الجواري بالضرب ،فألمت لما نالها من الألم فحلفت بقطع يدي، فاستفتيت اليوم ،فأفتيت بالفصد ففعلت" (٥) . وهذا المتوكل يضرب جاريته

(١) مخارق : مخارق بن يحيى بن ناووس الجزار ، مولى الرشيد ،ويكنى أبا المهنا ، كنّاه الرشيد بذلك ،وقيل كان منشوءه بالكوفة ،اشتراه إبراهيم الموصلي وأهداه للفضل بن يحيى ،فأخذه الرشيد منه ،توفي سنة ٢٣١ . (انظر : الأغاني ،ج ١٨ ،ص ٢٥٣ ،النجوم الزاهرة ،ج ٢ ،ص ٢٦٠) .

(٢) قطب السرور في أوصاف الخمور ، ص ١٠ - ١٢ .

(٣) عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي ،أبو أحمد ،وقد يعرف بابن طاهر ، أمير ،من الأدباء الشعراء ،انتهت اليه رياسة أسرته . ولي شرطة بغداد ومولده ووفاته فيها ،وكان مهيبا ،رفيع المنزلة عند المعتضد العباسي ،له براعة في الهندسة والموسيقى ،توفي سنة ٣٠٠ هـ ، (انظر: وفيات الأعيان ،ج ١ : ص ٢٧٣ ،الأعلام ،ج ٤ ،ص ١٩٥ ،تاريخ بغداد ، ج ١٠ ، ص ٣٤٠ ، الفهرست ، ص ١٧٠) .

(٤) الفصد : شق العرق ، انظر: لسان العرب ،مادة فصد .

(٥) أبو القاسم عبد الرحمن بن القاسم الزجاج ،الأمالي في المشكلات القرآنية والأحاديث النبوية ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،لبنان ،ص ٦٢ - ٦٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فريدة لأنه كلّمها ،فأجابته بشيء أغضبه " فرماها بمخدة أصابت عينها ،فأثرت فيها ،فتأوهت وبكت ،وبكى لبكائهـــــا " (١) .

وقيل عن متيّم إن علي بن هشام دفعها في صدرها لأنها أجابته بشيء أغضبه ،فتثاقلت عن الخروج إليه ،فكتب إليهـــا :-

فليتَ يدي بانتْ غداة مددتُها إليك ولم ترجعْ بكفٍ وساعـــد
فإن يُرجع الرحمٰنُ ما كان بيننـا فلستُ إلى يوم التنادِ بعائدِ (٢)

وقد تركت الجواري أثرا واضحا في الحياة الاجتماعية للمجتمع العباسي في العراق ،فقد أدخلن على هذا المجتمع ما لا عهد له به ، لأنهن كنّ ينتمين إلى أعراق وثقافات وطرائق عيش مختلفة اختلاف أعراقهن ومنشئهنّ وبيئاتهنّ الأصلية . وقد تقاسمت هؤلاء الجواري قصور الخلفاء والأمراء والأشراف وذوي المال والمترفين ،إضافة إلى الحانات ودور اللهو ،وربّما وجدن في الأديرة كذلك .

وكانت المغنيات من هؤلاء الجواري على نوعين : الأول منهما كان يوجد في دار المغنين والحانات والأديرة ،والثاني في دور الأثرياء في المجتمع العراقي . وكان الرجل إذا دعى أحدهم ليستمع لجاريته ضرب بينها وبين الضيف ستارة . يقول الحارث بن بسخنر(٣) " وجه إليّ إبراهيم بن المهدي يدعونـي وذلك في أول خلافة المعتصم ، فصرت إليه وهو جالس وحده وشارية جاريتـه خلف الستارة " (٤) .

---

(١) الأغاني ،١٣٥٦هـ/١٩٧٦م ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ،ج ١٠ ،ص ٢١٤ - ٢١٥ .
(٢) نهاية الأرب ، ج ٥ ، ص ٦٦ .
(٣) الحارث بن بسخنر : كان من وجوه القادة ولاّه الهادي ، (ويقال الرشيد) الحرب والخراج بكور الأهواز كلها ،وعن ابراهيم بن المهدي،أخذ الغناء ،ومن بحره استستقى وعلى منهاجه جرى (انظر : الأغاني ، ج ٢٢ ،ص ٤٨) .
(٤) الأصفهاني ،الأغاني ،١٩٥٧م ،دار الثقافة ،بيروت ،ج ١٠ ،ص ١١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويختلف الوضع إن كان الضيف مقرّبا من المضيف ، فإنه كان يسمح للجارية أن تغنّي دون ستارة . يقول محمد بن جبير :" كنّا عند أبي عيسى بن الرشيد في زمن ربيع ، وعندنا مخارق وعلّوية(١) وعبد الله بن العباس الربيعي ، إذ خرجت قيمة دار أبي عيسى فقالت : يا سيدى ، قد جاءت عساليج ، قال : تخرج إلينا ، فليس بحضرتنا من تحتشمه " (٢) . ويصف محمد بن الحارث بن بسخنّر إحدى زياراته لأحمد بن الحسين فيقول : جلسنا وقدّم إلينا طعام نظيف ، فأكلنا وخرجت إلينا جارية فغنّت دون ستارة (٣) . ويقول إبراهيم الموصلي :" وما كانوا يحجبون جواريهم في ذلك الوقت ما لم يلدن " (٤) .

وتذكر بعض المصادر أن الخلفاء المعجبين بقينة من القينات كانوا يرسلون إلى سيدها للسماح لها بحضور مجالسهم للغناء فيها ، وما كان السيد ليخل بالقينة لأن الطالب لم يكن يبخل بالمال .

وقد تحدث مساجلة بين القيان الزائرات ، وقيان الخليفة بحضور الخليفة وأعيان القوم ، وقد تفتح هذه الزيارة باب الرزق أمام الجواري الزائرات ، إذ قد يعجب أحد الحضور بواحدة من القينات فيشتريها ، تقول ريق : استزار المعتصم من إبراهيم بن المهدي جواريه ، وكانت قد رقت حاله لأن السلطان قد جفاه - فذهبنا ونحن في ملابس رثّة ، وشعرنا بالضآلة أمام جواري المعتصم . وبعد أن تفوقّنا عليهن بالغناء ، عادت إلينا ثقتنا بأنفسنا ، فشعرنا بالتيه والاعتزاز(٥).

---

(١) علّوية : أبو الحسن علي بن عبد الله بن سيف . قال أبو الفرج : وكان علّوية هذا ، مغنّيا حاذقا ومؤدّبا محسنا ، وصانعا متقنا ، وضاربا متقدما ، مع خفة روح وطيب مجالسة وكان ابراهيم الموصلي علمه وخرجه وعني به جدا ، فبرع وغنى لمحمد الأمين وعاش الى أيام المتوكل ومات بعد اسحاق الموصلي ، انظر : الأغاني ، ج ١٥ ، ص ٢١٠١ .

(٢) نهاية الأرب ، ج ٥ ، ص ٢٨ .

(٣) الأصفهاني ، الأغاني ، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م ، دار الثقافة ، بيروت ، ج ١٢ ، ص ٤٨

(٤) المصدر نفسه ، ١٩٥٧ ، دار الثقافة ، بيروت ، ج ١١ ، ص ٣٢٨ .

(٥) المصدر نفسه ، ١٣٥٦هـ/١٩٧٦م ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، ج ١٦ ، ص ١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو أن اشتهار القينة كان يحقق لها نوعا من الاستقلال عن سيّدها ويتيح لها الاتصال بعلية القوم ، فتشاركهم مجالسهم ، كما كانت حال عَرِيب وشاريـــة .

وقد تزور القينة صديقها إذا مرض وتهديه . يقول القاسم بن عبد الله الحراني : كنت عند سعيد بن حميد (١) الكاتب ذات يوم ، وقد افتصد ، فأرسلت له الجارية فضل هدايا ، فكتب إليها : " إن هذا يوم لا يتم سروره إلا بك وبحضورك " وكانت حسنة الصوت ، جيدة الضرب على العود ، حسنة الشعر ، فأتته ، فضرب بينه وبينها ستارة ، فغنت ، فما شعرت بالسرور كما شعرت به ذاك اليوم (٢) .

ولم يقتصر دور القينة في المجالس على الغناء فقط ، بل كانت تقوم بسقي القوم الشراب ، وكان منهم من يفضل الشرب من يدها على الشرب من يد الغلام . يقول مطيع بن إياس: " إن أطيب الأشياء عنده " صهباء صافية ، تمزجها غانية ، بماء غادية " (٣) .

وكانت القيان يشعن البهجة والأنس في الحانات بجمالهن وغنائهن ويعقدن صداقات مودة مع الزبائن ، وكانت صاحبة الحانة تدعى خمّارة ، لأنها تعدّ الخمر وتقدمه في حانتها ، ونجد في المصادر أن بعض الديارات كانت تقدّم لزوّارها الشراب ، وتقوم فيها الجواري على خدمتهم . يصف لنا حماد بن اسحق على لسان والده : الجارية التي خدمته في منطقة القائم قائلا : " ووكل بي جارية تخدمني راهبة لم أر أحسن وجها منها ولا أشكل "(٤) . ومن الرجال

(١) سعيد بن حميد بن سعد أبو عثمان الكاتب ، من اولاد الدهاقين ، كان ببغداد يا وادّعى أنه من أولاد ملوك الفرس ، تقلّد ديوان الرسائل بسرّ من رأى وكان كثير السرقات: قال بعضهم : لو قيل للكلام سعيد ارجع الى اهلك لما بقي عليه الا التأليف ومذهبه في العدول عن آل البيت متعارف عليه ووالده من وجوه المعتزلة . (انظر : الوافي بالوفيات ، ج ١٥ ، الاغاني ، ج ١٨ ، ص ١٥٥ ، قطب السرور في أوصاف الخمور ، ص ٣٥٤ - ٤٧٠) .
(٢) المحاسن الاضداد ، ص ١٥٢ - ١٥٣ .
(٣) الاصفهاني ، الاغاني ، ١٩٥٨ ، دار الثقافة ، بيروت ، ج ١٣ ، ص ٣٠٥ .
(٤) المصدر نفسه ، ١٣٥٦هـ/١٩٧٦م ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، ج ٥ ، ص ٤١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من كان يأخذ قيانه للدير ، فيقمن بخدمته ، ومن هؤلاء ، رجل يدعى أبو علي بن الرشيد ، كان يلازم أحد الأديرة برفقة قيانه ." فانتهى الخبر إلى اسحق ابن إبراهيم الطاهري ، وكان ينوب عن السلطان ببغداد ، فوجه إليه يقبح فعله وينهاه عن المعاودة لمثله . فقال : وأي يد لاسحق عليّ ؟ وأي أمر له فيّ أتراه يمنعني من سماع جواريّ بحيث أشتهي ؟ ! " (١) .

ونتيجة للمجون الذى أشاعته الجواري الماجنات في المجتمع العراقي ، انتشر الغزل الصريح على ألسنة الشعراء ، وفي مقدمتهم بشار بن برد ، مما دفع شرفاء العراق لأن يتصدّوا له حفاظا على نسائهم وفتياتهم . يقول أبو عبيدة عن السبب الذى من أجله نهى المهدي بشارا عن هذا النوع من الشعر : " كان أول ذلك استهتار نساء البصرة وشبّانها بشعره ، حتى قال سوّار بن عبد الله الأكبر ومالك بن دينار : ما شيء ادعى لأهل هذه المدينة إلى الفسق من أشعار هذا الأعمى ، وما زالا يعظانه ، وكان واصل بن عطاء يقول : " إن من أخدع حبائل الشيطان وأغواها لكلمات هذا الأعمى الملحد . فلما كثر ذلك وانتهى خبره من وجوه كثيرة إلى المهدي ، نهاه عن ذكر النساء وقول التشبيب. وكان المهدي من أشد الناس غيرة . قال : فقلت له : ما أحسب شعر هذا أبلغ في هذه المعاني من شعر كثير وجميل وعروة بن حزام وقيس بن ذريح وتلك الطبقة ، فقال : ليس كل من يسمع تلك الأشعار يعرف المراد منها .

وبشّار يقارب النساء ، حتى لا يخفى عليهن ما يقول وما يريد . وأي حرّة حصان تسمع قول بشار ، فلا يؤثر في قلبها ؟ فكيف بالمرأة الغزلة والفتاة التي لا همّ لها الاّ الرجال ؟" (٢) . فقد نال بشار من الحرائر وشكك طلاب الاثم فيهن بقوله :-

---

(١) الديارات ، ص ٣٤ .
(٢) الأصفهاني ، الأغاني ، ١٩٥٥ ، دار الثقافة ، بيروت ، ج ٣ ، ص ١٧٦ - ١٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قاسِ الْهُمُومَ تَنَلْ بها نُجُحَا ... وَاللَّيْلُ إِنَّ وَرَاءَهُ صُبُحَا
لا يوْيِسَنَّكَ من مُخَدَّرَةٍ ... قول تغلّظه وان جرحا
عسرُ النساءِ إلى مياسرةٍ ... والصَّعْبُ يمكن بَعْدَمَا رَمَحَا (١)

وقد تصدّى لبشار كذلك مالك بن دينار (٢) الذي ذهب إلى منزل بشار فقال له : يا أبا معاذ ،أتشتم أعراض الناس وتشهب بنسائهم ؟ فلم يجد بشار وسيلة لدفعه عنه سوى وعده بأن لا يعود لذلك (٣) . ونحن وإن كنّا نسمع بمجالسة بشار لجواري المهدي فلأنه " كان كفيفا قبل موته بأربعين سنة ، ولهذا كان يحضر المجلس والجواري عند المهدي لكونه لا يبصرهنّ "(٤) ولكنه طرد من المجلس عندما تجاوز حدود الأدب في حديثه مع الجواري ،فقد طلبت الجواري الاذن من المهدي ليجلسن إلى بشار ، فأذن لهنّ بذلك ،فأسعدهن كلامه ،فقلن له : ليتك يا أبا معاذ ليتك أبونا حتى نبقى معا ،فقال لهن : وأنا على دين كسرى ؟ (٥) ،فسمع المهدي بذلك . فغضب ومنعهنّ من الجلوس إليه (٦) .

ولقد شاع في العصر العباسي اتخاذ الجواري إلى جانب الزوجات الحرائر ، ونجد الكثيرين من رجال المجتمع العباسي يقبلون على الزواج من الجواري دون الحرائر ،إما لجمال الجواري ،أو لأن الرجل كان يرى الجارية ويتأملها ويكلمها قبل الشراء . يقول الجاحظ :" قال بعض من احتج للعلة

---

(١) ديوان بشار ،ج ٢ ، ص ٧٢ .
(٢) مالك بن دينار البصري ،أبو يحيى ،من رواة الحديث ،كان ورعا ،يأكل من كسبه ،ويكتب المصاحف بالأجرة ،توفي سنة ١٣١هـ. (انظر: وفيات الأعيان ،ج ٩ ،ص ٤٤٠ ،الأعلام ،ج ٥ ،ص ٤٦١) .
(٣) الأغاني ،الأصفهاني ،١٩٥٦ ،دار الثقافة ،بيروت ،ج ٦ ،ص ٢٣١ .
(٤) ابن المعتز ،طبقات الشعراء ،ص ٢٢ .
(٥) دين كسرى : دين المجوسيّة الذي يستبيح الزواج من البنات والأخوات. (انظر: زهر الآداب ،ج ٢ ،ص ٤٤١) .
(٦) المصدر نفسه ،الصفحة نفسها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي من أجلها صار أكثر الاماء أحظى عند الرجال من أكثر المهيرات، إن الرجل قبل أن يملك الأمة، قد تأمل كل شيء منها وعرفه، ما خلا حظوة الخلوة، فأقدم على ابتياعها بعد وقوعها بالموافقة، والحرة إنما يستشار في جمالها النساء، والنساء لا يبصرن من جمال النساء حاجات الرجال وموافقتهن قليلا ولا كثيرا. وهناك أسباب أخرى يكون بها الحب والبغض " (١).

والجدير بالذكر هنا أن المرأة الحرّة كانت إذا تعدت سنّ الزواج، تخرج للرجال دون حرج. يقول الجاحظ في ذلك: " إن المرأة المعنّسة تبرز للرّجال فلا تحتشم من ذلك " (٢).

فالرجل الذي رأى من الجارية جمالا ولطف حديث، كثيرا ما كان يعرض عن الحرائر الغاليات المهر، ويقبل على الجواري، لأنهن قليلات التكلفة، يقول مسلمة بن مسلمة: " عجبت لمن استمتع بالسراري كيف يتزوج المهائر"، و" السرور باتخاذ السراري " (٣). وقد تخفف الحرة من مهرها أو تدفعه هي إذا كان الرجل ذا شأن كما كانت حال أم سلمة بنت يعقوب بن المغيرة المخزومي التي أعجبت بالسفاح حين حدثت عنه، فدفعت إليه مهرها ليتزوّجها (٤).

وكان يقال عن رواج الجواري وكساد الحرائر: " الجواري كخبز السوق، والحرائر كخبز الدور " (٥). وفي هذه الفترة عانت المطلّقات إعراض الرجال عنهن، وقد لاحظ الجاحظ ذلك ونبّه إليه، فقال: " وكذلك كانوا لا يرون بأسا أن تنتقل المرأة إلى عدّة أزواج، لا ينقلها عن ذلك إلاّ الموت، ما دام الرجال

---

(١) النساء، ص ٢٧٤.
(٢) القيان، ص ١٥٧.
(٣) المحاسن والأضداد، ص ٢٩٧.
(٤) مروج الذهب، ج ٣، ص ٢٦٠ - ٢٦١.
(٥) المحاسن والأضداد، ص ٢٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يريدونها . وهم اليوم يكرهون هذا ويستسمجونه في بعض ،ويعافون المرأة الحرّة إذا كانت نكحت زوجا واحدا ،ويُلزمون من خَطَبَهَا العارَ ،ويُلحقون به اللّومَ، ويعيّرونها بذلك ،ويتخطّون الأمَة وقد تداولها من لا يُحصَى عدده من الموالي. فَمَنْ حسّن هذا في الإماء وقبّحه في الحرائر ، ولِمَ لَمْ يغاروا في الإماء وهنّ أمّهات الأولاد وحظايا الملوك ،وغاروا على الحرائر ؟"(١) . ومن البدهي والحال كذلك ،أن تشتعل قلوب الحرائر غيرة من الجواري اللاتي شاركنهن في أزواجهن . إلاّ أن الجارية لم تستطع دائما أن تنسي الرجل زوجه وتحلّ محلّها - فثمة أحاديث عن أهمية الزوجة الحرّة في حياة زوجها ،ومن ذلك قول القاضي ابن الزبير في كتابه " الذخائر والتحف " :" لما أعضلت مسألة الرشيد فقهاء الاسلام ،أشخص الليث بن سعد إليه فأخرجه منها . وذلك أن الرشيد خاصم زوجته أم جعفر زبيدة فقالت له : والله لا رأيت الجنة ولا دخلتها . فقال لها : إن لم أكن من أهل الجنة فأنت طالق ثلاثا . فأشخص مالك بن أنس من المدينة وسفيان بن عيينة من مكة ،واسماعيل بن عيّاش من حمص ،والليث بن سعد" ، ثم يروي القاضي عن سعد أنه قال :" يا أمير المؤمنين ،تصدقني عما أسألك عنه ؟ قال نعم ،قال : هل تخاف مقام الله ؟ قال : نعم ،قال : فليس لك جنة واحدة بل جنّتان ،قال الله تبارك وتعالى :" ولمن خاف مقام ربّه جنّتان "(٢) . راجع زوجتك فلا حنث عليك "(٣) .

وهذا عيسى بن موسى الذي أحب زوجه حبّا جمّا ،ولكنه قال لها ذات يوم : أنت طالق إن لم تكوني أجمل من القمر ، فنهضت واحتجبت عنه ،وأصابه غمّ شديد ،وذهب للخليفة المنصور ،فقال له :" يا أمير المؤمنين إن تمّ طلاقها

---

(١) القيان ، ص ١٥٨ .
(٢) سورة الرحمن ، آية ٤٦ .
(٣) الرشيد بن الزبير ،الذخائر والتحف ،تحقيق د . محمد حميد الله ، راجعه د . صلاح الدين المنجد ، ١٩٥٩ ، الكويت ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تلفت نفسي غمّا ، وكان الموت أحب إليّ من الحياة " فأحضر له المنصور الفقهاء . فقالوا : قد طلقت ،عدا واحد قال :" بسم الله الرحمن الرحيم ، والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين ،لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم " ، فلا شيء أحسن من الانسان ،فقال المنصور لعيسى : راجع زوجتك فما طلّقت " (١) .

ومن الحرائر من استطاعت أن تحتفظ بزوجها فلم يتزوج غيرها حرّة ولم يتسرّ بجارية . يقول علي بن محمد بن سليمان عن أبيه :" شرط المنصور لأم موسى الحميرية أن لا يتزوج عليها ولا يتسرّى ،وكتبت عليه بذلك كتابا أكدته وأشهدت عليه بذلك " (٢) . وهذه زوج السفاح أم سلمة يقول عنها المسعودي إنها :" حظيت عنده ،وحلف أن لا يتزوج عليها ولا يتسرى ،فولدت منه محمدا وريطة ،وغلبت عليه غلبة شديدة ،حتى ما كان يقطع أمراً الا بمشورتها ،حتى أفضت الخلافة إليه ،فلم يكن يدنو إلى النساء غيرها ،لا إلى حرّة ولا إلى أمة ووفى لها بما حلف أن لا يفيرها " (٣) .

على أنه لا بدّ من القول إن هؤلاء الجواري ، بما كان لهنّ من جمال ورقّة وثقافة قد تركن أثرا كبيرا في أدب العصر والحياة الاجتماعية وأحداث التاريخ وطرائق العيش ، فمن ذلك اهتمام النساء بأزيائهن وبآداب الطعام وفن المجالسة واشاعة عادة التهادي بالأزهار والفواكه ،مما نشأ عنه تلطيف العيش وشيوع الترف ورقّة الطباع ،ولطف التخاطب مع الجنس الآخر .

---

(١) أبو علي المحسن بن علي التنوخي ،الفرج بعد الشدة ،تحقيق عبّود الشالجي ، دار صادر ،بيروت ،ج ٤ ،ص ٣٣٧ .
(٢) المحاسن والأضداد ، ص ١٨٠ .
(٣) مروج الذهب ،ج ٣ ، ص ٢٦١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانت الجارية تحاول أقصى جهدها دفع الملل والسأم عن نفس مولاها . يقول سوّار : " انصرفت من دار المهدي ، فلما دخلت منزلي دعوت بالغداء ، فجاشت نفسي ، فأمرت به فردّ ، ثم دعوت بالنرد ودعوت جارية لي ألاعبها " (١) . ومن الجواري من كانت تملأ المجالس أنسا بأدبها وعلمها ، إذ إن منهنّ من بلغت مستوى ثقافيا يحسدها عليه أدباء عصرها وعلماؤه .

---

(١) الفرج بعد الشدة ، ج ٣ ، ص ١٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا : مجتمع الحرائر :-

حرص الرجل في المجتمع العباسي العراقي على تشديد الحجاب على زوجته الحرّة خوفا عليها من المجون الذى أشاعته فئة من الجواري في المجتمع. وفي القصور ،أحيطت سيدات البلاط بالخصيان على غرار ما كان يفعل الفرس والبيزنطيون ،وأصبح هذا الأمر مظهرا من مظاهر صيانة المرأة ،بالأضافة إلى كونه من مظاهر الجاه والتميّز الاجتماعي . وقد ركّزت المصادر على أخبار سيدات البلاط العباسي بحكم موقعهن في المجتمع ،فتحدثت عن مظاهر الترف ورفاهية العيش التي كنّ ينعمن بها . ومن ذلك ما رواه ابن الزبير في " الذخائر والتحف " إذ يقول :" خلّفت العباسة بنت المهدي بالله ضياعا تبلغ غلّتها في كل سنة أربعة آلاف ألف دينار ،وكانت غلّة الخيزران أم الهادي والرشيد في كل سنة مائتي ألف ألف ،وستون ألف ألف درهم . وخلّفت شجاع أم المتوكل خمسة آلاف ألف دينار عيناً وورقا ،وجوهرا قيمته ألف ألف دينار ، ومن الفرش والدرقيق والدواب وغيره بقيمة ألف ألف دينار ،وماتت في سنة سبع وأربعين ومائتين قبل مقتل ابنها بستة أشهر وخلفت أربع عشرة ضيعة مبلغ غلّتها في السنة أربع مئة ألف دينار " (١) . وذكر البيروني أنه كان لزبيدة " سبحة من ياقيت رمانية كالبنادق ، وكان شراؤها خمسين ألف دينار " (٢) . ويقول الطبرى : " ووجد للخيزران في منزلها من قراقر الوشي ثمانية عشر ألف قرقر " (٣) .ووجد لأم المعتز بالله ثلاث دواويج (٤) كانت تستعملها ،فقوّم الدّواج بأكثر من ألف دينار . ووجد لها جلود السمور ،فتحلق ما عليها من الوبر ،وترمي بالجلود ، فإذا اجتمع من ذلك ما يكفي الدواج ،نثر فيه مع فتيت من المسك والعنبر ،وتجعله

---

(١) الذخائر والتحف ، ص ٢٣٥ .
(٢) الجماهر، ص ١٥٦ .
(٣) تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ،ص ٢٠٥ .
(٤) دواويج : الدّواج : ضرب من الثياب: انظر:لسان العرب ، مادة دوج ، .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بين البطانة والظهارة عوضا عن القطن "(١) ، وأضاف ابن الزبير :" وكانت وجوهها من ملحم خراسان ،أخف شيء وأدفأه "(٢) .

ومن العباسيات من أفاد المجتمع من ثرائها ،وعلى رأس هؤلاء السيدة زبيدة التي قال الجاحظ عنها :" اجتمع للرشيد ما لم يجتمع لأحد من جدّ وهزل ،وزوجته أم جعفر أرغب الناس في الخير وأسرعهم إلى معروف وهي التي أدخلت الماء للحرم "(٣) .

وقد قيل عنها إنها عندما حجّت أنفقت مبلغ خمسين ألف ألف في ستين يوم ،وقد قامت بأعمال خير عظيمة كبناء المساجد وحفر الآبار والبرك في المناطق الصحراوية ،يقول ابن جبير :" هذه المصانع والبرك والآبار والمنازل التي من بغداد إلى مكة ، هي آثار زبيدة زوج الرشيد التي أقامت مرافق ومنافع كثيرة في هذا الطريق "(٤) .

وكانت محبة للعلم والعلماء ،فقد شجعت العلماء وقدّمت لهم الهدايا النفيسة ،يقول أبو عبد الله اليوسفي :" إن أم جعفر زبيدة ابنة جعفر زوجة الرشيد،كتبت إلى أبي يوسف : ما ترى في كذا وأحب الأشياء إليّ أن يكون الحق فيه كذا فأفتاها بما أحبت ، فبعثت بحق فضة فيه حقّان فضة مطبقان، في كل واحد لون من الطيب ،وفي جام(٥) دراهم وسطها جام فيه دنانير"(٦) ويقول يحيى بن معين :" كنت عند أبي يوسف القاضي ،وعنده جماعة من أصحاب

(١) مطالع البدور،ج ١ ،ص ٦٠ ،انظر كذلك :الذخائر والتحف ،ص ٢٣٦-٢٣٧ .
(٢) الذخائر والتحف ، ص ٢٣٧ .
(٣) الذهب المسبوك ،ص ١٠٨ - ١٠٩ ،وانظر كذلك : الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١٤ ، ص ٤٣٣ .
(٤) ابن جبير ،رحلة ابن جبير ،١٣٧٩هـ/١٩٥٩م ،دار صادر للطباعة والنشر، بيروت،ص ١٨٥ ،انظر كذلك : أبو الفرج ابن الجوزي ،أحكام النساء ، الطبعة الأولى ،١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ،دار الكتب العلمية ،بيروت،ص ١٣٨ .
(٥) جام : اناء من فضة . انظر: تاج العروس ، مادة :جام .
(٦) عفيف الدين عبد الله سعد اليافعي اليمني ،مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان ،الطبعة الأولى ،١٤٠٥هـ/١٩٨٤م ،مؤسسة الرسالة ، تحقيق عبد الله الجبوري ،ج ١ ، ص ٣٩٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحديث وغيرهم ،فجاءته هدية أم جعفر ،احتوت على تخوت دبيقي ومصمت، وشراب وطيب ،وتماثيل ندّ وغير ذلك " (١) .

وقد تمتّعت نساء العصر بتقدير الرجال واحترامهم ،وتجلّى هذا الاحترام في مواقف عديدة وقفها الرجال منهنّ . وأولى صور هذا التقدير، موقف المهدي من زوج آخر خلفاء بني أمية التي دخلت على مجلس الخيزران، وكان يضم زينب بنتسليمان ،فقامت زينب بصدّها وتعنيفها لأنها وقفت منها من قبل موقفا قاسيا عندما ذهبت إليها مطالبة بجثة إبراهيم الإمام ،ولكن الخيزران أشارت بالخفاء إلى جواريها آمرة إيّاهن باكرام مزنة - زوج مروان - . ويعلم المهدي بذلك فيقول :" والله والله لو لم تفعلي لها ما فعلت ما كلمتك أبدا وبكى بكاء كثيرا ،ثم قال :" اللّهم إني أعوذ بك من زوال النعمة " ،وأنكر فعل زينب وقال :" لولا أنها أكبر نسائنا لحلفت الاّ أكلّمها " . ثم بعث إليها بعض الجواري إلى مقصورتها التي أخليت لها ،وقال للجارية :" اقرأي عليها السلام منّي ،وقولي لها يا بنت عم ،إن أخواتك قد اجتمعن عندي ،ولولاأني ابن عمك لجئناك " . فلمّا سمعت الرسالة فهمت ما أراد فحضرتْ إليه ،فأكرمها ورفع منزلتها فوق منزلة زينب بنت سليمان ، ثم تجاذبوا أطراف الحديث ،فذكروا أخبار الأسلاف والناس وأخبار الدول . فقال لها المهدي :" يا بنت عم ،والله لولا أني لا أحب أن أجعل لقوم أنت منهم من أمرنا شيئا لتزوّجتك ،ولكن لا شيء أصون لك من حجابي وكونك مع أخواتك في قصري ،لك ما لهن من الإقطاع وأخدمها وأجازها " . وبقيت في قصره حتى عهد الرشيد إلى أن ماتت في خلافته ولما توفيت تأثر الرشيد ومن في قصره عليها كثيرا (٢) . والمعلوم أن المهدي كان يحترم زينب بنت سليمان ،وكان يقول للخيزران :" اقتبسي من آدابها ، وخذي من أخلاقها ،فإنها عجوز لنا قد أدركت أوائلنا " (٣) . وقد تتوسط

---

(١) مرآة الجنان ، ص ٣٩٩ .
(٢) مروج الذهب ، ج ٣ ،ص ٣١٤ - ٣١٥ .
(٣) المصدر نفسه ،والصفحة نفسها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المرأة لأحدهم عند الخليفة ، فيقبل وساطتها ، فهذه ريطة ابنة المهدي تتشفّع لأبي دلامة ، فتقبل شفاعتها ، ويأمر له الخليفة بعشرة آلاف درهم (١) .

وهذه البانوقة بنت المهدي ، وكان معجبا بها لا يطيق الصبر عنها ، حتى إنه كان يلبسها لبس الغلمان ، ويركبها معه ، فلما ماتت وجدّ عليها ، وأمر أن لا يحجب عنه أحد ، فدخل الناس يعزّونه (٢) .

وكانوا إذا اضّطروا إلى أن يذكروا ما يوافق اسم حرم للسلطان ، أو ما لا يجوز المواجهة به ، ذكروا لفظا يماثله في المعنى ، كفعل عبد الله بن صالح ، وقد أهدى للرشيد وردا فكتب إليه : " قد أنفذت إلى حضرة أمير المؤمنين وردا في بستانه في داره التي أسكنها في طبق من قضبان " (٣) ، فلم تعجب كلمة " قضبان " أحد جلساء الرشيد ، فأخبره الرشيد بأن الكاتب قد كنى به عن اسم الخيزران أمّه .

وهذا الرشيد يقدّم لزوجه أنفس الهدايا ممّا أهداه إليه أحد الملوك ، فقد " أهدى بعض ملوك الهند إلى الرشيد هدايا جليلة ، في جملتها قضيب زمرّد أطول من الذراع ، وعلى رأسه تمثال طائر من ياقوت أحمر ، لا قدر له من النفاسة ، فوهبه لأم جعفر زبيدة بنت جعفر زوجته ، وانتقل منها إلى الأمين (٤) . ونسمع بالنساء يقمن الولائم للخلفاء ويقوم الخلفاء باكرامهن بتلبية دعواتهن ، فهذه حمنة بنت عبد الله تقيم للمأمون وليمة ، فيحضرها بصحبة القاضي يحيى ابن أكثم (٥) . وقد أنصف المأمون إحدى النساء عندما تقدمت بشكوى ضد ابنه العباس ، وأرجع اليها حقها كاملا ، يقول قحطبة بن حميد بن قحطبة :

---

(١) الاصفهاني ، الأغاني ، ١٩٥٧ ، دار الثقافة ، بيروت ، ج ١٠ ، ص ٢٦٠-٢٦٢ .
(٢) الكامل في التاريخ ، ج ٦ ، ص ٨٧ .
(٣) أبو الحسين هلال بن المحسن الصابئ ، رسوم دار الخلافة ، عني بتحقيقه والتعليق عليه ونشره ميخائيل عواد ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م ، مطبعة العاني - بغداد ، ص ٥٩ .
(٤) الذخائر والتحف ، ص ٢٠ .
(٥) إعلام النساء ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" لما كان يوم الأحد ، جلس المأمون ، فكان أول من دعا به امرأة ، فسلّمت ، فردّ المأمون عليها السلام ، وقال : أين الخصم - رحمك الله - ؟ قالت : هو واقف على رأسك ، وقد حيل بيني وبينه ، وأومأت إلى العباس ابنه . فقال : يا أحمد ابن أبي خالد ، خذ بيده فأقعده معها . قال : ففعل ذلك . فجعلت تعلو على العباس بصوتها وتقول : ظلمتني واعتديت عليّ ، وأخذت ضيعتي ، فقال لها أحمد : ما هذا الصياح ؟ إنك بين يدي أمير المؤمنين تناظرين الأمير ! فقال المأمون : دعها يا أحمد فان الحق أنطقها والباطل أخرسه . فلم يزالا يتناظران ، حتى حكم المأمون لها بردّ ضيعتها ، ثم قال : " يا أحمد اردد عليها ما جباه العباس من ضيعتها ، وادفع إليها عشرة آلاف درهم ترمّ بها ما أراه من سوء حالها ، واكتب إلينا قاضيا بارفاقها والنظر في أمرها ، وأوعز لها خراج ضيعتها بالشيء الطفيف ، وليكن ذلك في يومنا هذا . فما برحت حتى قضيت حوائجها وخرجت " (١) . وقد تلطّف المأمون بمعاملة زبيدة ورتّب لها في كل سنة مائة ألف درهم يحملها ويداوم على زيارتها (٢) .

وكانت سيدات البلاط العباسي يقمن في دوائر ، لكل واحدة دائرة خاصة بها وكنّ يتزاورن فيما بينهنّ . فقد " كانت الخيزران أم الهادي والرشيد في دارها المعروفة اليوم بأشناس ، وعندها أمهات أولاد الخلفاء وغيرهنّ من بنات هاشم ، وهي على بساط أرمني ، وهنّ على نمارق أرمنية ، وزينب بنت سليمان بن علي أعلاهنّ مرتبة " (٣) . وهذه أم جعفر زبيدة تشعر بالسعادة في إحدى الأيام المسطرة ، فتتمنّى على علّية أن تشاركها هذا اليوم ، فترسل إحدى جواريها فتقول لها : " ألا ترين إلى هذا اليوم وطيبه ، فعلى أي شيء عزمت فيه ؟ " (٤) .

---

(١) المحاسن والمساوئ ، ص ٤٩٦ - ٤٩٧ .
(٢) نهاية الأرب ، ج ٢٢ ، ص ١٨٨ .
(٣) مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٣١٣ .
(٤) قطب السرور في أوصاف الخمور ، ص ١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تقضي المرأة الحرّة وقت فراغها بالتسبيح وقراءة القرآن ، أوبالغزل يقول الوضين بن عطاء (١) : " استزارني المنصور يوما بعد جفاء بيننا ، فسألني عن حالي وعن عيالي ، فقلت : حالي كما تعرفه أما عيالي ، فالمرأة وثلاث بنات ، فقال : أربع في بيتك ؟ وما زال يكررها حتى ظننت أنه سيساعدني ، ثم قال : أنت أيسر العرب . أربعة مغازل يدرن في دارك !" (٢) . ونسمع بالهادي يعاتب أمّه الخيزران لأن بابها لا يخلو من مواكب ذوي الحاجات فيقول لها : أليس لك مصحف أو مغزل يلهيك عن مثل هذه القضايا ! ؟ ابقي في تسبيحك وعبادتك ، ودعي تلك الأمور لأصحابها (٣) . ومن طريف ما يذكر ، أن المرأة في العصر العباسي عملت في عهد الرشيد سجّانة . " في خبر موسى بن علي بن الحسين بن أبي طالب أنّه مات في بغداد في سجن الرشيد ، وتولّت حبسه ببغداد في عهد الرشيد أخت السندي بن شاهك " " وكانت إذا رأته قالت : خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل الصالح " (٤) .

ومن النساء من اتهمن بالزندقة وأقررن بذلك بين يدى الخلفاء ، يقول علي بن محمد : " قال أبي : فأدخلت فاطمة وامرأة يعقوب بن الفضل ، وليست بهاشمية ، يقال لها خديجة - على الهادي ، أوعلى المهدي - فأقرّتا بالزندقة " (٥) . ، وذكر أحمد بن اسماعيل الكاتب . " أن الرشيد أتي ببنت مطيع بن إياس في الزنادقة ، فقرأت كتابهم واعترفت به ، وقالت : هذا دين علّمنيه أبي ، وتبت منه ، فقبل توبتها وردّها إلى أهلها " (٦) . ومنهن من ادّعت النبوة ، فقد " ادّعت امرأة النبوة على عهد المأمون ، فأحضرت إليه ،

---

(١) الوضين بن عطاء بن كنانة ، أبو كنانة الخزاعي من أهل دمشق ، زار العراق ، وتوفي سنة تسع وأربعين ومائة . (انظر : تاريخ بغداد ، ج ١٣ ، ص ٤٨٤) .
(٢) الكامل في التاريخ ، ج ٦ ، ص ٢٩ .
(٣) تاريخ الامم والملوك ، ج ٨ ، ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .
(٤) الكامل في التاريخ ، ج ٦ ، ص ١٦٤ .
(٥) تاريخ الامم والملوك ، ج ٨ ، ص ١٩١ .
(٦) الاصفهاني ، الاغاني ، ١٣٥٦هـ/١٩٧٦م ، نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب المصرية ، ج ١٣ ، ص ٢٩٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقال لها : من أنت ؟ قالت: أنا فاطمة النبيّة ، فقال لها المأمون : أتؤمنين بما جاء به محمد صلّى الله عليه وسلم :" لا نبيّ بعدى " ؟ قالت : صدق عليه الصلاة والسلام ،فهل قال : لا نبيّة بعدى ؟ فقال المأمون لمن حضره : أمّا أنا فقد انقطعت ، فمن كان عنده حجّة فليأت بها ،وضحك حتى غطّى على وجهه " (١) .

---

(١) نهاية الأرب ، ج ١ ، ص ١٤ - ١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثا : دور المرأة في الحياة الاجتماعيـــة :-

اعتاد الناس في العصر العباسي تقديم الهدايا في الأعياد والمناسبات الاجتماعية . ومن الأعياد التي كانوا يحتفلون بها " النيروز " وهو عيد فارسي يحتفلون به في بداية فصل الربيع ، ويقدّمون فيه الهدايا ، وكانوا يهتمّون بخامس يوم من أيام عيد النيروز المسمّى بـ " رام روز " .

ومن المناسبات الاجتماعية التي كانوا يتهادون فيها ، الفصد ، والعودة من الحج ، والمرض ، والمواليد الجدد ، والزواج وغيرها . وقد شاركت المرأة في هذه المناسبات ، وقدّمت هداياها للخلفاء والأزواج والصديقات من النساء. يقول أحمد بن أبي فنن : " خرجت قبيحة إلى المتوكل يوم نيروز ، وبيدها كأس بلّور ، بشراب صاف ، فقال لها : ما هذا فديتك ؟ قالت: هديتي لك في هـــذا اليوم ، عرفك الله بركتـــه " (١) .

ويوم المهرجان أهدت الجواري إلى المتوكل هدايا منوعة ، وكانت هدية الجارية شجرة الدّر أجملها ، فقد أهدت إليه : " عشرين مربّاة ، بعشرين سرجا صينيّا ، على كل غزال خرج صغير من ذهب ، مشبك فيه المسك والعنبر وأنـــواع الطيب المرتفعة ، ومع كل غزال وصيفة بمنطقة من ذهب ، وفي يدها قضيـــب ذهب ، في رأسه جوهرة ياقوت أو زمرّد أو غيرها من الجواهر الجليلة القـــدر . فقال المتوكل لحظاياه ، وقد استملح ذلك ، من منكنّ تحسن مثل هذا أو تقدر عليـــه ؟ " (٢) .

وعندما اقتصد المعتصم " أهدت إليه شمائل صينيّة عقيق ، عليهـــا قدح أسيل ، عليها منديل مطيب مكتوب عليه بالعنبر ، في كل ربع منه بيـــت

---

(١) الاصفهاني ، الأغاني ، ١٩٦٠ ، دار الثقافة ، بيروت ، ج ١٩ ، ص ٢٦٨ .
(٢) الذخائر والتحف ، ص ٢٩ ، وانظر كذلك : مطالع البدور ، ج ٢ ، ص ١٤٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شعـــر "(١) . ويقول اليزيدى :" افتصد المأمون ، فأهدت إليه رياح أترجة عنبر عليها مكتوب بماء الذهب :

تعالج مَنْ هويتُ بفصدِ عـــرقٍ فأضحى السقم في خلعِ الضلـوعِ
وجاءت تحفةَ الأحبابِ تسعـــى بوردٍ فائضٍ فيض الدمـــــوعِ(٢)

وقد يهدى الرجل زوجه عندما تفتصد ،فقد " افتصدت الخيزران فـــي يوم من أيام خلافة المهدي بالله ،فأهدى إليها ألف وصيفة ،مع كل وصيفـــة منهن جام ذهب ،في وسطه ألف درهم وألف وصيف ، ومع كل وصيف جام فضـــة فيه ألف دينـــــار " (٣)

ومن الهدايا التي كانت تقدمها الجارية ، التفاح لأنه رمز الهـــوى والحب . فقد " أهدت جارية من جواري المهدي إليه تفاحة وطيّبتهـــا وكتبت فيهـــا :-

هديّةُ مني إلى المهـــدي تفّاحةٌ تُقْطَفُ من خـــدّي
محمرّةٌ مصفـــرّةٌ طيّبـــتٌ كأنهـا من جنّةِ الخلـد(٤)

وقد تذكّر الهدية المهدي إليه بشيء قد نسيه . فمن ذلك ما رواه المسعودي من أن الرشيد كان يستمع إلى غناء جارية بشعر خالد بن يزيد الكاتب ،إذ أقبلت وصيفة معها تفاحة عليها مكتوب بغاليـــة :

ســرورك ألهـاك عن موعـدى فصـيّرتُ تفاحـتي تذكـــرة

فأخذ الرشيد تفاحة أخرى وكتب عليهـــا :-

تغاضيت وعدي ولم أنســـه فتفّاحـتي هـذه معـــذرة(٥)

---

(١) المحاسن والأضـداد ، ص ٢٨٧ .
(٢) المصدر نفســه ، ص ٢٨٨ .
(٣) الذخائـر والتحـــف ،ص ١٨ .
(٤) العقد الفريـــد ،ج ٦ ،ص ٤٠٦ - ٤٠٧ .
(٥) مـروج الذهـب ،ج ٣ ،ص ٣٦٩ - ٣٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تقدّم المرأة للمرأة كذلك الهدايا النفيسة . يقول الجاحظ: " أهدت أسماء بنت داود إلى أسماء بنت المنصور مائة مركن من فضة فيها أنواع اللخالخ(١) والريحان المطيّب ، ومائة جفنة مطيّبة ، وأنواعا من الأطعمة والأشربة ، وعشرا من الوصائف ، في قدّ واحد فقومت هديتها ، فبلغت ألف دينار "(٢) ، وهذه متيّم جارية علي بن هشام تحتجم ، فتهدي إليها مؤنسة جارية المأمون " مخنقة في وسطها حبّة لها قيمة جليلة كبيرة ، وعن يمين الحبة ويسارها أربع يواقيت وأربع زمرّدات ، وما بينهما من شذور الذهب ، وباقي المخنقة قد طيّب بغالية "(٣) .

وكان يهدى إلى المرأة عندما تضع مولودها ، يقول ابن الزبير: " حدثت ندمان ، جارية قبيحة ، قالت: " ولدت قبيحة المعتزّ للمتوكل في آخر أيام الواثق أخيه ، فلما ولّي الخليفة بعده ، ولدت له أم عبد الله ، فقال لها: لئن كان فاتني بلوغ محبّتي لك في أبي عبد الله ، فلا يفوتني في أم عبد الله . فعمل لها خمس مئة جمل وخمس مئة بغل وفرس وحمار صياغة من خمس مئة ألف درهم فضة ، وحمّل كلّ واحد خرجا فيه خمس مئة دينار ، وأهدى ذلك إليها "(٤).

وعندما كان الخليفة يتولّى منصب الخلافة ، كانوا يهدون إليه : يقول أحمد ابن أبي طاهر(٥) : " لما صار المتوكل على الله بالأنبار قافلا من دمشق ، تلقاه شنيف خادم أمه بهدايا إليه أوردها إليه من عند السيدة قبيحة أم المعتزّ وقيمتها أربع مئة ألف دينار . فعرضت عليه وجلساؤه حضور معه . قال يزيد بن

(١) اللخالخ : اللخلخة : ضرب من الطيب ، انظر لسان العرب ، مادة لخخ .
(٢) المحاسن والاضداد ، ص ٢٨٢ .
(٣) الاصفهاني ، الاغاني ، ١٩٥٦ ، دار الثقافة ، بيروت ، ج ٧ ، ص ٢٩١ ، انظر كذلك : الذخائر والتحف ، ص ١٨ - ١٩ .
(٤) الذخائر والتحف ، ص ٣٠ .
(٥) أحمد بن أبي طاهر الخراساني ، أبو الفضل ، مؤرخ من الكتّاب البلغاء الرواة ، أصله من مرو الروذ ، ومولده ووفاته ببغداد ، له نحو خمسين كتابا ، منها تاريخ بغداد ، والمنثور والمنظوم ، وله شعر قليل ، أورد ياقوت نبذا لطيفة منه . (انظر: معجم الأدباء ، ج ١ ، ص ١٥٦ - ١٥٧ ، تاريخ بغداد ، ج ٤ ، ص ٢١١ ، دائرة المعارف الاسلامية ، ج : ٨٠ ، الأعلام ، ج ١ ، ص ١٤١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المهلبي : فاذا عشرة أفراس بسروج ذهب ولجم ذهب ،وعشر شهاريّ[1] بمثل ذلك فضة ، وعشر نجائب عليها قباب محلاّة بذهب ،وعشرة أبغل عليها قباب محلاّة بفضة ، ومئة تخت عليها ألف ثوب من أصناف الثياب ، من كل صنف مئة ثوب ،وعشرة غلمان ،وعشرة خدم في المناطق الذهب ،ومئة صينية ذهب ،وزن كل صينية ألف دينار ،وفيها ألف درهم مسيّفة ،وسفط فيه جوهر ومسبحة حب جوهر لا يعرف لها قيمة ، وعشر جوار بأصناف الحليّ معهن عشرون وصيفة ،إلاّ أنهنّ لم يعرضن بحضرة الحاضرين معه ،وثلاثون سمورا . قال المهلبي : فحلفت أنه ما أهدى إلى عربي ولا عجمي مثل هذيه الهديّة " (٢)

وكانت الجواري من الهدايا النفيسة التي يتهادى بها القوم يقول علي بن الجهم : وكانت محبوبة أهديت إلى المتوكل ،أهداها إليه عبد الله بن طاهر في جملة أربعمائة جارية وكانت بارعة الحسن والظرف والأدب ، مغنّية محسنة ،فحظيت عند المتوكل " (٣) .

وعلى الرغم من المبالغة الشديدة التي نلمسها في بعض الهدايا المذكورة في الروايات السابقة ،إلاّ أن هذه الروايات تلقي الضوء على مشاركة المرأة مجتمعها في المناسبات المختلفة وتقديم الهدايا للأعزاء وتلقيها الهدايا منهم .

ومثلما كانت المرأة تشارك في الأعياد والمناسبات السعيدة ،فقد كانت كذلك تشارك في الأحزان والمآتم ،فنراها تلطم الخدود ،وتشق الجيوب، وتخرج حاسرة الرأس وراء الجنازة ،وتلبس لباسا خاصا معلنة الحداد ،وتندب وتنوح ،وتخرج للمقابر تزور الموتى ،فتواصل بكاءها ونوحها . وكان نواح المرأة

(١) شهاري : الشهريّة : ضرب من البراذين ،وهو بين البرذون والمقرف من الخيل .انظر :لسان العرب ،مادة ،شهر .
(٢) الذخائر والتحف ،ص ٣١ - ٣٢ .
(٣) الأصفهاني ،الأغاني ،تحقيق عبد الستار أحمد فراج ،١٣٨٠هـ/١٩٦٠م، دار الثقافة ،بيروت ، ج ٢٢ ، ص ٢٠٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعد وفاة انسان عزيز يزيد من بكاء من يسمعها على الميت . فعندما توفي أبو عيسى الرشيد ،بكى المأمون كثيرا ،وطلب من عَريب ،أن تنوح عليه . يقول ابن أبي داود عن أبيه " فناحت ،وردّ عليها الجواري ،فبكى المأمون حتى قلت: قد خرجت نفسه ،وبكينا معه أحرّ بكاء ،ثم أمسكت ،فقال لها المأمون: اصنعي فيه لحنا وغني به ،فصنعت فيه لحنا على مذهب النوح وغنّته إياه على العود . فوالّذي لا يحلف بأجلّ منه ،لقد بكينا عليه غناء أكثر مما بكينا عليه نوحا "(١) .

ولمّا توفي علي بن هشام سيد متيّم ، " جاءت النوائح ،فطرح بعض من حضر من مغنّياته عليهنّ نوحا من نوح متيّم ،وكان حسنا جيدا فأبطأ نوح النوائح اللاتي جئن لحسنه وجودته ،وكانت زين حاضرة ،فاستحسنته جدا ، وقالت: رضي الله عنك يا متيّم ،كنت علما في السرور ،وأنت علم في المصائب" (٢)

ومن الجواري من كانت تمتهنّ النوح ،فقد كانت حبابة جارية أبي تمام ،لا أخت لها في النوح ،وقد تهالك أهل العراق على نواحها (٣) .

وكانت الجواري يزرن القبور ويلطمن هناك. يقول أحمد ابن أبي طاهر: "مرّ محمد بن صالح بقبر لبعض ولد المتوكل ،فرأى جواري يلطمن عنده " (٤) . ويقول عبد الملك بن ابان بن عمر النخعي :" إن أبا نواس أشرف على منزل عبد الوهاب الثقفي ،وقد مات بعض أهله ،وعندهم مأتم ،وجنان واقفة مع النساء تلطم وجهها " (٥) .

---

(١) الاصفهاني ، الأغاني ،١٩٥٧ ،دار الثقافة ،بيروت ،ج ١٠ ،ص٢٠٢-٢٠٣ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ٧ ،ص ٢٩٠ .
(٣) أبو حيان التوحيدي ،الامتاع والمؤانسة ،صحّحه وضبطه وشرح غريبه أحمد أمين وأحمد الزين ،منشورات دار الحياة ،بيروت،ج ٢ ،ص ١٨١ .
(٤) الاصفهاني ،الأغاني ،تحقيق عبد الستار أحمد فراج ،١٩٥٩، دار الثقافة بيروت ، ج ١٦ ،ص ٢٨٤ .
(٥) المصدر السابق ،١٩٦٠، ج ٢٠ ، ص ١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانت المرأة عندما تسمع بموت أحد أقاربها ، تشق الجيب وتخمش الوجه وتصرخ ، فهذا المنصور بن زياد يشعر بالخطر عندما يرسل الرشيد في طلبة ، فيقول لنسائه وبناته : اخرجن إليّ كما لو كنت ميتا . ويصفهن صالح صاحب المصلى فيقول : فخرجن إليه مشقّقات الجيوب مخمشات الوجوه بصراخ شديد فبكى إليهن وبكين إليه ، وودّعهن وخرج وهن في أثره واضعات التراب على رؤوسهنّ " (١) .

وكانت المرأة إذا خرجت للقبور لتزور موتاها ، تندبهم هناك . يحدّثنا الأصمعي عما شاهده في مقابر البصرة فيقول : إنه قد رأى جارية تندب زوجها وأنها قالت للأصمعي : " والله لأندبنّه حتى أصير مثله في قبر إلى جانبه " (٢) .

وكانت المرأة تهجر زينتها وتلبس ملابس الحداد حزنا على وفاة الأعزاء. فقد قيل إن حسنة جارية المهدي لبست هي وحشمه المسوح والسواد جزعا عليه بعد أن مات (٣) ، وإن محبوبة لبست الثياب البيضاء حزنا بعد مقتل المتوكل (٤) .

وعلى الرغم من الحديث عن مجون الجواري وترف الحرائر ، فانه لا بدّ من الحديث عن النساء اللواتي أعرضن عن مباهج الحياة الدنيا ، وقضين أوقاتهن في العبادة والتقرّب إلى الله ، وعلى رأس هؤلاء رابعة العدويّة وصديقتها حيّونة اللتان كانتا تقضيان النهار وآناء الليل في ذكر الله ، وكانتا إذا ما ذكرت النار يغشى عليهما من شدة الخوف ومن خشية أن لا تقبل أعمالهما الصالحة . ومن أقوال رابعة العدوية : " استغفارنا يحتاج إلى استغفار لعدم

---

(١) المحاسن والمساوئ ، ص ٥١٠ .
(٢) المستظرف ، ج ٢ ، ص ٣٢ .
(٣) مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٣٠٩ .
(٤) الاصفهاني ، الأغاني ، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م ، دار الثقافة ، بيروت ، ج ٢٢ ، ص ٢٠٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصدق فيه "(١) . ولقد قيل لها : أعملت عملا ترين أنه يقبل منك ؟ فكانت تقول : "إن كان ، فخوفي أن لا يقبل مني "(٢).

وقد اختلفت آراء رجال العصر في نسائه ، فمنهم الذين كانوا يطلقون الأحكام التعسّفية العامة عليهنّ ، ومنهم من كانوا يشيدون بهنّ ، ومن الملاحظ أن العباسيين في بداية الدعوة كانوا يحاولون أن يوهنوا أمر الانتساب إلى المرأة ليضعفوا دعوى أبناء عمهم العلويين ، ويثبتوا عدم حقهم بالخلافة ، لأنهم كانوا يعتمدون في ذلك على قرابتهم للسيدة فاطمة بنت الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، والسيدة خديجة - رضي الله عنها - . فقد أرسل أبو جعفر المنصور برسالة إلى محمد بن الحسين الذي كان يفخر بأنه من أمومة سيدتي نساء العالمين ، السيدة خديجة زوج الرسول - صلّى الله عليه وسلم - والسيدة فاطمة الزهراء ابنته فقال فيها : " بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ، فقد بلغني كلامك ، وقرأت كتابك ، فاذا جلّ فخرك بقرابة النساء لنضل به الجفاة ، والغوغاء . ولم يجعل الله النساء كالعمومة والآباء ، ولا كالعصبة والأولياء لأن الله فضّل العم وبدأ به في كتابه على الوالدة الدنيا . ولو كان اختيار الله لهنّ على قدر قرابتهنّ ، كانت آمنة أقربهنّ رحما ، وأعظمهنّ حقا ، وأول من يدخل الجنة غدا . ولكن اختيار الله لخلقه على علمه ، لما مضى منهم واصطفائه لهم " (٣) ، ويقول موسى بن مهران : إن عبد الله بن مصعب بن ثابت دعا المنصور للاستماع إلى غناء بصبص قبل مغادرته المدينة فقال له : " أما إنكم يا آل الزبير قديما ما قادتكم النساء ، وشققتم معهن العصا ، حتى صرت

---

(١) مرآة الجنان ، ج ١ ، ص ٣٠٦ .

(٢) أبو الفرج ، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي ، صفوة الصفوة ، الطبعة الأولى ، ١٣٥٦هـ ، مطبعة دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الهند ، ج ٤ ، ص ١٨ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ص ٥٦٨ . وانظر كذلك : العقد الفريد ، ج ٥ ، ص ٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنت آخر الحمقى تبايع السفنيات ، فدونكم يا آل الزبير وهذا المرتع الوخيم[1]".

ونجد المنصور يحذر من المرأة ، ففي وصيته للمهدي يقول : " واياك أن تدخل النساء في أمرك ، وأظنك ستفعل "(٢) .

غير أن الخلفاء العباسيين الذين جاءوا بعد المنصور أجلّوا المرأة واحترموها واستشاروها وأخذوا برأيها . وكان لنساء الخلفاء العباسيين في شؤون السياسة دور لا يمكن اغفاله . وتحفل المصدر بذكر الروايات التي توضح مدى اجلالهم للمرأة واحلالهم إياها مكانة عالية في نفوسهم وحياتهم . واختلاف آراء الناس في المرأة في المجتمع العباسي هو من الأمور المتوقعة ، إذ كانت هذه الآراء تتأثر بشخصيات أصحابها وأوساطهم ، وبأنماط النساء اللواتي يصدرون أحكامهم عليهن .

إن كثرة الجواري في ذلك المجتمع ، وسلوك الكثيرات منهن ، كان لهما أثر واضح في الأحكام الغالبة التي نسمعها عن المرأة من بعض رجال ذلك المجتمع. واختلاف الآراء في المرأة في ذلك العصر ينبغي الاّ يعدّ تناقضا في المواقف إذ هو لا يعدو أن يكون تمثيلا لمواقف مختلفة منها ، أو رأيا في أنماط معيّنة من النساء ، يطلقه أنماط من الرجال . ومن ذلك ما رواه أبو العبر الهاشمي قال : حدّثني أبي : " أن مطيع بن إياس مرّ بحيى بن زياد ، وحماد الراوية وهما يتحدثان فقال لهما فيم أنتما ؟ قالا : في قذف المحصنات. قال : أوفي الأرض محصنات فتقذفانها ؟ "(٣) . وربما كان مطيع بن اياس هذا بحكم نشأته ووسطه ، لم يعرف من النساء الا غير المحصنات ، فأطلق عليهن هذا الحكم الجائر . ويقول ابن المقفع : " اعلم أن من أوقع الأمور في الدين ، وأنهكها

---

(١) الاصفهاني ، الأغاني ، ١٣٥٦هـ/١٩٧٦م ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، ج ١٥ ، ص ٢٩ .
(٢) الكامل في التاريخ ، ج ٦ ، ص ١٩ .
(٣) الاصفهاني ، الأغاني ، ١٣٥٦هـ/١٩٧٦م ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، ج ١٣ ، ص ٢٨٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للجسد ، وأتلفها للمال ،وأقتلها للعار وأزراها للمروءة ،وأسرعها في ذهاب الجلالة والوقار ،الغرام بالنساء . ومن البلاء على المغرم بهن أنه لا ينفك يأجم(١) ما عنده ،وتطمح عيناه إلى ما ليس عنده منهنّ "(٢) ،ويقول أيضا "إنما النساء أشباه ،وما يتزين في العيون والقلوب من فضل مجهولا تهنّ على معروفاتهنّ باطل خدعة ،بل كثير مما يرغب منه الراغب ،فما عنده أفضل مما تتوق إليه نفسه(٣)" ،ثم يقول :" إنما المترغّب عما في رحله منهن إلى ما في رحال الناس ،كالمترغّب عن طعام بيته إلى ما في بيوت الناس: بل النساء أشبه بالنساء من الطعام بالطعام ،وما في رحال الناس من الأطعمة ،أشدّ تفاضلا وتفاوتا مما في رحالهم من النساء "(٤) . ويشبه هذا الكاتب المرأة بالأفعى التي لا أمان لها ولا تمنح إلا السمّ الذى يسري في جسد الانسان فيقتله .يقول :" إن منزلة النساء بمنزلة الأفاعي لا يؤمن شرها" (٥) . ثم يتّهم المرأة بعدم الوفاء وكتم الأسرار فيقول :" قلّما حرص رجل على النساء فلم يفتضح"(٦).ويصوّر المرأة عالما مجهولا لا يستطيع أحد أن يفهمه وذلك إذ يقول :" يستدل على جودة الذهب بالنار ،وعلى قوة الدواب بالأحمال ،وعلى أهل الأمانة بالأخذ والعطاء ،ولا يستدل على أقصى علم النساء بشيء من الأشياء"(٧) . وقد عدّ مجالسة النساء من الأمور التي تسيء للملوك والعظماء . يقول :" أربع خصال تقبح بالملوك والعظماء والأشراف : مجالس النساء ،والصبيان ،ومشاورتهم ، وترك ما يحتاج إليه من الأمور فيما يعمله بيده ويحضره بنفسه "(٨) ،ويعود

---

(١) يأجم :يكره . انظر :لسان العرب ،مادة أجم .
(٢) ابن المقفع،الأدب الكبير ،١٤٠١هـ/١٩٨١م ،دار الجيل ،بيروت، ص ٩٧ - ٩٨ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٩٨ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٩٨ - ٩٩ .
(٥) أختيار محمد كرد علي ،رسائل البلغاء ،ابن المقفع،يتيمة السلطان ، ط٣، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ،١٣٦٥هـ/١٩٤٦ ،القاهرة ،ص١٦٢ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ١٦٤ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ١٦٥ .
(٨) المصدر نفسه ،ص ١٥٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليتّهم المرأة بعدم القدرة على كتم الأسرار فيقول : " أمور كثيرة لا يجترىء عليها إلاّ أهوج ، ولا يسلم منها إلاّ قليل : صحبة السلطان ، وائتمان النساء على الأسرار ، وشرب السم للتجربة ، وركوب البحر " (١) . ومع ذلك فاننا نقف على رسالة منه لأحد أصدقائه يهنّئه فيها بمولودته الجديدة ، فيقول : " بارك الله لكم في الابنة المستفادة ، وجعلها لكم زينا ، وأجرى لكم بها خيرا فلا تكرهها ، فانهن الأمهات والأخوات ، والعمات والخالات ، ومنهن الباقيات الصالحات ، وربّ غلام ساء أهله بعد مسرّتهم ، وربّ جارية فرّحت أهلها بعد مساءتهم " (٢) . ويقول : " المرأة الصالحة عماد الدين ، وعمارة البيت ، وعون على الطاعة " (٣) . ونقف حائرين من هذا التناقض في الحكم على المرأة ، أهو تقلب مزاج ، أم اختلاف ظروف وملابسات ، أم انحراف عن جادة الحق وعقيدة الاسلام التي تجعل الجنة تحت أقدام الأمّهات ؟ ! .

وفي المقابل ، نجد الجاحظ يأخذ جانب المرأة ، فيكتب فيها رسالة النساء ، وهي وإن لم تصلنا كاملة ، إلاّ أن ما جمعه حسن السندوبي منها يبيّن رأي الجاحظ في المرأة ، وانتصاره لها . ومن ذلك قوله : " لكنا رأينا ناسا يزورون عليهن أشد الزراية ، ويحتقرونهن أشدّ الاحتقار ، ويبخسونهن حقوق الآباء والأعمام الاّ بأن تنكر (٤) حقوق الامهات والأخوال ، فلذلك ذكرنا جملة ما للنساء من المحاسن ، ولولا أن أناسا يفخرون بالجلد وقوة المنة ، وانصراف النفس عن حب النساء ، حتى جعلوا شدة حب الرجل لأمته وزوجته دليلا على الضعف ، وبابا من الخور ، لما تكلفنا مما شرحناه في بعض هذا الكتاب " (٥) .

---

(١) يتيمة السلطان ، ص ١٥٦ .
(٢) محمد كرد علي ، رسائل البلغاء ، لابن المقفع في التهاني والتعازي ، ص ١٣٦ .
(٣) يتيمة السلطان ، ص ١٤٨ .
(٤) في الأصل ينكر ، والأفضل تنكر .
(٥) النساء ، ص ٢٧٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتحدث الجاحظ عن أهمية المرأة في حياة الرجل ،فهي بحكم الفطرة نصفه الثاني الذى يكمل دينه فيقول :" ومما يستدل به على تعظيم شأن النساء أن الرجل يستحلف بالله الذي لا شيء أعظم منه ، وبالمشي إلى بيت الله ، وبصدقة ماله وعتق رقيقه ،فيسهل عليه ولا يأنف منه . فان استحلف بطلاق امرأته، اربدّ وجهه ،وطار الغضب من دماغه ،ويمنع ويعصي ويغضب ويأبى ،وإن كان المحلف سلطانا مهيبا ،وإن لم يكن يحبها ولا يستكثر منها ،وكانت نفسها قبيحة المنظر ،وضيعة الحسب خفيفة الصداق ،قليلة النشب . وليس السبب في ذلك إلاّ لما قد عظّم الله تعالى من شأن الزوجات في صدور الأزواج" (١).

ويتحدث عن اهتمام الرجل بزينته ونظافته وحرصه على اخفاء شيبه ليصغر عمره ،وما ذلك الا دليل جلي على اهتمام الرجل بالمرأة ،يقول : " ولم نرَ الرجال يهبون للرجال إلاّ ما لا بال له في جنب ما يهبون للنساء ، حتى كان العطر والصبغ والخضاب والكحل والقص والتحذيف والحلق وتجويد الثياب وتنظيفها والقيام عليها وتعهدها مما لم يتكلفوه الا لهنّ ،ولم يتقدموا فيه الا من أجلهنّ " (٢).

والمرأة من أغلى ما في حياة الرجل . ويقدّم الجاحظ دليلا على ذلك من القرآن الكريم فيقول :" زين للناس حبّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث" (٣) . فقد دلّ تبارك وتعالى على جملة أصناف ما خولهم من كرامته ،ومنّ عليهم من نعمته . ولم نرَ الناس وجدوا بشيء من هذه الأصناف وجدهم بالنساء ، ولقد قدّم ذكرهنّ في هذه الآية على قدر تقدمهن في قلوبهم " (٤) . ونظرا لأهمية

---

(١) النساء ، ص ٢٧٠ .
(٢) المصدر نفسه ،ص ٢٦٧ - ٢٦٨ .
(٣) سورة آل عمران : آية ١٤ .
(٤) النساء ، ص ٢٦٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المرأة في حياة الرجل ، نجده يسعى في طلبها يعشقها ويخطبها ،لذا فهي في رأى الجاحظ أرفع حالا من الرجل . يقول :" المرأة أرفع حالا من الرجل في أمور منها : أنها التي تخطب وتراد وتعشق وتطلب ،وهي التي تفدى وتحمى "(١) . والمرأة هي المحور الأساسي في حياة الرجل ،وهو يسعى دائما لارضائها وتوفير احتياجاتها وتأمين الحماية لها من كل ما يمكن أن يعرضها للأذى . يقول الجاحظ :"وغاية أموال الرجال وكسبهم وهمهم وما يملكون إنما هو مصروف إلى النساء . فلو لم يكن إلاّ ما يعدّ لهنّ من الطيب والحلي والكساء والفرش ، والآنية ،لكان في ذلك ما كفى . ولو لم يكن الا الاهتمام بالحفظ والحراسة وخوف العار من خيانتهنّ والجناية عليهن ،لكان في ذلك المؤونة العظيمة ،والمشقة الشديدة . غير أن أولى الأشياء بالرجال حفظهن وحراستهن "(٢) . ويوصي الجاحظ الرجال بالنساء خيرا ،لأنهم ألاقوى ، فينبغي أن يكونوا رحماء . يقول في ذلك :" ونحن وإن رأينا أن فضل الرجل على المرأة في جملة القول في الرجال والنساء أكثر وأظهر ،فليس ينبغي لنا أن نقصر في حقوق المرأة ، وليس ينبغي لمن عظّم حقوق الآباء أن يصغر حقوق الأمّهات ،وكذلك الاخوة والأخوات والبنين والبنات . وان كنت أرى أن حقّ هذا أعظم ،فان هذه أرحم "(٣) .

---

(١) النساء ، ص ٢٦٩ .
(٢) المحاسن والأضداد ، ص ٢٠٩ .
(٣) النساء ، ص ٢٧٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعا : أثر المرأة في الحياة السياسية :-

أ - أثر الحرائر :-

عندما نتحدث عن السياسة وما تتطلّبه من كياسة ورجاحة عقل و قوة شخصية ، نذكر المرأة العباسية في المجتمع العراقي ، إذ كان لها دور واضح في توجيه السياسة . وقد يتراءى للدارس نفوذ المرأة منذ بداية عهد السفاح الذى تزوّج أم سلمة بنت يعقوب ، فغلبت عليه غلبة شديدة ، حتى إنه ما كان يقطع أمرًا الاّ بمشورتها (١) . وفي عهد المهدي ، تُلحظ مكانة مرموقة لزوجه الخيزران التي كان لها رأى نافذ ، إذ كانت تأمر وتنهى ، وكانت تجلس في قصرها في أشناس وحولها بنات الخلفاء ، فيتوافد عليها الناس من أجل حاجاتهم ، كما في خبر مزنة زوج مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين التي جاءت إلى الخيزران مستعطفة ، بعد أن تبدل حالها من النعيم إلى البؤس(٢) ، ويستمر نفوذ الخيزران في عهد الهادي ، فقد " كان كثير الطاعة لأمّه الخيزران ، مجيبا لها فيما تسأل من الحوائج ، فكانت المواكب لا تخلو من بابها " (٣) . وتروي المصادر أخبارا تدخلها في الشؤون العامّة ، ومن ذلك أنها أرسلت إلى الفضل ابن الربيع وإلى يحيى بن خالد لتشاورهما في أمور الدولة (٤) . ويروى أنها دخلت ذات يوم على الهادي وسألته أن يولي خاله الفطريف اليمن(٥). وحين يمتدح أحد الكتّاب نفسه في كتاب يرسله إلى الخيزران طامعا في العطاء

---

(١) مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٢٦١ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٣١٣ - ٣١٥ .
(٣) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٣٢٧ .
(٤) الكامل في التاريخ ، ج ٦٣، ص ٨٨ .
(٥) تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ص ٢٢٢ . انظر كذلك : الأربلي : الذهب المسبوك ، ص ١١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تنصحه بأن يدع أعماله تتحدث عنه ،وتعده خيرا (١) ،ولكن الهادي الذى عرف بغيرته الشديدة على النساء يضيق في النهاية من كثرة تدخلها في أمور الدولة ،فيقف منها موقفا حازما مغايرا لموقفه في بداية عهده ،فيبدأ يرفض طلباتها كما فعل عندما توسطت لديه بشأن عبد الله بن مالك(٢) ،وينهاها عن التدخل في أمور الدولة مرة أخرى ،لأنه يرى أن للمرأة مجالا آخر يليق بها غير أمور الدولة ،فتغضب منه غضبا شديدا (٣) . ولم يكتف الهادي بذلك ، بل جمع قواده ورجاله ،وتساءل قائلا : أيما خير أنا أو أنتم ؟ قالوا : بل أنت يا أمير المؤمنين . قال : فأيما خير : أمي أو أمهاتكم ؟ قالوا : بل أمك يا أمير المؤمنين . قال فأيكم يحب أن يتحدث الرجال بخبر أمّه ،فيقولون فعلت أم فلان كذا ،وصنعت أم فلان ،وقالت أم فلان ؟ قالوا : ما أحد منّا يحبّ ذلك . قال : فما بال الرجال يأتون إلى أمي فيتحدثون بحديثها ؟! فلما سمعوا ذلك ،انقطعوا عنها البتّة ،فشق ذلك عليها فاعتزلته ،وحلفت ألاّ تكلّمه ، فما دخلت عليه حتى حضرته الوفاة " (٤) .

ويتردّد على صفحات التاريخ خبر النفوذ الذى استحكم بين الهادي وأمّه بسبب تدخلها في أمور الدولة . فقد روى الطبري على لسان يحيى بن الحسن ناقلا عن بعض الهاشميين خبرا يتهم الخيزران بقتل ولدها ،وهذا أمر لا يقبله العقل إذ إن عاطفة الأمومة لدى المرأة أقوى من مغريات الدنيا مهما كانت قوية جاء في : " تاريخ الطبري " سبب موت الهادي ،كان حرصه على خلع أخيه هارون ،وأخذ البيعة لابنه جعفر ،فخافت الخيزران على هارون ودسّت إليه من جواريها لما مرض من قتله (٥) . وعلى الرغم من المبالغات الكثيرة

(١) الوزراء والكتاب ، ص ٢٢١ .
(٢) عبد الله بن مالك : من قواد الدولة العباسية ،تولى الشرطة في عهد المهدي ،وحتى عهد الرشيد -(انظر الكامل في التاريخ ،ج ٦ ،ص ٩٦-١٠٠، ١٠٢ - ١٨٣ - ١٩٦ - ٢٠٦ - ٢٠٨ - ٢١٢ - ٢٢٣ - ٢٢٤) .
(٣) تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ،ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٠٦ .
(٥) المصدر نفسه ،ج ٨ ،والصفحة نفسها . انظر كذلك : الكامل في التاريخ، ج ٦ ، ص ١٠٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي رويت في بعض كتب التاريخ في موضوع خلاف الهادي مع أمه الخيزران ، إلا أن المؤرخ المسعودي يقدّم لنا صورة أقرب إلى الواقع والمعقول عن العلاقة بينهما . فقد أورد هذا المؤرخ في كتابه مروج الذهب الرواية التالية : " طلب الهادي قبل وفاته أن يحضروا الخيزران أمه ، فصارت عند رأسه ، فقال لها: أنا هالك في هذه الليلة وفيها يلي أخي هارون ، وأنت تعلمين ما قضى به أصل مولدي بالري ، وقد كنت أمرتك بأشياء ونهيتك عن أخرى ، مما أوجبته سياسة الملك ، لا موجبات الشرع من برّك ولم أكن بك عاقّا ، بل كنت لك صائنا وبرا وأصلا ، ثم قضى قابضا على يدها ، واضعها لها على صدره "(١) . ومضمون هذه الرواية ينفي بصورة قاطعة دور الخيزران في قتل الهادي دون أن يتعارض مع حرص الخيزران على ابقاء البيعة للرشيد بعد الهادي . ويروى ابن الأثير أن الخيزران أرسلت إلى يحيى بن خالد عندما علمت أن المرض قد أشتد على الهادي ، فأحضر الكتّاب وكتبوا كتبا من الرشيد إلى العمال بوفاة الهادي ، وبأن الرشيد قد ولاّهم ما كان ، وما سيكون ولما مات الهادي أرسلت الكتب (٢) وبيد و أن يحيى بن خالد كان من المقربين إلى الخيزران ، وكثيرا ما كانت تستشيره في القضايا المهمة . ويروى أنه قد تصدى لمحاولة الهادي اقصاء الرشيد عن ولاية العهد بعد أن كاد الرشيد يوافق على ذلك (٣) .

وتعود الخيزران لممارسة سلطتها في الدولة من جديد ، فقد كان لها دور في الصراع الذى كان قائما بين العرب والفرس في خلافة الرشيد ، إذ كان الرشيد يميل كثيرا إلى تولية الفضل بن الربيع (٤) أمرا من أمور الدولة ، ولكن أمه الخيزران كانت تحول دون ذلك . وقد صرح الرشيد بهذا بعد وفاة الخيزران ،

(١) مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٣٣٣ .
(٢) الكامل في التاريخ ، ج ٦ ، ص ٩٩ .
(٣) الوزراء والكتّاب ، ص ١٦٩ - ١٧٠ .
(٤) الفضل بن الربيع: أبو العباس: الفضل بن الربيع بن يونس، كان حاجبا للمنصور والمهدى والهادي والرشيد ، فلما نكب الرشيد البرامكة ، استوزره بعدهم واستخلف الامين ، فاقره في وزارته ، فعمل على مقاومة المأمون وكان خبيرا بأحوال الخلفاء وآدابهم ، مات سنة ٢٠٨ هـ . انظر: الصابي ، رسوم دار الخلافة ، ص ٥٩ ، تاريخ بغداد ، ج ١٢ ، ص ٣٤٣ . معجم الأدباء ، الزركلي ، ج ٥ ، ص ١٤٨) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما في رواية الأربلي ،إذ دعا الفضل بن الربيع وقال له :" وحق المهدي إنني لأهم بالشيء لك من الليل ، فتمنعني أمي ،فأطيع أمرها ،فخذ الخاتم من جعفر " (١) .

ومهما قيل في الخيزران ،فإنه لا مجال للشك في قوة شخصيتها ،كما يتبيّن من تكفّلها بتولية ولديها الخلافة ،الواحد منهما بعد الآخر .

وفي عهد الرشيد ،نلمح نفوذ زوجه زبيدة التي كان يحبها حبا جمّا، فقد روي عنه أنه كاد يتنازل عن الخلافة إذا ضمن لنفسه الهنيء والمريء إلى جانبها (٢) . كما ذكر الجهشياري في كتاب " الوزراء والكتّاب " . ويقول المسعودي :" وكانت أم جعفر زبيدة زوج الرشيد من الرشيد بالمنزلة التي لا يتقدّمها أحد من نظرائها " (٣) . فلا عجب إذن أن استطاعت القيام بأعمال كبيرة في أماكن مختلفة في أرض الخلافة العبّاسية ،وقد سبق الحديث عن ذلك ،ونقرأ عن معاتبتها الرشيد أشد المعاتبة لتوليته الأمين أمور السلم والمأمون أمور الحرب ،ولكنه هنا لا يأخذ برأيها ويوضح لها أنه اختار لكل من ولديه المكان الذي يناسبه . فقد روى المسعودي أن أم جعفر دخلت على الرشيد فقالت : ما أنصفت ابنك محمدا حين ولّيته العراق ،وأبعدته عن العدو والحروب ، وجعلت ذلك لعبد الله ،فأجابها : ما أنت وتخير مواقع الرجال ؟ ثم أوضح لها أنه قد اختار لكل منهما ما هو أهل له (٤) .

وقد كانت زبيدة حريصة كل الحرص على أن تكفل لولدها الأمين الخلافة بعد أبيه ،على الرغم من اقتناع الرشيد بأن المأمون أولى بالخلافة من الأمين ولكن زبيدة تصدت لكل محاولة من شأنها أن تحرم ولدها ولاية العهد . فقد روي أنها دخلت على الرشيد ذات يوم فعاتبته أشدّ عتاب لأنه قرّظ المأمون

---

(١) الذهب المسبوك ، ص ١١٧ .
(٢) الوزراء والكتّاب ،ص ١٦٩ - ١٧٠ .
(٣) مروج الذهب ،ج ٣ ،ص ٣٧٧ .
(٤) المصدر نفسه ،ج ٣ ، ص ٣٥٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دون الأمين . ويروي التوحيدي أن الرشيد أراد أن يبيّن لها فضل المأمون على الأمين ،فأرسل إليهما خادمين يبلّغ كل واحد منهما بموته . أما المأمون ،فقد زجر الخادم ،في حين أن الأمين أظهر الفرح ،ووعد الخادم بما يسرّه إن كان النبأ صحيحا . وعندما رجع الخادمان وحدّثا بما رأيا وسمعا قال الرشيد لزبيدة "؛ كيف ترين ؟ ما أقدّم ابنك إلاّ متابعة لرأيك وتركا للحزم " (١) . وقد ساعد زبيدة في ضمان ولاية العهد لابنها الأمين وقوف بني هاشم إلى جانبها لأن أم المأمون كانت فارسية ، في حين أن زبيدة كانت عربية هاشميّة . ولم يكن الرشيد يجهل صفات المأمون ، كما يتبيّن من العبارة التالية المنسوبة إليه: والله إني لأتعرف في عبد الله ، يعني المأمون ، حزم المنصور ونسك المهدي ،وعزة نفس الهادي ، فلو أشاء أن أنسبه إلى الرابعة فيّ لنسبته . إني لأرضى سيرته ،وأحمد طريقته ، واستحسن سياسته ، وأرى قوته وذهنه ،وآمن ضعفه ووهنه ، وإني لأقدم محمدا عليه ،وأعلم أنه منقاد لهواه ، متصرف في طريقه ،مبذّر لما حوته يده ،شارك للنساء والاماء في رأيه . ولولا أم جعفر وميل بني هاشم إليه ،لقدّمت عبد الله عليه " (٢) . ويقول صاحب النجوم الزاهرة : إن أم جعفر قد أرسلت أخاها إلى الفضل بن الربيع كي يساعدها في أخذ البيعة للأمين ،فوعد بذلك وما زال يسعى في الأمين عند الرشيد حتى ضمنها له " (٣) .

ويبدو أنه كان للسيدة زبيدة دور كبير في نكبة البرامكة إذ قيل إنها حرّضت الرشيد عليهم . ويقال إن من الأسباب التي جعلتها تحمل الضغينة للبرامكة ،محاولتهم صرف ولاية العهد عن ولدها الأمين ،إذ يروي المسعودي : أن الأمين بعد أن خلف للرشيد بما حلف له بعد إسناد ولاية العهد إليه ،

---

(١) البصائر والذخائر ،مجلد ٤ ،ص ٥٥ ،انظر كذلك : الذهب المسبوك ، ص ١٨٧ .

(٢) الذهب المسبوك ،ص ١١٩ .

(٣) جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغربردى الأتابكي ،النجوم الزاهرة ، في ملوك مصر والقاهرة ،نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، ج ٢، ص ٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال له جعفر بن يحيى البرمكي : " فإن غدرت بأخيك خذلك الله ، حتى فعل ذلك ثلاثا ، في كلها يحلف له . ولهذا السبب اضطغنت أم جعفر على جعفر ابن يحيى ، فكانت أحد من حرض الرشيد على أمره ، وبعثته على ما نزل به" (١) . وكانت زبيدة تنتهز أى فرصة لتشكو البرامكة للرشيد . فقد كان يحيى بن خالد يتفقّد حرم الرشيد ، فاشتكته زبيدة للرشيد ، فعاوده ، فقال له يحيى : أمتّهم أنا في حرمك ؟ فقال الرشيد : لا . فطلب منه يحيى أن لا يلتفت لكلامها ، فأجابه إلى ذلك ، وزاد يحيى في التشديد عليها مما أغاظها وزاد في عدائها للبرامكة (٢) .

غير أن مصادر أخرى تبرئ السيدة زبيدة من التحريض على البرامكة . فقد ذكر صاحب العقد الفريد أن السيدة زبيدة قدمت أبياتا شعرية تتعطف فيها الرشيد على البرامكة ، وكانت من عمل أحد شعراء البرامكة ، ويقال إنها لسليمان الأعمى أخي مسلم بن الوليد ، وكان منقطعا للبرامكة ، وقد جاء في هذه الأبيات :-

يا ملاذي وعصمتي وعمادي ... ومجيري من الخطوب الشداد
بك قام الرجاءُ في كلّ قلب ... زاد فيه البلاء كلّ مزاد
إنما أنت نعمة أعقبتها ... نعم نفعها لكل العباد
ما أظلّت سحائب البأس الاّ ... كان في كشفها عليك اعتمادي
إن تراخت يداك عنّي فُواقا ... أكلتني الأيام أكل الجراد

إلاّ أن الرشيد وقع العبارة التالية في أسفل الأبيات : " عظم ذنبك ، أمات خواطر العفو عنك ، ورمى بها إلى زبيدة ، فعلمت أن لا سبيل للعفو عنهم بعد ذلك " (٣) . ونراها في عهد الأمين تستميل الشعراء ، فيكتبون قصائد شعرية يمدحون بها الأمين طمعا في أعطياتها .

---

(١) مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٣٥٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٣٧٧ . انظر كذلك : أعلام الناس ، ص ٨٣-٨٤ .
(٣) العقد الفريد ، ج ٥ ، ص ٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونلحظ كذلك دورها في تشجيع الأمين على نقض العهد بينه وبين المأمون وسلب أخيه ولاية العهد . والمدقق في الوصية التي أوصتها لعلي بن عيسى الذى كان قائدا للأمين في حربه ضد المأمون ،يرى أنه كان لها رأى وفكر. وقد منعتها رجاحة عقلها من محاولة الأخذ بالثأر للأمين بعد أن قتل ،لأنها رأت أن النساء لا يليق بهنّ الخروج لأخذ الثأر ،وأن من الخير والحكمة عدم التسبب في المزيد من إراقة الدماء . وقد استطاعت بحكمتها وحسن تصرّفها أن تستميل المأمون ،إذ دخلت عليه بعد مقتل ولدها وحادثته ، مما استثار اعجابه وحرصه على أن تعيش في عهده معززة مكرمة .

ومن نساء الخلفاء اللواتي كان لهنّ دور في سياسة الدولة ، بوران زوج المأمون . فقد سألها زوجها ليلة عرسها عما تريد أن يحققه لها ،فطلبت منه العفو عن عمه إبراهيم بن المهدي الذى كان قد خرج عليه وأخذ البيعة لنفسه ودعا له الخطباء على المنابر . وقد نزل المأمون عند رغبتها وعفا عن عمّه . وهي التي استأذنت للسيدة زبيدة كي تحج ،فأذن لها بذلك "(١) .

ولم تكن المشاركة في الشؤون العامة مقتصرة على نساء الخلفاء ،إذ إن المصادر التاريخية تورد أسماء نساء أخريات تدخّلن في أمور السياسة وكانت لهنّ فيها كلمة ورأي نافذ . ومن هؤلاء زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله ابن العباس ،التي كان بنو العباس يعظمونها ويجلونها ،وإليها ينتسب الزينبيّون "(٢) فهي التي كلّمت المأمون في أمر ترك لباس الخضرة الذي كان قد أمر به ،فأجابها إلى ذلك ،وأمر الناس بأن يعودوا إلى لباس السواد . وهي التي حاورته في أمر تولية أبناء علي ،فأجابها بقوله :" يا عمّة ،إني رأيت عليا

---

(١) نساء الخلفاء ، المسمّى جهات الأئمة والخلفاء ، ص ٦٧ .

(٢) محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي ،الفخرى في الآداب السلطانية ، راجعه ونقّحه محمد عوض ابراهيم ،علي الجارم ، ١٩٢٣ ، مطبعة دار المعارف ، مصر ، ص ٢٠٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حين ولي الخلافة أحسن إلى بني العباس ، فولّى عبد الله البصرة ، وعبيد الله اليمن ، وقثم سمرقند ، وما رأيت أحدا من أهل بيتي حين أفضى الأمر إليهم كافأوه على فعله في ولده ، فأحببت أن أكافئة على إحسانه "(١) .

وبلغ من مكانتها أنها توسطت لدى مزنة ، زوج الخليفة الأموي مروان بن محمد ، في جثة إبراهيم الامام . وبعد أن صدتها هذه وانتهرتها ذهبت إلى مروان وحدّثته بأمر الجثّة ، فخيّرها بين دفنها أو تسليمها ، فاختارت أخذ الجثة . ولعل هذا هو السبب في محاولتها منع الخيزران من مساعدة مزنة عندما لجأت اليها مستعطفة بعد زوال ملك بني أمية ، غير أن الخيزران لم تستجب لمحاولتها تلك " (٢) . وثمة امرأة أخرى كانت لها مكانة لدى الرشيد وهي فاطمة بنت محمد بن قحطبة ، زوج يحيى البرمكي ، وأم الرشيد التي أرضعته. فقد كان الرشيد " يشاورها مظهرا لاكرامها والتبرك برأيها ، وكان آلى وهو في كفالتها الاّ يحجبها ، ولا استشفعته لأحد إلا شفّعها ، وآلت عليه أم جعفر ألاّ دخلت عليه إلاّ مأذونا لها ، ولا شفعت لأحد بغرض دنيا ، وفيها يقول سهل ابن هارون (٣) : " فكم أسير فكت ، ومُبْهم عنده فتحت ، ومستغلق منه فرّجت". وعلى الرغم من ذلك ، فإنها لقيت صدودا لدى الرشيد بعد نكبة البرامكة عندما جاءت متشفعة لزوجها يحيى البرمكي (٤) .

---

(١) الفخري في الآداب السلطانية ، ص. ٢٠ ، انظر كذلك : الذهب المسبوك ، ص ٢١٨ - ٢١٩ .

(٢) مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٣١٣ - ٣١٥ .

(٣) سهل بن هارون : كاتب بليغ ، حكيم من واضعي القصص ، يلقب " بزرجمهر الاسلام " . فارسي الأصل ، اشتهر في البصرة ، واتصل بخدمة هارون الرشيد ، وارتفعت مكانته عنده ، حتى أحله محل يحيى البرمكي صاحب دواوينه ، ثم خدم المأمون ، فولاّه رياسة خزانة الحكمة ببغداد وكان شعوبيا . (انظر : البيان والتبيين ، ١ : ص ٣٠-٥٠ ، فوات الوفيات ، ج ١ ، ص ٣٦٨ ، العقد الفريد ، ج ٦ ، ص ٢٠٠) .

(٤) العقد الفريد ، ج ٥ ، ص ٦٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويورد ابن الجوزى رواية تدل على رغبة المرأة العباسية في الاسهام في الجهاز فيقول : " إن الروم سبت نساء مسلمات ، فبلغ الخبر أمير المؤمنين الرشيد وهو بالرقة ، فأمر بالاستعداد للجهاد ، فإذا بصرّة قد ألقيت ومعها كتاب جاء فيه : " إني امرأة من أهل البيوتات من العرب ، بلغني ما فعل الروم بالمسلمات ، وسمعت تحريضك الناس على الغزو وترغيبك في ذلك ، فعمدت إلى أكرم شيء من بدني وهما ذؤابتاي ، فقطعتهما وضررتهما في هذه الخرقة المختومة وأنا أنشدك بالله العظيم لما جعلتهما قيد فرس غاز في سبيل الله فلعلّ الله العظيم أن ينظر إليّ على تلك الحال نظرة ، فيرحمني بها ". ويعلّق ابن الجوزى على ذلك فيقول : " وإن كان قد حسن قصدها وغلطت في فعلها لأنها جهلت إن ما فعلت منهي عنه ، فلينظر إلى قصدها " (١) .

---

(١) صفوة الصفوة ، ج ٤ ، ص ١٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب - أثر الجواري في السياسة :-

من القيان اللواتي عبثن بقلوب رجال الدولة العباسية ، من كان لها اشتغال بالسياسة ، وقد نبّه الجاحظ إلى ذلك بقوله : " إنه لم يزل للملوك إماء يختلفن في الحوائج ، ويدخلن في الدواوين ، ونساء يجلسن للناس : مثل خالصة جارية الخيزران ، وعتبة جارية ريطة ابنة أبي العباس ، وسكّر وتركيّة جاريتي أم جعفر ، ودقاق جارية العبّاسة ، وظلوم وقسطنطينية جاريتي أم حبيب وامرأة هارون بن جعبوية ، وحمدونة أمة نصر بن السّندي بن شاهك . ثم كنّ يبرزن للناس في أحسن ما كنّ ، فما أنكر ذلك منكر ولا عابه عائب " (١) .

وقد كان للجواري أثر على بعض الخلفاء ، فهذه ذات الخال التي عرفت بمكانتها لدى الرشيد تغنيه ذات يوم ، فيحلف أن لا تسأله شيئا في ذاك اليوم إلاّ قضاه لها ، فتطلب ولاية الحرب والخراج بفارس مدة سبع سنين لمولاها حمّويه ، فيكتب الرشيد بذلك كتابا ، ويوصي من يأتي بعده بتنفيذ ما ورد فيه إن لم ينفذ في حياته (٢) . وقد استطاعت الجارية فضل ، التي كانت تتشيّع وتتعصب للمتشيعين أن تقضي حوائجهم لدى الخلفاء ، معتمدة على مكانتها لديهم (٣) .

ومن الجواري من تحمّلن العذاب محافظة على أسيادهن ممن ثاروا على الدولة ، كما تدل على ذلك رواية علي بن بريهة الهاشمي عن تعذيب أبي جعفر المنصور لجارية صفراء وكان يسألها عن مكان محمد بن عبد الله الذى ثار عليه وهي ترفض باصرار أن تبوح له به ، فكان يزيد في عذابها ، وتزيد هي برفضها ، فيكف عن عذابها ويستدرجها رويدا رويدا من أجل أن تعترف له من غير أن تقصد (٤) .

---

(١) القيان ، ص ١٥٦ - ١٥٧ .
(٢) الأصفهاني ، الأغاني ، ١٣٥٦هـ/١٩٧٦م ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، ج ١٦ ، ص ٣٤٣ .
(٣) ابن المعتز ، طبقات الشعراء ، ص ٤٢٦ - ٤٢٧ .
(٤) المحاسن والمساوئ ، ص ١٤٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تشفعت بعض الجواري لدى الخلفاء لرجال كانوا في محنة ، فقبلت شفاعتهن . فهذه عَريب ترسل رسالة لابراهيم بن المدبر في سجنة تخبره فيها أنها قد توسّطت له لدى الخليفة فيه ، فقبل وساطتها .

ولعل تغير نظرة العباسيين إلى أبناء الخلفاء من الجواري كان له أثر كبير على بعض الأحداث السياسية . فبعد أن كان الأمويون لا يسمحون لأبناء الخلفاء من الجواري بتولي الخلافة ، نجد أن خلفاء بني العباس كان معظمهم أبناء جوار . فالخيزران أم الهادي والرشيد كانت فارسيّة ، وكذلك كانت أم المأمون وكانت أم المعتصم تركيّة ، وغير هؤلاء معظم أمهات خلفاء بني العباس . وغير خاف ما يمكن أن يكون لكل ذلك من أثر على أعمال الخلفاء واتجاهاتهم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــل الثالـــث

المـــرأة و الأدب و الفـــــن

- حيـاة المرأة العاطفيـــــة
- أدب الجـــواري
- أدب الحرائـــر
- المرأة والفـــــن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولا : حياة المرأة العاطفية :-

شغلت الجواري رجال العصر على اختلاف مستوياتهم ، فقد استطعن أن يأسرن القلوب بما يملكنه من جمال ورقة وذكاء ، وتتحدث المصادر عن العلاقات العاطفية التي كانت تربط بين هؤلاء القينات ورجال المجتمع وتسرد في ذلك أخبارا لا يمكن أن تبرأ من المغالاة ، ومع ذلك فإننا لا نستطيع إنكار أهميتها في القاء الضوء على حياة المرأة العاطفية. وقد تحدث الجاحظ باسهاب عن القيان وعشقهن وطبائعهن والأساليب التي يستخدمنها حتى يملكن قلوب الرجال . ومن ذلك قوله : تبدأ القينة بالتبسّم ، وترمي باللحظ ، وتظهر الشوق عند اللقاء ، والألم عند الفراق ، واللهفة للعودة مرة أخرى ، فإذا شعرت بأن سهام سحرها قد أصابت متبالغ بما بدأت ، وتوهم الرجل أن بها من الحب واللوعة أكثر مما به ، وتبثّه ألمها وشوقها على صفحات رسائل معطّرة، مرصّعة بأشعار الهوى والشوق ، حاثّة إيّاه على الاجابة السريعة حتى توقعه في حبالها (١).

وهي بتدبيرها هذا تجعل الرجل يغفل عن وضع القينة الاجتماعي ، إذ يحكّم في علاقته معها قلبه وعاطفته دون غيرهما . وقد عبر الجاحظ عن ذلك خير تعبير حين قال :" والحسب والنسب الذي بلغ به القيان الأثمان الرغيبة إنما هو الهوى ، ولو اشترى على مثل شري الرقيق لما تجاوز الواحدة منهنّ ثمن الرأس الساذج ، فأكثر من بالغ في ثمن الجارية ، فبالمشتاق " (٢).

ويجد الجاحظ العذر لمن بالغ في عشق الجارية لأنها تجمع ما لا يجتمع في شيء غيرها ، إذ لديها الجمال والصوت والسحر وأمور أخرى تجعل عشقها يسكن القلوب . هذا إضافة إلى أساليبهنّ ، في الاغراء كما وصفها الجاحظ

---

(١) القيان ، ص ١٧١ - ١٧٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في قوله :" فلو لم يكن لابليس شرك يقتل به ،ولا علم يدعو إليه ، ولا فتنة يستهوى بها إلاّ القيان ،لكفاه ، وليس هذا بذم لهنّ ،ولكنه من فرط المدح" (١). ويضيف قائلا :" وليس يحسن هاروت وماروت وعصا موسى وسحرة فرعون إلاّ دون ما يحسنه القيان " (٢) . ويحذر الجاحظ من آفة عشق القينة لأنها مجبولة على الخيانة والغدر ، فهي لا تعرف الوفاء لأحد ،ويبلغ من شدة دهائها ومكرها أن يجتمع لديها عدد من معشوقيها فلا يشك أحدهم بأنها تهوى سواه ،فتعمل على ارضاء الجميع موهمة كل واحد منهم بأنها تعشقه وحده وتوهمه تبرمها بالآخرين حتى إذا ما انصرفوا كتبت لهم رسائل متشابهة تجدّد فيها عشقها لكل واحد منهم (٣) . وليس أدل على ذلك من قول عَرِيب لإبراهيم اليزيدي ذات يوم " والله لقد نظرت نظرة مريبة في مجلس ،فادّعاها أكثر من ثلاثين رئيسا ،والله ما علم أحد منهم لمن كانت إلى هذا الوقت" (٤) . وتتحدث المصادر باسهاب عن خيانة الجواري وعدم الوفاء لمن عشقنهم ،ومن هؤلاء بنان الجارية التي عشقها الحسن بن وهب ،والذى بلغ من شدة تعلّقه بها أنه كان يرتدي السواد إذا هجرته ،ويسعى بكل الوسائل لاسترضائها . وقد توسط أحمد بن المدبر ذات يوم بين الحسن وبنان ،فعشقته ونسيت الحسن بن وهب(٥) . وهذه عَرِيب تشغل عددا كبيرا من رجال عصرها بذكائها وجمالها وثقافتها ،فنراها تترك بيت مولاها المراكبي لتهرب مع صديقه حاتم بن عديّ مستعملةً أبرع الحيل، ثم تعشق محمد بن حامد من قواد خراسان وصالح المنذري ،وأبا عيسى الرشيد، ومن الخلفاء المأمون والأمين والمعتصم والواثق ،وكل هؤلاء الرجال كان لهم أثر معروف في حياة عَرِيب . وإذا ذكرت خيانة الجواري ،فلا بدّ من ذكر دقاق

---

(١) القيان ، ص ١٧٥ .
(٢) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .
(٣) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .
(٤) الاصفهاني ،الأغاني ، ١٩٦٠ ،تحقيق عبد الستار أحمد فراج ،ج ٢٠ ، ص ٢١٧ - ٢١٨ .
(٥) قطب السرور في أوصاف الخمور ، ص ٥٦ - ٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي يقول فيها هبة الله بن ابراهيم المهدي : انها كانت تواصل جماعة يميلون إليها وترى كل واحد منهم أنها تهـــــواه " (١) .

وأترفّع عن ذكر تفصيلات أخرى في علاقات هؤلاء الجواري مع الرجـــال، وذلك من أجل الاحتشام والتعفف . لكن هذا لا يعني أن كل الجواري كـــنّ على هذه الشاكلة ،فقد تحدثت المصادر كما سبق أن ذكرنا عن وفاء بعـــض الجواري واخلاصهنّ لمن أحببن في حياة المحبين وبعد وفاتهم . فها هـــي فريدة حظيّة الواثق كانت شديدة الحزن بعد وفاته ،وبقيت وفيّة لذكراه ،ولـــم تنسى اعزازه لها وغيرته الشديدة عليها . فقد روى حمدون بن اسماعيل عن فريـــدة أنها رفضت الغناء بعد موت الواثق عندما طلب المتوكل منها ذلك ،وحين أرغمت عليه ، غنّت غناء يشبه الندبة عبّرت فيه بجرأة وصدق عما في قلبها من لوعة ومـــرارة على فقد سيدها (٢) ، وبالمثل ، تهجر محبوبة جارية المتوكل مباهج الدنيـــا بعد وفاة سيدها ،ولا تعرف سوى الحزن والبكاء . يقول علي بن الجهم : " إن وصيفا دعا جواري المتوكل بعد مقتله ،فجئن متبرّجات إلاّ محبوبة جاءت متسلبة (٣)، ورفضت الغناء وفاء لسيدها . وبعد أن أرغمت ،غنّت غناء يحزن القلوب ،وذكـرت فيه حزنها على سيدها ،فقام وصيف يريد قتلها ،فاستوهبها بغا منه ، فوهبهـــا له ثم أعتقها" (٤) . ولم تكن محبوبة هي الجارية الوحيدة التي وفت للمتوكل ،بـــل نجد علي بن الجهم يشهد لأخرى بالوفاء دون أن يذكر اسمها ،فيقول عنهـــا : " إنها رثته لما قتل ،وحزنت عليه كثيرا وبقيت ترثيه ،وتنوح عليه حتى ماتـــت" (٥).

وهذه دنانير جارية البرمكي تعرض نفسها للخطر وترفض أن تغـــنّي للرشيد وتقول : " إني آليت أن لا أغنّي بعد سيدي أبدا " . ولكنها تجـــبر

(١) الأصفهاني ،الأغاني ،١٩٥٨م/١٣٧٨هـ ،دار الثقافة ،بيروت ج١٢ ص٢٨٧ .
(٢) الديارات ،ص ١١-١٢ .
(٣) متسلبة : أي لابسة ثوب الحداد . انظر : المستظرف من أخبار الجواري ،ص٦٦ .
(٤) جلال الدين السيوطي ،المستظرف من أخبار الجواري ،تحقيق د . صلاح الدين المنجد ،الطبعة الأولى ، ١٩٦٣ ،دار الكتاب الجديد ،بيروت ،ص٦٦-٦٧ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على الغناء ،فيرقّ لها الرشيد . ويقال إنها :"أقامت على الوفاء لمولاها إلى أن ماتت" (١) . وقد رفضت كل حب بعده ،كما فعلت مع عقيد مولى موسى بن صالح بن الرشيد - وكان شاعرا مغنيا - وقد أحب دنانير حبّا عنيفا ،لكنها صدّته وبقيت وفيّة لسيدها . ووفاء بعض الجواري لأسيادهنّ بعد موتهم ،يقابله اخلاصهن لهم في حياتهم . فقد طلبت جارية ليث بن زياد منه أن يبيعها على الرغم من حبّها الشديد له ،ليفرّج بثمنها عن نفسه ،وقد استجاب لالحاحها ،ولكنها لم تصبر على فراقه ،فطلبت من سيدها الجديد أن يعيدها إلى ليث بعد أن أبانت له عن حقيقة عواطفها ،فيحترم وفاءها ويعيدها إليه . ويقال إن عبيد الله بن طاهر اشتراها ،ولم تزل ألطافها وجوائزها تأتي مولاها الأول إلى أن ماتت (٢) . فليس بغريب إذن أن نرى الرجل يسعى لاسترضاء جاريته بشتّى الوسائل ،وقد وعت الجارية من جانبها مكانتها في قلب سيدها ،فكانت تتمادى أحيانا في هجره لأنها على ثقة بأنه سيفتقدها ويأتيها مسترضيا ،وليس بغريب كذلك والحالة هذه أن يكون بين الجارية وبين سيدها عتاب وشكوى وهجر .

ومن أبرز صفات بعض الجواري في هذا العصر الاعتداد بالنفس ،فهذه محبوبة جارية المتوكل يحرقها الحنين إليه بعد هجر قد طال بينهما ولا تبدأ بالصلح ،وتكتفي بالتعبير عن ألمها بأبيات شعرية تغنيها ،فتقول :-

أدور في القصر لا أرى أحدا ... أشكو اليه ولا يكلمني
فهل شفيع لنا إلى ملك ... قد زارني في الكرى وصالحني
حتى إذا الصباح لاح لنا ... عاد إلى هجره وصارحني

وقد كان بينهما صلح بعد ذلك" (٣) .

---

(١) المستظرف من أخبار الجواري ، ص ٢٩ - ٣٠ .
(٢) ابن قيّم الجوزية ، روضة المحبين ونزهة المشتاقين ،فسّر غريبه وراجعه صابر يوسف ،الطبعة الأولى ،١٩٨٢ ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ص ٣٠٥ - ٣٠٦ .
(٣) الاصفهاني ،الأغاني ،١٩٥٦ ،دار الثقافة ،بيروت ،ج ٧ ،ص ٢٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الجواري من كانت تتمادى في الهجر ،ولا تلين بسهولة ،حتى ولو حاول مولاها استرضاءها . غير أنها كانت تستجيب للمصالحة إذا شعرت بأن الهجر سيفقدها سيدها . فقد روي عن الجارية متيّم أنها تمادت في هجر سيدها علي بن هشام ،على الرغم من استرضائه لها ،فكتب إليها يقول :" الاملال يدعو الملال ،وربّ هجر دعا إلى صبر ، وإنما سمي القلب قلبا لتقلّبه ،وقد صدق العباس بن الأحنف حيث يقول :-

ما أراني الا سأهجر من ليس يراني أقوى على الهجران
ملني واثقا بحسن وفائي ما أضرّ الوفاءَ بالانسان

فخرجت إليه من وقتها ورضيت" (١) .

ومن الطريف أن بعض الجواري كنّ يلجأن للهجر كي يحتفظن بمكانتهنّ في قلوب محبّيهنّ . يروى محمد بن عمارة أن المهدي كان يهوى إحدى جواريه ،ولكنها كانت تجافيه ، وتبتعد عنه كثيرا ،فلما سئلت عن السبب قالت : - أخاف أن يملني ويدعني فأموت" (٢) . ويبدو أن هذه الجارية كانت على حق فيما ذهبت إليه ،فقد نصح الحسن بن وهب بأن يشترى الجارية بنان التي كان يعشقها عشقا شديدا وينفق عليها الأموال الطائلة ،إلاّ أنه كان يرى أن الملكة والاحاطة تورث الملالة" (٣) .

وقد تنسحب إحداهن من حياة الرجل الذى أحبّته ،إذا شعرت بأنه أهانها وتتحمل في سبيل ذلك مرارة الهجر والفراق ،كما حدث مع نيران الجارية التي هجرت محمد بن موسى الهادي بعد أن أفرط في حبها ،وعندما أرسل إليها يسأل عن السبب فيما فعلته ،أرسلت له رقعة توضح فيها أن معاملته لها

---

(١) الاصفهاني ،الأغاني ، ١٣٥٦هـ/١٩٧٦م ،نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ،ج ٧ ، ص ٢٩٩ .
(٢) تاريخ الخلفاء ،ص ٢٧٦ ،انظر كذلك :أخبار الأذكياء ،ص ٢٣٠ .
(٣) قطب السرور في أوصاف الخمور ، ص ٥٥ - ٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هي السبب في ذلك (١) ،وقد يتدخل أحدهم لاصلاح ذات البين إن طال الهجر بين الأحبّة ،كما فعل يحيى البرمكي عند سعي في الصلح بين الرشيد وجاريته ماردة (٢) .

وكثيرا ما كان يجرى عتاب بين الجواري ومحبّيهنّ ،تظهر فيه رقّتهن ورهف احساسهنّ ،وبعد نظرهنّ ، تقول بذل الكبيرة ،إنها طلبت من عبد الله بن العباس أن يعرض عليها عساليج الجارية التي أحبّها لتبدي رأيها فيها ،ففعل . فعاتبته عساليج قائلة :" يا عبد الله ،أتشاور فيّ ؟! فوالله ما شاورت فيك ، لمّا صحبتك ! فأعجبت بها بذل ،وقالت : لو لم يكن فيك ما يستحق أن تعشقي من أجله لكفى ما قلت (٣) . ومن هذا عتاب رقيق جرى بين الواثق وإحدى جواريه ، وهو عتاب يدل على مدى اعتزاز هذه الجارية بأنوثتها وثقتها بمكانتها في قلب سيدها كما يتبين من قولها له :" إن كنت تستطيل بعزّ الخلافة ، فأنا أدل بعز الحب . أتراك لم تسمع بخليفة عشق قبلك قط ،فاستوفى من معشوقه حقه ؟ ولكني لا أرى لي نظيرا في طاعتك " (٤) .

ويؤكد الجاحظ أهمية المرأة في حياة الرجل ،ويحذر رجال عصره من هجر من عشقتهم لسبب أو لآخر فيقول :" كثيرا ما يعتري العشاق والمحبين غير المحترقين ،كالرجل تكون له جارية ، وقد حلّت من قلبه محلا ،وتمكّنت منه تمكنا ، ولا يجتث أصل ذلك الحب الغضبة تعرض ،وكثرة التأذي بالخلاف يكون منها ، فيجد الفترة عنها لبعض هذه الحالات التي تعرض ،فيظن أنه قد سلا ،أو يظن

---

(١) الأصفهاني ،الأغاني ، ١٩٦٠ ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ج ٢٠ ، ص ٢٧ - ٢٨ .

(٢) المحاسن والمساوى ، ص ٢٢٩ - ٢٣٠ ، انظر كذلك : طبقات الشعراء ، ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .

(٣) نهاية الأرب ،ج ٥ ،ص ٢٩ .

(٤) الأصفهاني ، الأغاني ، ١٣٥٦هـ/١٩٧٦م ،نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ،ج ٨ ، ص ٣٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنه في عزائه عنها ،على فقدها محتملا ،بيعها إن كانت أمة ،أو طلاقها إن كانت زوجة ،فلا ينشب ذلك الغضب أن يزول ،وذلك الأذى أن ينسى ، فتتحرك له الدفائق ،ويثير ذلك الغرس ،فيتبعها قلبه ،فإما أن يسترجع الأمة من مبتاعها بأضعاف ثمنها ،أو يسترجع الزوجة بعد أن نكحت. فإن تصبّر وأمكنه الصبر ،لم يزل معذّبا . وإن أطاع هواه واحتمل المكروه ،فهذا هو العقابيل(١)، والنكس ،فليحذر الحازم الفترة يجدها في حب حبيبه ،والغضبة التي تنسيه عواقب أمره "(٢) .

والحديث عن العشق يسوقنا إلى الحديث عن الهدايا التي كان يتبادلها رجال العصر مع الجواري ،فقد كان رجال العصر يتقرّبون بالهدايا للجواري في المناسبات والأعياد أو بعد الهجر . يقول يحيى البرمكي :" هذا عقد ابتعته لأمير المؤمنين بمائة وعشرين ألف دينار ،فوهبه لدنانير "(٣) . وقيل إنه " انتقل إلى بني العباس حين انتقل الأمر اليهم درّة بني أمية العظيمة التي زعم الناس أنهم لم يروا في عظمها ،ولم يكن في الضوء والبياض مثلها ،فلما ولي المهدي الخلافة أعطاها لحسنة جاريته ،فخرطتها فصين للنرد "(٤) . وهذا الحسن بن وهب يقدم للجارية بنان بعد أن اصطلحا " ثوبا مسكا بمائتي دينار ،مبرودا في العنبر ،والعنبر محشو في برنيّة بلّور "(٥) . ويحدثنا الجاحظ عن بعض أنواع الهدايا التي كانت تقدمها الجارية ،فيقول :" منحته من ريحانها وزوّدته عند انصرافه خصلة من شعرها ،وشظية من مضرابها ،وأهدت اليه في النيروز تكّة وسكّرا ،وفي المهرجان خاتما وتفاحة ونقشت على خاتمها اسمه "(٦) .وكانت

---

(١) العقابيل :مفردها العقبول والعقبولة ،وهي الشدائد وبقايا العلّة ، والعداوة والعشق ،انظر :لسان العرب ،مادة عقل .

(٢) النساء ، ص ٢٧٢ - ٢٧٣ .

(٣) الذهب المسبوك ، ص ١٦٢ .

(٤) الذخائر والتحف ،ص ١٧٤ .

(٥) قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور ، ص ٥٧ .
برنيّة : اناء من الخشب يشبه الجرة ، انظر :المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٦) القيان ،ص ١٧٣ . المضراب :ما يضرب به العود .انظر :المصدر نفسه والصفحة نفسها ،تكّة :جمع تكك وهو رباط السراويل .انظر :المصدر نفسه والصفحة نفسها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجارية ترفق مع هديتها أبياتا شعرية رقيقة تتضمّن مشاعرها نحو المهدى إليه ، مما يزيد في توثيق الصلة بينهما . يحدثنا عمر بن بانة عن هدية قدّمتها إحدى الجواري للمتوكل بعد أن افتصد ، وكانت عبارة عن " طبق صندل مكتوب عليه بجزع ،كما يدور عليه شماعات مسك وعنبر . فأمر بقراءة ما عليه ، فإذا هو :

فُصِدَ الامامُ لعلةٍ في جسمِهِ ... فشفى الالهُ السّقمَ بالفصدِ
وجرى إلى الطّشتِ السّقامُ بادراً ... وجرى الشفاءُ إليه بالسّعدِ
يا مالكاً ملكَ العبادِ بجودهِ ... اسلمْ سلمتَ بعيشةٍ رغدِ

فقال المتوكل : من يلومني على حب هذه الجارية ؟ والله ما أراها الا تزايدت في عيني !" (١) ، وكانت من أعز الجواري لديه .

وعرفت الجارية الغيرة على من أحبت كأى امرأة في العالم ،وقد عبّرت عنها بطرق وأساليب مختلفة ،تطرّقت في بعضها كالذي روي عن ذات الخال التي قصّت خالها متعمدة لتغيظ الرشيد لأنه أخلف موعدا لها (٢) . ويروي الطبرى سبب موت المهدي ،فيقول : إن جاريته حسنة شعرت بالغيرة عليه من إحدى جواريه ،فأرسلت إليه كمثرى مسمومة ،ولكن المهدي رأى الجارية التي تحمل الكمّثرى ،فأخذها منها وأكلها ،فكانت السبب في موته . فلما علمت حسنة ،جاءت تصرخ وتقول :" أردت أن أنفرد بك ، فقتلتك يا سيدى !" (٣) .

يرى الجاحظ أن غيرة المرأة عنوان ضعفها ،فهي تغار من أبسط الأشياء كالحلم والظن ،بل قد تغار الفتاة على أبيها من امرأته وجاريته . ويحدثنا صاحب الهفوات النادرة عن غيرة جارية أبي أيوب ابن اخت الوزير في أيام

---

(١) المحاسن والأضداد ، ص ٢٨٩ .
(٢) الأصفهاني ،الأغاني ،١٩٥٦ ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار الثقافة ، بيروت ، ج ١٦ ، ص ٢٦٧ .
(٣) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٨ ، ص ١٣ ، انظر كذلك : الفخرى في الآداب السلطانية ، ص ١٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعتصم - وكان من الحمق - وكان يخيّل إليه أنه يعشق جنّية ، فكان إذا جلس أفسح لها مكانا كي تجلس إلى جانبه ، وكان يكثر من الحديث عنها ، فأثار غيرة جاريته التي لم تكن تلمس شيئا محسوسا ، إلاّ أنها هجرته وامتنعت من لقائه وكلامه (١) . وقد هجرت قريب ابن المدبر لتحوله عنها إلى جارية تدعى نبت وكانت تكتب إليه رسائل العتاب كلما شعرت بانشغاله عنها ، ومثلما كانت الجارية تشعر بالغيرة على سيدها ، كان هو الآخر يشعر بالغيرة عليها . فقد ذكر أن الخليفة المنصور قام بكسر الطنبور على رأس الغلام الذى كان يضرب للجواري به (٢) . وهذا الخليفة الواثق يتخيّل أن أخاه المعتصم يتزوّج جاريته فريدة التي كان مشغوفا بها ، فيضربها بقدمه وهي جالسة تغني له ، ثم يسترضيها معلّلا عمله بأن غيرته عليها من أخيه حتى بعد وفاته ، هي التي دفعته لأن يفعل ما فعل (٣) .

وكانت الجارية مصدر قلق دائم للزوجات المهائر اللواتي عانين كثيرا من الغيرة على أزواجهنّ . فمنهنّ من استطاعت الاحتفاظ بزوجها لها وحدها كما فعلت أم سلمة زوج السفّاح التي تصدت لمحاولة خالد بن صفوان اغراء زوجها بالتسري ، وأجبرته على أن يناقض نفسه أمامه . ويروي خالد أنه بعد أن وصف محاسن الجواري للسفاح ، علمت أم سلمة بذلك ، فأرسلت مواليها لمعاقبته ، فعلم أن أم سلمة غاضبة عليه ، فقرر بعد ذلك أن يتراجع عن موقفه . فلما استدعي أمام أمير المؤمنين مرة أخرى ، لم يشك في أن أم سلمة تستمع إلى ما يدور بينهما . فقال الخليفة له : " أنت وصفت لي صفة ، فأعدها " ، فأسهب في ذمّ من تكون له أكثر من امرأة واحدة ، وقال : " إن عندك ريحانة قريش ، وأنت تطمح بعينك إلى النساء والجواري ؟ ! " فقيل له من وراء الستر : صدقت يا عماه هذا حديثك ،

---

(١) الهفوات النادرة ، ص ٢٧٥ .
(٢) الكامل في التاريخ ، ج ٦ ، ص ٢٤ .
(٣) المستطرف من أخبار الجواري ، ص ٤٩ - ٥٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكنه غيّر حديثك ! فقال السفاح : ما بك قاتلك الله ؟ قال خالد : فانسللت، وخرجت ،فبعثت إليّ أم سلمة بعشرة آلاف درهم وبرذونا وتخت ثياب" (١) . وهذه زوج الخليفة المنصور أم موسى الحميرية ، تتخذ كل وسيلة من أجل أن تحتفظ بزوجها بعد أن كان قد كتب لها عهدا بأن لا يتزوج ولا يتسرى وهي على قيد الحياة . فكان يكتب إلى الفقيه بعد الفقيه من أهل الحجاز يستفتيهم ،ويحمل إليه الفقيه من أهل الحجاز وأهل العراق ،فيعرض عليه الكتاب ليفتيه فيه برخصه، ولكن أم موسى كانت إذا علمت مكان الفقيه بادرته ،فأرسلت إليه بمال جزيل ،فإذا عرض عليه أبو جعفر الكتاب ،لم يفته فيه برخصة حتى ماتت بعد عشر سنين من سلطانه" (٢) . وهذه زبيدة زوج الرشيد التي أحبّها حبّا شديدا تشعر بالغيرة عليه من عِنان جارية الناطفي التي كان يهتم بها من أجل براعتها في قول الشعر ،فنراها تلجأ لأبي نواس فيهجوها ،ويبلغ الرشيد ما قال أبو نواس في عِنان فيقول : لعن الله أبا نواس ،فقد أفسد عليّ أمري في عنان بما قاله فيها، ومنعني من شرائها" (٣) .

وتدفع زبيدة الغيرة من اهتمام الرشيد بدنانير جارية البرامكة ،إلى أن تشكو أمره لأعمامه ،فيراجعوه ،فيتضح لهم أن اهتمامه بها لا يتعدى اعجابه بفنّها وتشعر زبيدة كذلك بالغيرة من إحدى الجواري التي أهديت إليه ،فتشكو أمرها لعليّة أخت الرشيد ،فتتعاطف معها وتنظم أبياتا من الشعر منها قولها :-

منفصلٌ عنّي وما قلبيَ عنه منفصلٌ
يا قاطعي اليومَ لمن نويت بعدي أن تصلْ

---

(١) إعلام الناس ،ص ٣٨ - ٣٩ .
(٢) تاريخ الأمم والملوك ، ص ٨٦ - ٨٧ .
(٣) الأصفهاني ،الأغاني ، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م ،تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ج ٢٢ ، ص ٥٣١ - ٥٣٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتلحن الأبيات وتطرحها على الجواري وتطلب منهنّ أن يغنيها بين يدي الرشيد ، فيسرع الرشيد لاسترضاء زوجته واختها (١) .

وقد " اشتريت مكنونة أم عليّة للمهدي في حياة أبيه بمائة ألف درهم فغلبت عليه حتى كانت الخيزران تقول :" ما ملك امرأة أغلظ علي منها " (٢) ، وذكر كذلك أن أم دلامة تطلب من ابنها أن يتزوج من الجارية التي أهدتها الخيزران لأبي دلامة ، فتحرم بذلك على زوجها ،وقد تعبّر الحرة عن ألمها لانشغال زوجها عنها بالجواري بمعاتبته . يقول عبد الله بن محمد بن يسير: " هوى أبي قينة من قيان أبي هاشم بالبصرة ،فكتبت أمي تعاتبه " (٣) .

وقد نجد من النساء الحرائر من تؤثر زوجها على نفسها وتحتمل ألم اهداء الجواري إليه ، فقد رأى المهدي شكلة جارية زوجه " فأعجبته ،فطلبها من زوجته فأعطته إياها ،فولدت منه إبراهيم "(٤) . وأهدت زبيدة إلى الرشيد عشر جوار ،منهن ماردة أم المعتصم ،ومراجل أم المأمون ،وماردة أم صالح "(٥) . ولكن من النساء الحرائر من امتنعت عن ذلك لشدة غيرتها على من أحبت ،فهذه حمنة بنت عبد الله الهاشمي تولم للمأمون ،وليمة وتعدّ فيها أحسن الجواري ،وتهدي منهن لمرافقه يحيى بن أكثم ،ولكنها تمنعهن عن المأمون وتقول :" يا يحيى ،لك الخمسة ولا غيرة لي عليك ،وأغار أغار على المأمون لحاجتي إليه " (٦) .

---

(١) الاصفهاني ،الأغاني ،١٩٥٧ ،دار الثقافة ،بيروت ،ج ١٠ ،ص ١٨٢ .
(٢) المصدر نفسه ،ج ١٠ ، ص ١٧١ .
(٣) المصدر نفسه ،١٩٥٩ ، دار الثقافة ،بيروت ،ج ١٤ ،ص ٢٦ .
(٤) المصدر نفسه ،١٣٥٦هـ/١٩٧٦م ،نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ،ج ١٠ ،ص ٩٦ .
(٥) المصدر نفسه ، ١٩٥٩ ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ،ج ١٨ ، ص ١٦ .
(٦) إعلام الناس ، ص ١٠٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى الرغم من هؤلاء الجواري ، فقد استأثرت الحرة في كثير من الأحيان بعواطف زوجها نحوها . فقد أوردت المصادر رسائل تبادلتها الخرائر مع أزواجهن تتضمّن أبياتا شعرية تفصح عن مشاعر رقيقة طيّبة يكنها كل منهما للآخر ، كما كانت حال زبيدة والرشيد ، والخيزران والمهدي ، وكل هذا لا ينفي أثر الجارية في المجتمع العباسي ، ويكفي برهانا على ذلك أن معظم أمهات بني العباس كنّ من الجواري .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحـــبّ الالهـــــــي :-

لم تكن كل نساء المجتمع العراقي غارقات في حب الدنيا ،ساعيـــات وراء بريقها ،إذ نجد في المقابل نساء أعرضن عن هذا كله في عصراتسم بمباهـــج الحضارة وزينتها ، وما عرفن إلاّ حبا واحدا ،هو حب الله جلّ وعلا ،لا يشغلهن سوى عبادته والتقرب إليه ،فتجدهن ينفين الدنيا من قلوبهن وعقولهـــــن ، ويلجمن ألسنتهن عن اللهج بها ، فقد قيل عن رابعة العدوية إنها رفضت أن تطلب من رجال عشيرتها شراء خادمة لها لتعينها في منزلها ،وقالت: إنـــني أخجل أن أطلب الدنيا من الخالق ،فكيف أطلبها من المخلوق ؟ !"(١) ،بـل قد تقول في سفيان الثوري (٢) ، وهو من هو في دينه وعلمه :" نعم رجل سفيان، لولا أنه يحب الدنيا "(٣) ،تعني اجتماع الناس حوله للحديث . ويروى ابـــن السماك(٤) عن إحدى النساء :" لو تطالعت قلوب المؤمنين بفكرها إلى مـــا ادخر لها في حجب الغيوب من خير الأجر ،لم يصف لهم في الدنيا عيش ،ولـــم تقر لهم في الدنيا عـــــين "(٥).

---

(١) أبو عثمان ،عمرو بن بحر الجاحظ ،البيان والتبيين ،تحقيق وشرح عبـــد السلام هارون ،ط٢ ، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م ،مكتبة الخانجي ،مصر،ج ٣ ،ص١٢٧.

(٢) سفيان الثوري : كان اماما في علم الحديث وغيره من العلوم ،وأجمع النـــاس على دينه وورعه وزهده وثقته ،وهو أحد الأئمة المجتهدين ،سمع منـــــه الأوزاعي وابن جريج ومحمد بن اسحاق ومالك ،ومولده في سنة خمس وقيل ست وقيل سبع وتسعين للهجرة ،توفي بالبصرة سنة احدى وستين ومائـــة (انظر وفيات الأعيان :ج ٢ ،ص ١٢٧ - ١٢٨) .

(٣) أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي ،قوت القلوب في معاملة المحبوب ، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م ،مطبعة البابي الحلبي ،مصر،ج ١ ،ص٣٩ .

(٤) ابن السماك :أبو العباس محمد بن صبيح المعروف بابن السماك ،كوفـي قدم بغداد زمن هارون الرشيد ،وكان يبكي الرشيد من قوة موعظتـــــه ، مكث ببغداد مدة ،ثم رجع الى الكوفة ،فمات بهـــا سنـــة ١٨٣ هـ .

(٥) أبوالفرج عبد الرحمن بن الجوزي ،ذم الهوى ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، مراجعة محمد الغزالـي ، الطبعة الأولـى ، ١٣٨١هـ / ١٩٦٢ ، ص ٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتمتنع مريم البصرية عن الجرى وراء الرزق لأنها كانت تؤمن إيمانا عميقا بقوله تعالى: " وفي السماء رزقكم وما توعدون " (١) (٢) . ويعرض سفيان الثوري على بنت أم حسان الأسدية أن تطلب مالا من زكاة أحدهم ، فترفض قائلة : " تأمرني أن أسأل الدنيا من لا يملكها ؟! " (٣) هؤلاء النسوة سعين بكل ما لديهن من قدرة لارضاء الخالق ، فكنّ على صلة دائمة معه في جميع الأحوال . تقول حيونة صديقة رابعة العدوية في مناجاتها لخالقها : " يا واحدي ! تمنعني بالليل التلاوة ثم تقطعني عنك بك في ضياء النهار ؟! الهي وددت أن النهار ليل حتى أتمتع بقربك " (٤) . وقيل إنها صامت حتى بدا الارهاق على وجهها ، فعاتبها من حولها ، فرفعت وجهها إلى السماء وقالت: " قد لامني خلقك في خدمتك ، وعزتك وجلالك ، لأخدمنّك حتى لا يبقى لي عصب ولا قصب " (٥) . وكانت رابعة تقضي ليلها في العبادة ، وتعطي جسدها قليلا من الراحة ، ثم تنهض فزعة قائلة : " يا نفس كم تنامين ؟! يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلاّ لصرخة يوم النشور " (٦) . وكثيرا ما كانت تزور حيونة رابعة العدوية فتقضيان الليل في عبادة الخالق عزّ وجل (٧) .

وهؤلاء النسوة كنّ في خوف دائم من أن ترد أعمالهنّ عليهن وأن لا يقبلها الله عزّ وجل ، وقد عبّرن عن هذا الخوف والقلق في أقوالهن . فقد قالت رابعة لمن جاء طالبا الزواج بها ، إنها في قلق دائم سببه جهلها

(١) سورة الذاريات : آية ٢٢ .
(٢) ابن الجوزى ، صفوة الصفوة ، ج ٤ ، ص ٢١ .
(٣) المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٣٠ ، انظر كذلك : ابن الجوزى ، أحكام النساء ، ص ١٤٣ ، " فيه أم حسان " .
(٤) الحسن بن محمد بن حبيب النيسابورى ، عقلاء المجانين ، قدمه وعلق عليه محمد بحر العلوم ، ط ٢ ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٨م . المكتبة الحيدرية ومطبعتها بالنجف ، ص ١٤٩ .
(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها .
(٦) البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ٣٦٤ ، انظر كذلك : أحكام النساء ص ١٤٤ - ١٤٥ .
(٧) النيسابورى ، عقلاء المجانين ، ص ١٤٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بأمور غيبية . فكيف تتزوج وهي قلقة مضطربة ؟ ! " ، وكانت رابعة كثيرة البكاء حتى قيل إن موضع سجودها كان كهيئة المستنقع من كثرة بكائها (١) .

والمدقق في أقوال العابدات وأعمالهن يرى أنهن لم يأتين بشيء يخالف الشريعة ،بل كان لكل ما قمن به أصول في التشريع الاسلامي . فالآيات القرآنية كثيرا ما تحدثت عن غرور الدنيا وزوالها كما في قوله تعالى:" يا أيها الناس ان وعد الله حقّ فلا تغرّنكم الحياة الدنيا ولا يغرّنكم بالله الغرور " (٣) ،وقوله تعالى :" وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور "(٤) والآيات التي تتحدث عن التهجّد كثيرة أيضا ،فقد قال عزّ من قائل :" والذين يبيتون لربّهم سجدا وقياما " (٥) . ويقول الرسول الكريم : " عليكم بقيام الليل ،فإنه دأب الصالحين قبلكم ،وهو قربة إلى ربكم ،ومغفرة للسيئات ،ومنهاة عن الإثم " (٦) .

ولقد أكثرت رابعة من عمل الخير دون محاولة اظهاره والتباهي به ، فكانت توصي قائلة : " اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم " (٧) ،وكانت

---

(١) الشيخ شعيب الحريفيش ،الروض الفائق في المواعظ والرقائق ، ١٩٧٣ ، بيروت ،لبنان ، ص ١٣٧ - ١٣٨ .
(٢) ابن الجوزي ،صفوة الصفوة ، ج ٤ ،ص ١٨ .
(٣) سورة فاطر ، آية ٥ .
(٤) سورة الحديد :آية ٢٠ .
(٥) سورة الفرقان : آية ٦٤ .
(٦) الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي ،مختصر منهاج القاصدين قدم له وعلق عليه شعيب الأرنؤوط عبد القادر الأرنؤوط ،ص ٦٧ .
(٧) مرآة الجنان ، ج ١ ، ص ٣٠٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تقول : " ما ظهر من أعمالي فلا أعده شيئا " (١) . وكانت توصي الناس بالرضى بالمصائب والنعم على حدّ سواء لأن ذلك من عند الله (٢) .

لقد أحبّت هؤلاء النسوة خالقهنّ ، فسمون بحبّهن فوق كل حب ، وكانت حياتهن ترجمة فعلية لمشاعرهن ، إذ كنّ دائمات العبادة ، دائمات الخوف من الله تعالى ، لا يرضين أن يشغلهنّ عنه شاغل . وقد عبّرت عن هذا أم حسان الأسدية حين قالت لسفيان الثوري : " يا سفيان ، والله ما أحبّ أن يأتي علي وقت وأنا متشاغلة فيه عن الله بغير الله ! " (٣) .

---

(١) مرآة الجنان ، ج ١ ، ص ٣٠٦ .
(٢) أبو القاسم عبد الكريم هوازن القشيري ، الرسالة القشيرية في علم التصوّف ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ص ٤٧ .
(٣) ابن الجوزي ، أحكام النساء ، ص ١٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا : أدب الجـــــواري :-

شاركت الجواري في الحركة الأدبية في العصر العباسي الأول ،فقـــــد وردت المصادر شيئا من إنتاجهن الأدبي من شعر ونثر ،وتحدثت عـــــن مجالسهن الأدبية ولقاءاتهن مع كبار الشعراء ،ولا غرابة في ذلك ،ولا سيّمـــا حين نتذكر أن المقيّن كان يحرص على أن تتمتع الجارية بثقافة تزيد من قيمتهـــا وثمنها ، وأن بعض الجواري كنّ يحرصن على الالمام بشتى الفنون والعلوم ، لأن ذلك قد يؤدي بهن إلى قصر خليفة أو منزل شريف أو أمير . فهذه عِنان تبدي رغبتها في أن يشتريها يحيى بن خالد البرمكي أسوة بأختين لها كان قـــد اشتراهما،فتكتب قصيدة تمتدح فيها البرمكي وتضمنها رغبتها تلك فتقـــول :-

نفى النومُ عن عينيّ حوكُ القصائدِ ... وآمال نفسي همّها غير نافـــذِ
إذا ما نفى عنّي الكرى طولُ ليلةٍ ... تعوّذت منها باسم يحيى بن خالدِ
مننت على أختي منك بنعمـــــة ... صفت لهما منها عِذاب الموارد
فمنّ لي بما أنعمت منك عليهمـــا ... وقاك اله الناس كيد المكايـــدِ(١)

وما كانت أماني القينة تكفي ، وما كانت القصيدة وحدها لتحقق لها أمنيتها فلا بدّ من اختبار لثقافتها قبل الشراء ، فهذا الرشيد يطلب من الأصمعـــــي اختبار جاريتين أهديتا إليه ،فيسألهما في الأخبار والأشعار ،والنحو والعروض، فتبدعان في ذلك فيسر ذلك الرشيد (٢) . ومن هذا ما يرويه حماد عن أبيـــه اسحاق الموصلي عن إبراهيم بن المهدي إذ يقول : وصفت لي جارية أدبية فائقة الجمال ،فذهبت مع الدلاّل لرؤيتها ،فوجدتها أفضل مما وصفت به ،فاشتريتها بالثمن الذى طلبه الدلاّل . ثم ذهبت إلى أم جعفر زبيدة ، فعرضت عليهـــا الجارية ،فاختبرتها وأعجبت بها ،واربحتني بها عشرة آلاف دينار ،ثم ذهبـــت

---

(١) ابن المعتز ، طبقات الشعـــراء ، ص ٤٢١ - ٤٢٢ .
(٢) المحاسن والأضداد ،ص ٢٩٣ ،انظر كذلك الخطيب البغدادى ،تاريخ بغداد ،ط الأولى ،١٣٤٩هـ/١٩٣١ ،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،والمكتبة العربية ،بغـــداد ، ج ١٠ ، ص ٤١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعد ذلك لمحمد الأمين ،فوصفت له الجارية ، فأرسل في طلبها واختبرها ، وأعجب بها كثيرا ،وأعطاني عشرة آلاف دينار حق بشارتها (١) ويتبين من هذه الرواية وغيرها من الروايات كذلك ،حرص بعض الجواري على الالمام بأنواع العلوم ، والفنون ،وكذلك اهتمام الناس في تلك الفترة بثقافة الجارية وتقديرهم لهذه الثقافة .

وقد أدرك موالي هؤلاء الجواري ما لتثقيف جواريهم من أثر ونفع . فنرى مولى غريب وقد " خرج بها إلى البصرة ،فأدّبها وخرّجها وعلمها الخط والنحووالشعر والغناء ،فبرعت في ذلك " (٢) . وقد ذكر عن محبوبة جارية المتوكل أنها كانت " شاعرة عالمة بصنوف العلم ،عوّادة "(٣) . أما الجارية فضل ،فقد كانت " حسنة الوجه والجسم والقوام ،أديبة فصيحة ،سريعة البديهة مطبوعة في قول الشعر ،ولم يك في نساء زمانها أشعر منها "(٤) . ومثل هؤلاء الجواري لم تكن مجالسهن مجرد أماكن للمجون ،بل كانت تجرى في هذه المجالس مطارحات ومساجلات بينهن وبين الشعراء ،وقد خرجت هؤلاء الجواري من هذه المجالس فائزات ،بعد أن أثبتن أن لديهن موهبة شعرية ،أو قوة بيان وسرعة بديهة . ومن هؤلاء الجواري ،عنان ،التي قال فيها ابن الجراح :" كانت تجلس للشعراء ويجتمع إليها ، فيلقي عليها كل رجل منهم الأبيات الغريبة والمعاني النادرة ،فتجيبه بديها " (٥) . ويؤكد هذا القول أبو العباس ابن عمار إذ يقول :" حدّثني أبو العيناء عن العباس بن رستم ،فقال : دخلت مع أبان بن عبد الحميد على عنان جارية الناطفي ،وهي في خيش ،فقال لها أبان :

---

(١) تحفة المجالس ، ص ١٢٢ - ١٢٣ .
(٢) الاصفهاني ،الأغاني ،١٩٦٠م/١٣٧٩هـ ،تحقيق عبد الستار أحمد فراج ،دار الثقافة ،بيروت ،ج ٢١ ،ص ٦٧ .
(٣) أخبار الخلفاء ، ص ٣٥٠ .
(٤) الاصفهاني ،الأغاني ، ١٩٦٠ ،دار الثقافة ،بيروت ،ج ١٩ ،ص ٢٥٧ .
(٥) الورقة ، ص ٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العيـــش في الصيـف خيـــش (١)

فقالت مسرعة : إذ لا قتالٌ وجيـــشٌ

فأنشدتها لجرير قولـــه :-

ظللت أداري صاحبيّ صبابـــتي وقد علقتني من هواك علـــوق

فقالت عِنان مسرعـــة :-

إذا عقل الخوفُ اللسانَ تكلّمت بأسراره عين عليه نَطـــوقُ (٢)

وإذ يتعرض لها أبو نواس كعادته ، لأنه كان من أكبر الشعراء الذين تعرّضوا لها ، وحاولوا احراجها ،فإنه كثيرا ما كان يتعرّض هو للحرج دونها . ومـــن ذلك ما رواه ابن منظور إذ يقول : دخل أبو نواس منزل الناطفي والمجلـــس حافل ،وطلب من عِنان إجابته عن بيت الشعر التالبـــي :-

رأيتُ نجومَ الليلِ لاحت كأنهـا من الذهبِ العِقيان أحمرُ خالصُ

فقالت عِنان : فشبهتها ليلاً مصابيحَ راهبٍ عليه ثيابٌ بالياتٍ قوالـــصُ

ففيّر أبو نواس الروي وقال لهـــا :-

وإني لأهوى من حبيب أحبّـــه مداعبةً مني وأهوى المداعقـــة (٣)

فقالت عِنان : أجرّعهُ ريقي وأشربُ ريقَه فما تنقضي مني ومنه المزاعقـــة (٤)

ويشهد جمع من الشعراء بشاعرية عِنان ،ومنهم الحسين بن الضحاك ،والفضـــل الرقاشي ، وعمرو الوراق ،وغيرهم . فقد قرروا أن يقضوا يومهم عند أشعرهـــم ، وبعد أن يدلي كل بدلوه ، تفوز عِنان ،ويقضون يومهم عندها حسب الاتفاق".(٥)

---

(١) الخيش ،ثياب رقاق النسج غلاظ الخيوط تتخذ من مشاقة الكتّان ومـــن اردائه ،وربما اتخذت من العصب. انظر:لسان العرب:مادة خيش.

(٢) الأصفهاني ،الأغاني ، ١٣٨٠هـ/١٩٦١ ، تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج، دار الثقافة ،بيروت ، ١٩٦١ ،ج ٢٣ ،ص ٢٩ .

(٣) المداعقة: الدّعقة: الدفعة ، انظر:لسان العرب،مادة دعق .

(٤) ابن منظور ،أبو نواس ، ص ١٢٣ .

(٥) المصدر نفســـه ، ص ١١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان الناطفي يفخر بذكاء عِنان وسرعة بديهتها وشاعريّتها المطبوعة ، فكان يدعو الشعراء لمساجلتها وهو على ثقة بتفوقها عليهم . يقول أبو حبش : دعاني الناطفي لمطارحة عِنان ، فبت ليلتي أحوك بيتين من الشعر لتجيزهما . وعندما ذهبت إليها أنشدتها :-

أحبّ الملاحَ البيضَ قلبي وربما ... أحبّ الملاحَ الصفرَ من ولد الحَبَشْ
بكيت على صفراء منهنّ مرة ... بكاء أصابَ العينَ منّي بالعَمَشْ
فقالت عِنان : بكيت عليها إن قلبي يحبّها ... وإن فؤادي كالجناحين ذو رَعَشْ
تمنّيتنا بالشعر لمّا أتيتنا ... فدونك خذه محكما يا أبا حبشْ(١)

وهذا أحد رجال العصر يلجأ لعِنان كي تجيز له بيتا من الشعر بعد أن عجز عن إجازته ، فتجيزه هي دونما صعوبة (٢) . ونراها في إحدى الجلسات تنتصر على أبي نواس في علم العروض . وقد وصلت شهرتها إلى الخليفة الرشيد ، وكان يوليها اهتماما أثار غيرة زوجه زبيدة كما يروى ، وإن كانت هذه الرواية تبيّن أن اهتمام الرشيد بها كان مبعثه موهبتها الشعرية (٣) .

ومن الجواري اللواتي برعن في الشعر ، الجارية فضل التي كانت تجلس للرجال وتجتمع بالشعراء (٤) . وقد تحضر مجلس الخليفة ، فيظهر فيه ذكاؤها وأدبها . وقد ذكر أنها كانت تجلس في مجلس المتوكل على كرسي تعارض الشعراء (٥) . ويقول محمد بن داود الجراح عنها إنها : " أشعر امرأة في هذا العصر " (٦) . وقد نالت فضل اعجاب المتوكل بشعرها وحصلت منه على جائزة . يقول أبو العنياء : " لما دخلت فضل الشاعرة على المتوكل يوم

(١) نهاية الأرب ، ج ٥ ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، ص ٧٨ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٩ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٨٠ - ٨١ .
(٤) الأصفهاني ، الأغاني ، ١٩٦٠ ، دار الثقافة ، بيروت ، ج ١٩ ، ص ٢٥٨ .
(٥) المستطرف من أخبار الجواري ، ص ٥١ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٥٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أهديت إليه . قال لها : أشاعرة أنت ؟ قالت: كذا يزعم من باعني واشتراني ، فضحك وقال : أنشدينا شيئا من شعرك ، فقالت :-

استقبل المُلكَ إمامُ الهدى ... عام ثلاث وثلاثينا (١)
خلافةٌ أفضت إلى جعفرٍ ... وهو ابن سبع بعد عشرينا
إنّا لنرجو يا إمامَ الهدى ... أن تملك الناسَ ثمانينا
لا قدّس الله امرءًا لم يقل ... عند دعائي لك آمينا

فاستحسن الأبيات وأمر لها بخمسة آلاف درهم . (٢) .

ويذكر الأصفهاني أن الخليفة المتوكل قد طلب من الشاعر علي بن الجهم أن يقول بيتا من الشعر لتجيزه الجارية فضل ، فقال علي بن الجهم البيت التالي وطلب من فضل أن تجيزه :-

لاذ بها يشتكي إليها ... فلم يجد عندها ملاذا

فأطرقت هنيهة ثم قالت :-

فلم يزل ضارعا إليها ... تهطل أجفانُه رذاذا
فعاتبوه فزاد عشقا ... فمات وجدا فكان ماذا (٣)

ويطلب المتوكل من جاريتيه فضل وبنان أن تجيزا بيتا من الشعر خطر بباله فتجيزانه على أتم وجه ، والبيت الذى طلب المتوكل إجازته هو :-

تعلّمتُ أسبابَ الرضا خوفَ عتبها ... وعلّمها حبي لها كيف تغضبُ

فقالت فضل :-

تصدُّ وأدنو بالمودة جاهدا ... وتبعدُ عني بالوصال وأقربُ

وقالت بنان :-

وعندي لها العتبىُ على كلِ حالةٍ ... فما منه لي بدٌّ ولا عنه مذهبُ (٤)

---

(١) تعني سنة ثلاث وثلاثين ومائتين من سني الهجرة .
(٢) الاصفهاني ، الأغاني ، ١٩٦٠ ، دار الثقافة ، بيروت ، ج ١٩ ، ص ٢٥٩ .
(٣) المصدر نفسه ، ج ١٩ ، ص ٢٧١ .
(٤) المصدر نفسه ، ج ١٩ ، ص ٢٦١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد يحرج كبار الشعراء مع بعض الجواري الأديبات كما حدث للشاعر علي بن الجهم مع الجارية الأديبة " قبيحة " ،التي أهداها ابن طاهر وصاحبتها محبوبة إلى الخليفة ،فقد طلب المتوكل من ابن الجهم أن يقول شعرا في قبيحة التي كتبت اسمه على خدها بالمسك ، فعجز هو ،بينما أسرعت الجارية محبوبة بقول الشعر. ويقول علي بن الجهم عن المتوكل إنه " لم يزل يعيرني به "(١) . وبعض الروايات تتحدث عن حرج عالم لغوي كبير ،هو المبرّد ، أمام إحدى الجواري بالبصرة ، وذلك حين قالت في شطر بيت :" وقالوا لها هذا حبيبك معرضا " ،فظن المبرّد أن الجارية لحنت ،ولكنها نبهته إلى قراءة ابن مسعود :" وهذا بعلي شيخا " ،فاستحسن ذلك منها (٢) . وتدرك الجارية حسناء ،وهي من جواري البرامكة الأحجية التي تضمنتها أبيات شعرية ألقاها على مسمعها سعيد بن وهب (٣)في مجلس سيدها ،مما أغضب سيدها لأن ظاهر الأبيات يوحي بالفحش،ولكن الجارية الأديبة الظريفة تدرك التورية وتوضح أن المقصود بالأبيات هو القلم ،فيسرّى عن سيدها ويذهب غضبه :(٤)

وهذا أبو الشبل (٥)الشاعر يطلب من إحدى الجواري إجازة بيت من الشعر ، فتنال اعجابه،ويحدث جارية أخرى بما حدث بينه وبين الأولى ،فتجيزه هي الأخرى ،فيثني عليها . يقول أبو الشبل :" كنت أختلف إلى جاريتين من جواري النخاسين كانتا تقولان الشعر ،فأتيت إحداهما ،فتحدثت إليها ،

---

(١) المحاسن والأضداد ،ص ٢٩٤ .
(٢) أخبار الأذكياء ، ص ٢٣٦ .
(٣) سعيد بن وهب البصري ،أبو عثمان ،شاعر اشتهر بالخلاعة والمجون ، أكثر شعره في الغزل والخمر والمجون ،ولد ونشأ بالبصرة ،وانتقل الى بغداد ،وتقدم عند البرامكة ،وكان صديقا لأبي العتاهية ، تاب في كبره وتنسك ، توفي سنة ٢٠٨هـ . (انظر:الأعلام ،ج ٣ ،ص ١٠٤ ،تاريخ بغداد ،ج ٩ ،ص ٧٣ ،النجوم الزاهرة ،ج ٢ ، ص ٨٨) .
(٤) الأصفهاني ،الأغاني ، ١٩٦٠ ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار الثقافة ، بيروت ،ج ٢٠ ،ص ٣١٠ .
(٥) أبو الشبل : عصم بن وهب بن أبي ابراهيم التميمي ، شاعر من أهل البصرة عاش عمرا طويلا وكان في أيام المأمون وبعده ،توفي نحو سنة ٢٢٠هـ. (انظر:الأعلام الزركلي ،ج ٤ ،ص ٢٣٤ ،الأغاني ،ج ١٣ ،ص٢٢ ،نهاية الأرب،ج ٤ ،ص٣٨٠) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم أنشدتها بيتا لأبي المستهل شاعر منصور بن المهدي في المعتصم :-

أقامَ الامامُ منارُ الهدى وأخرسَ ناقوسَ عمّوريةْ

ثم قلت لها : أجيزي ،فقالت :-

كساني المليكُ جلابَبيهِ ثياب علاها بسمّوريةْ (١)

ثم دعت بطعام فأكلنا ،وخرجت من عندها ،فمضيت إلى الأخرى ،فقالت: من أين يا أبا الشبل ؟ فقلت من عند فلانة ثم قالت : ما دار بينكما ؟ فأخبرتها ، فقالت هذه المسكينة كانت تجد البرد ، وبيتها أيضا هذا الذي جاءت به يحتاج إلى سمّورية ، أفلا قالت :-

فأضحى به الدينُ مستبشرا وأضحت زنادهما واريةْ

فقلت:أنت والله أشعر منها في شعرها ،وأنت في شعرك فوق أهل عصرك(٢)

والممعن في نتاج الجواري الشعرى ،يرى أنهن قد طرقن مختلف الموضوعات ،فقلن في العتاب والاعتذار ،والغزل ،والرثاء والهجاء وموضوعات أخرى . ومما ذكرته آنفا من شعرهن ،لا يعدو أن يكون نماذج ليس إلاّ ،لأن هذه الدراسة لا يمكن أن تكون مستوعبة لكل شعرهن . الا أن الدارس يستطيع القول باطمئنان إن هؤلاء الجواري الأديبات الشاعرات قد ساهمن في ازدهار الحركة الأدبية والشعرية في مجتمعهن .

هذا ولم يكن نشاط الجواري الأدبي مقصورا على إنتاجهن ،إذ كان لهن تأثير فيمن حولهنّ من روّاد المجالس الأدبية والمهتمين بالأدب لما كنّ يشعن من أجواء البهجة والأنس واللطف والرقة في المجالس ،ولما كان لسحرهنّ ودلّهنّ وجمالهنّ من أثر في القلوب ، حتى في قلوب الخلفاء ،إذا تقبلنا بعض الروايات التي وصلتنا بهذا الصدد . فقد ذكرت إحدى هذه الروايات

---

(١) سمّورية : نسبة الى سمّور وهي دابة معروفة تسوى من جلودها فراء غالية الأثمان .انظر: لسان العرب ،مادة سمر ، ج ٤ .

(٢) الأصفهاني ،الأغاني ،١٩٦٠ ،دار الثقافة ،بيروت ،ج ١٤ ،ص ١٩٠ - ١٩١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن الرشيد رثى جاريته هيلانة بشعر رقيق متدفق العاطفة وقد يكون هـذا الشعر من نظمه هو أو مما نظم له . أما الأبيات المنسوبة إليه ،فهـي :-

قاسيتُ أوجاعا وأحزانـا ... لما استخصّ الموتُ هيلانـا
فارقتُ عيشي حين فارقتهـا ... فما أبالي كيف ما كانـا
كانت هي الدنيا فلما ثـوت ... في قبرها فارقت دنيانـا (١)

وتقول رواية أخرى إن الخليفة المهديّ عبّر عن اعجابه بجاريته " جوهر " بالأبيات التاليـة :-

ألا يا جوهرَ القلـب ... لقد زدت على الجوهـر
وقد أكملـك اللـهُ ... بحسن الدل والمنظـر
إذا ما صُلْتِ يا أحسن خلقِ الله بالمزهـر
وغنيت ففاح البيت من ريحـك بالعنـبر (٢)

ونسبت إلى الخليفة المأمون الأبيات التالية التي قيل إنه نظمها فـي جواريه النصرانيات وهنّ يحتفلن بعيد الشعانـين :-

ظباء كالدنانـير ... ملاح في المقاصـيرِ
جلاهن الشعانـين ... علينا في الزنانـيرِ
وقد زرفنّ أصداغـا ... كأذناب الزرازيـرِ
وأقبلن بأوسـاط ... كأوساط الزنابـير (٣)

وقد تتراءى الجارية في وضع جماليّ يستحق أن يقال فيه شعر كما يروى عن " برهان " جارية المتوكل ، التي اجتازت مجلسه وفي يدها كوز ماء ، وكانـت ذات جمال أخّاذ ، فطلب من الشاعر النميري الذي كان في مجلسه أن يقـول فيها شيئـا (٤) .

---

(١) تاريخ الخلفـاء ، ص ٢٩٥ .
(٢) البيان والتبيـين ، ج ٣ ،ص ٣٧١ .
(٣) نهاية الأرب ،ج ٥ ، ص ٣٤٠ .
(٤) الأصفهاني ، الأغاني ،١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م ،تحقيق عبد الستار أحمـد فرّاج ، دار الثقافة ، بيروت ، ج ٢١ ، ص ٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد روي عن الخليفة المهدي أن غناء إحدى القيان قد أثر في نفسه ، فطلب من بشار أن يقول في القينة أبياتا فقال بشـــار :-

ورائحةٍ للعين منها مَخيلـــــةٌ	إذا بَرقَتْ لم تَسْقِ بَطْنَ صعيدِ
من المستهلاّتِ السّرور على الفتى	خَفَا برقُها في عصفرٍ وعقـــودِ
كأن لساناً ساحراً في كلامِهـــا	أُعين بصْوتٍ للقلوب صَيُـــودِ
تُميتُ به ألبابَنا وقلوبَنـــــا	مراراً وتحييهن بعد هُمُـــودِ (١)

وحين تمرض قبيحة جارية المتوكل ، يتألم لمرضها ،فيطلب من الجاريـــة عَريب أن تقول في مرض قبيحة شيئا وتغنّي فيه ،على أن يكون الشعر على لسانـه هو ، معبّرا عن ألمه وقلقـــــه (٢) .

ومن الطرائف التي تروى عن دور الشعر في حياة الجواري ،أن يطلب إلى شاعر أن ينظم شعرا لاسترضاء جارية مزوّرة ،حتى عن الخليفة نفســـــه ، فقد ذكر أن يحيى بن خالد البرمكي قال للعبّاس بن الأحنف : أخبرك أن ماردة هي الغالبة اليوم على أمير المؤمنين ،يعني الرشيد ،وأنه جرى بينه وبينهـــــا عتب ، فهي بدِلّة المعشوق تأبى أن تعتذر إليه ، وهو بعزّ الخلافة وشرف الملك يأبى ذلك ،وقد رمت الأمر من مثلها فأعياني ،وهو أحرى أن نستعيده الصبابـة ، فقل شعرا تسهل عليه هذا ،فقـــــال :-

---

(١) الأصفهاني ،الأغاني ، هذبه ابن واصل الحموي ،طبع بالقاهرة ،شركـة الاعلانات الشرقيـة ،ج ١ ،ص ٣٩١ .
في ديوان بشـــار :-

من المستهلاّت الهموم على الفـتى	خفا برقُها من عصفرٍ وعقـــودِ
كأن لسانا ساحرا في لسانِهـــا	أعين بصوت كالفرند حديـــد

انظر: ديوان بشار بن برد ، ج ٢ ، ص ١١٦ - ١١٧ - ١١٩ .

(٢) أبو الحسن علي بن محمد المعافري المالقي ، الحدائق الغنّاء فـــي أخبار النساء ، تحقيق وتقديم ، د .عائدة الطيبي ،١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، الدار العربية للكتاب ،ليبيا - تونـــس ، ص ١٠٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العاشقان كلاهما متغضـــــبٌ وكلاهما متوجد متعتـــــبٌ
صدّت مغاضبةً وصدّ مغاضبـــــا وكلاهما فيما يعالجُ متعـــبُ
راجع أحبّتك الذين هجرتهـــــم إن المتيّم قلّ ما يتجنّـــبُ
إن التجنّب إن تطاول أمـــــره دبّ السلوّ له فعزّ المطلـــبُ

فلما وقف الرشيد على الأبيات قال :" والله ما رأيت شعرا أشبه بما نحن فيه من هذا ،والله كأني قصدت به " فقال له يحيى : فأنت والله يا أمير المؤمنين المقصود به . فلما وصل في قراءته إلى قول العباس : راجع أحبتك الذيـــن هجرتهم ، قال : " فاني والله أراجعها على رغـــم "(١) .

ويقول العباس بن الأحنف شعرا على لسان الرشيد يصف فيه شغفه بثلاث من جواريه ،يقـــول :-

ملكَ الثلاثُ الآنسات عنانـــي وحللن من قلبي بكل مكـــانِ
مالي تطاوعني البريّةُ كلُّهـــا وأطيعهنّ وهنّ في عصيانـــي
ما ذاك الا أن سلطان الهوى وبه عززن أعزّ من سلطانـــي(٢)

وغنيّ عن البيان أن الكثيرين من الشعراء قد شغلوا بالجواري ،فتغنّـوا بهنّ ، ونظموا فيهن شعرا . وصفا وغزلا واعتذارا وشوقا ،وقد اقترنت أسمـــاء بعض الجواري بأسماء بعض الشعراء ، فعندما نذكر جنان ، يذكر أبو نواس ، وعندما تذكر عتبة ، يذكر أبو العتاهية ، وكذلك حال عبدة وبشار ،وجوهـــر ومطيع بن اياس وفوز والعباس بن الأحنف ، وبتأثير الجواري نظم الشعـــراء شعرا حافلا بألوان جديدة من التصوير والتفكير وعرضوا علينا أنماطا مـــن الانفعالات النفسية والمشاعر الرقيقة والأحاسيس المتباينـــة .

---

(١) ابراهيم بن القاسم الرقيق القيرواني ،المختار من قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور ، اختيار علي نور الدين المسعودي ، حققه وعارضـــه بأصوله عبد الحفيظ منصور ، ١٩٧٦ ،نشر مؤسسات عبد الكريم عبد اللـــه، تونـــس ، ص ٦٠ - ٦١ .
(٢) نهايـــة الأرب ، ج ٢ ،ص ١٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الشعراء من نقم على بعض جواري عصرة فهجاهنّ،كما فعل ابن الرومي، ومنهم من نصر جارية أدبية على منافسة لها . يقول أحمد بن أبي طاهـــــر : كانت فضل الشاعرة تهاجي خنساء جارية هشام المكفوف ، وكانت شاعرة ،وكان أبو الشبل عصم بن وهب يعين فضلا عليها ويهجوها مع فضل ، وكان القصيدي والضّلعي يعينان خنساء على فضل وأبي الشبل " (١) ، ومما روى من هجاء خنساء فـــي أبي الشبل قولهـــــا :-

ما ينقضي فكري وطول تعجبي ... من نعجة تكنّى أبا الشبـــل
لما اكتنيت بما اكتنيت بـــــه ... وتسمّت ذا النقصان بالفضـــل
كادت بنا الدنيا تميدُ ضحـى ... وترى السماءَ تذوبُ كالمهـــلِ(٢)

ويقول أبو الشبل على لسان فضل في خنســـاء :-

خنساء طيري بجناحـــــين ... أصبحت معشوقة نذلـــــين
من كان يهوى عاشقا واحـدا ... فأنت تهوين عشيقـــــين (٣)

ويحتدم الصراع بين الطرفين ، ويكون منهما من بذيء القول وفاحشه ما ترويـــه لنا المصادر مما لا يستحسن ايراده في هذه الدراســـــة .

ولم يكن الشعر هو الفن الأدبي الوحيد الذى برعت فيه الجارية ،إذ أثر عنها قطع نثرية امتازت برصانة الأسلوب ، وعمق المعاني ، وسلاسة العبـــارات ، وكانت معظم هذه القطع النثرية رسائل تبادلتها الجارية مع رجال العصر علـــى مختلف مستوياتهم ،وبلغت هذه الرسائل مستوى راقيا قارب مستوى كبار الكتّـاب في ذاك العصر . يقول إبراهيم بن المدبر:" كانت فضل الشاعرة من أحسن خلق الله خطّا ،وأفصحهم كلاما ،وأبلغهم في مخاطبة،وأثبتهم في محاورة . فقلـــت

(١) الأصفهاني ،الأغاني ، ١٩٦٠ ،دار الثقافة ،بيروت ،ج ١٩ ،ص ٢٦٥ .
انظر مهاجاة فضل وخنساء في المصدر السابـــق ، ص ٢٦٥ - ٢٦٦ .
(٢) ابن المعتز ،طبقات الشعراء ، ص ٤٢٥ ،انظر كذلك ،الأصفهانـــي ، الأغاني ، ١٩٦٠ ، دار الثقافة ،بيروت ،ج ١٩ ، ص ٢٦٥ .
(٣) الأصفهاني ، الأغاني ، ١٩٦٠ ، دار الثقافة ، بيروت ،ج ١٩ ،ص ٢٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يوما لسعيد بن حميد : " أظنّك يا أبا عثمان تكتب لفضل رقاعها وتخرّجها ، فقد أخذت نحوك في الكلام وسلكت سبيلك . فقال لي وهو يضحك : ما أحسنَ ظنّك! ليتها تسلم مني ولا آخذ كلامها ورسائلها . والله يا أخي لو أخذ أفاضل الكتّاب وأماثلهم عنها لما استغنوا عن ذلك " (١) . وكان سعيد بن حميد يقول: بعد وفاة فضل : " ما رسائلي المدوّنة عند الناس إلاّ من إنشائها " (٢) ، أما عَريب ، فقد شهد لها رجال العصر بالبلاغة والفصاحة . فهذا يوسف بن يعقوب يقول : " سمعت من يحكي أن بلاغتها في كتبها ذكرت لبعض الكتّاب ، فقال : وما يمنعها من ذلك وهي بنت (٣) جعفر بن يحيى " (٤) . ومن روائع منطقها ، ما جرى بينها وبين المأمون من حوار أثر هجر حدث بينهما ، فقد عتب المأمون على عَريب ، فهجرها أياما ، ثم اعتلت ، فعاودها فقال لها: كيف وجدت طعم الهجر ؟ فقالت : ياأمير المؤمنين ، لولا مرارة الهجر ، ما عرفت حلاوة الوصل ، ومن ذمّ بدء الغضب ، أحمد عاقبة الرضا . قال : فخرج المأمون إلى جلسائه فحدثهم بالقضية ، ثم قال : أترى هذا لو كان من كلام النظام ألم يكن كثيرا ؟! " (٥)

وترسل عَريب لمجموعة من الأدباء رسالة كالأحجية تعتذر فيها عن موعد كان بينهم ، فيدق فهمها عليهم ، ويفهمها إبراهيم بن المدبر ، ويرسل إليها رسالة جوابية بالأسلوب نفسه الذي كتبت به ، مما يدل على أنها وصلت إلى ذكاء جلّة كتّاب العصر . فقد حدّث الفضل بن العباس بن المأمون أنه طلب من عَريب الإقامة عنده حينما زارته مع عدة من جواريها ، ولكنها اعتذرت لأن جماعة من أهل الأدب والظرف ، فيهم إبراهيم بن المدبر ، كانوا في انتظارها في جزيرة الموءيد . وحين أصرّ الفضل على استضافتها ، دعت بدواة وقرطاس فكتبت " بسم الله الرحمن الرحيم ، وكتبت في سطر واحد ثلاثة ألفاظ متفرقة ، ولم تزد عليها ،

(١) المستظرف من أخبار الجواري ، ص ٥٣ .
(٢) طبقات الشعراء ، ص ٤٢٦ .
(٣) بعض الروايات تنسب عريب لجعفر بن يحيى البرمكي .
(٤) نهاية الأرب ، ج ٥ ، ص ٩٧ .
(٥) الأصفهاني ، الأغاني ، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م ، تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج ، دار الثقافة ، بيروت ، ج ٢١ ، ص ٩٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهي : " أردت ولولا ولعلّي " ، ووجهت به إليهم . فلما وصلتهم الرقعة حيرهم معناها ، فأخذ إبراهيم المدبر الرقعة ، فكتب تحت أردت/ليت وتحت لولا /ماذا ، وتحت لعلّي / أرجو ، ووجهوا بالرقعة إليها ، فتركت جواريها في مجلس الفضل ، وانطلقت إلى جماعة الأدباء الذين كانوا في انتظارها " (١) .

وكأن عريب أرادت أن تقول : أردت الحضور ، لولا ما شغلني ، ولعلّي أزوركم في وقت آخر ، وأراد إبراهيم بن المدبر أن يقول : ليت ما أردت تحقق ، وماذا شغلك عنّا ؟ وأرجو أن تزورينا . ولا عجب من بلاغة جارية كعَرِيب ، بلغ بها حبّ الشعر والأدب أن كانت في طريقها إلى الحج مع مولاها عبد الله ابن اسماعيل المراكبي ، تطلب الأعراب لتستنشدهم الأشعار وتثقف نفسها ببليغ الكلام ، وتكتب عنهم النوادر وسائر ما تسمعه منهم (٢) .

ومن الجواري من برعت في فن التوقيعات الموجزة . فقد ذكر أن الجارية مصابيح غاضبت شخصا في شيء بلغها عنه ، فأراد أن يسترضيها ، ولكنها أبت ، وكتب إليها رقعة يحلف بأنه برىء مما اتهم به ، ويدعو على من ظلم ، فلم تجبه بشيء سوى أنها وقعت تحت الدعاء " على الظالم آمين " ولم تزد على ذلك "(٣) وفي المقابل نجد إحدى الجواري ترسل تفاحة هدية للمأمون ومعها رسالة تطنب في الحديث عن محاسن التفاح وتدعم قولها بآراء الآخرين ، كأرسطا طاليس والخليفة هارون الرشيد وتضمنها الأبيات الشعرية التالية :-

حمرةُ التفاحِ مع خضرته ... أقربُ الأشياءِ من قوسِ قزحْ
فعلى التفاحِ فاشربْ قهوةً ... واسقنيها بنشاطٍ وفرحْ
ثم غنّ الآنَ كي تطربني ... طرفُك الفتانُ قلبي قد جرحْ

---

(١) الاصفهاني ، الأغاني ، ١٩٦٠م/١٣٧٩هـ ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار الثقافة ، بيروت ، ج ٢١ ، ص ٩٠ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ٢١ ، ص ٩٤ .
(٣) الديارات ، ص ٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم تختم رسالتها قائلة :" فإذا طال لبثها عندك ،ومقامها بين يديك، وخفت أن يرميها الدهر بسهمه ، فيذهب بهجتَها ،ويحيل نضرتَها ،فكلها هنيئا مريئا " (١) . والقارئ المستقصي لهذه الرسالة المطوّلة ، يجد فيها ما ينبئ عن ثقافة بعض الجواري المتشعبة المتنوعة ،إذ لولا هذه الثقافة لما استطاعت الجارية أن تسهب في وصف التفاحة كل هذا الاسهاب ،وذلك إضافة إلى جمال أسلوبها ورقّة تعابيرها وتسلسل أفكارها ،إذ إن هذه أمور لا تتوافر إلاّ لأديب متمرّس .

وكان المقيّن يفخر بذكاء جاريته وقدرتها على الاجابة السريعة البليغة الموجزة . فهذا محمد بن علي بن عثمان يروي عن أبيه فيقول :" كنت يوما عند ابن كناسة (٢) ، فقال لنا : أعرّفكم شيئا من فهم دنانير - يعني جاريته - ؟ قلنا نعم ،فكتب إليها :" إنك أمة ضعيفة لكعاء ،فإذا جاءك كتابي هذا فعجّلي بجوابي والسلام" ، فكتبت إليه :" ساءني تهجينك إيّاي عند أبي الحسين . وإن من أعيا العيّ ، الجواب عما لا جواب له والسلام " (٣) .

أما الموضوعات التي كتبت فيها الجواري ،فقد تنوعّت وتفرّعت ،إذ كان فيها العتاب والاعتذار ووصف الشوق والاطمئنان على صحة مريض، . . .إلى غير ذلك من الموضوعات . فقد كتبت عَريب إلى ابن المدبر بمناسبة حلول شهر رمضان تهنّئه بالصوم ،وتتمنّى له السلامة من كل مكروه ،وتدعو له وتعبرّ عن شوقها الشديد إليه (٤) ، وكل ذلك بلغة أدبية جميلة ،تجتمع فيها عناصر الفن

---

(١) العقد الفريد ، ج ٦ ، ص ٢٨٧ - ٢٨٨ .
(٢) ابن كناسة : أبو محمد عبد الله بن يحيى ومولده سنة ١٢٣هـ من أهل الكوفة . انتقل الى بغداد وأقام بها وأخذ عن جلّة الكوفيين ، وكان شاعرا توفي بالكوفة سنة ٢٠٧هـ . (انظر: الفهرست ، ص ١٠٥) .
أبي الحسن : كنية علي بن عثمان راوى الخبر .
(٣) الأصفهاني الأغاني ،١٣٥٦هـ/١٩٧٦م ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، ج ١٣ ، ص ٣٣٩ .
(٤) الأصفهاني ،الأغاني ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م ، ج ٢٢ ، ص ١٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأدبي التي كان متعارفا عليها في ذلك العصر .

وهذا أبو الحسن الدمشقي يحمل رسالة من إحدى الجواري ترصّعها بشعر جميل تعبّر فيه عن ودّها وشعورها نحو من وجّهت إليه رسالتها وذلك إذ تقول :-

سروري من الدنيا لقاكم وقربكم ... وحبّكم فرض وما منكم بدّ
ولي شاهدٌ دمعي إذا ما ذكرتم ... جرى فوق خدي لا يطاق له ردّ

ثم تقول :" أما بعد فهذا كتاب من لياليها في نحيب ، ونهارها في تعذيب ، لا تركن ولا تصغي إلى سائل ، ولو شرحتُ بعضَ ما عندها للفسيح لضاق ، وما وسعته الأوراق ، ولكن أسأل الله الكريم الخلاق أن يمنّ علينا بالتلاق . فألف ألف لا أوحش الله منكم ، والسلام مني عليكم عدد شوقي إليكم ، ما حنّ الغريب إلى الأوطان " (١) .

وهذه عَريب تعاتب ابن المدبر في شيء بلغها عنه ، فتقول في نهاية رسالتها : " ولا تخطرف فتحوجنا إلى كشفك والبحث عنك وعن حالك ، وقل الحق ، فمن صدق نجا ، وما أحوجك إلى تأديب ، .... ، والحق أقول أنه يعتريك كزاز شديد يجوز حدّ البرد ، ولئن عدت سمعت أكثر من هذا والسلام "(٢) . وتكتب إليه رسالة وقد بلغها صومه في عاشوراء ، وتكتب له أخرى تدعوه فيها لزيارتها " (٣) .

---

(١) إعلام الناس ، ص ٧٤ .
(٢) الأصفهاني ، الأغاني ، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م ، تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج ، دار الثقافة ، بيروت ، ج ٢٢ ، ص ١٧٢ - ١٧٣ .
(٣) المصدر نفسه ، ج ٢٢ ، ص ١٧٠ - ١٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد كان لبعض الجواري آراء نقدية في الأدب والقول البليغ، فهذا ابن السماك يسأل جاريته رأيها في طريقته بالتعبير، فتجيبه بأن التكرار يفسد جمال القول، وذلك إذ تقول في وعظه: "هو حسن، إلاّ أنك تكرّره". قال: إنما أكرّره ليفهمه من لم يكن فهمه. قالت: إلى أن يفهمه البطيء، يثقل على سمع الذكي" (١).

هذا قليل من كثير من نثر الجواري المتأدبات، وهو نثر احتوته كتب ألّفت عن الجواري، أو تعرّضت لهنّ.

---

(١) زهر الآداب، ج ١، ص ١٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثا : أدب الحرائـــــر :-

شاركت الحرائر في الحركة الأدبية في عصرهن ، وإن كان دورهنّ فيها أقلّ من دور الجواري ، لأن ظروف العصر وطبيعة المجتمع حرّرت المجتمع إلى حدّ كبير من الاحترازات والتحفظات الخاصة بالحرائر ، فلم يشيع إنتاجهنّ بين عامة الناس كما كانت الحال مع الجواري اللواتي اقتضت الظروف ظهورهنّ في المجتمعات العامة حيث يثبتن أهليّتهنّ الثقافية والأدبية ، فيكون ذلك بمثابة ترويج لهنّ ، ومصدر كسب لأسيادهنّ . أما الحرّة ، فلم تكن تتثقف إلاّ بدافع ميل ذاتي ورغبة في العلم وليس بدافع طلب الشهرة واسترعاء الأنظار . وقد روت المصادر لنا أشعارا لهؤلاء الحرائر نظمنها في مناسبات معينة . فقد حكي أن الخيزران (١) زوج المهدي كانت أديبة شاعرة ، فعزم المهدي على شرب دواء ، فانفذت إليه جام بلّور فيه شراب اختارته له مع وصيفة بكر بارعة الجمال وكتبت تقول :-

إذا خرجَ الإمامُ من الدواءِ ... وأعقبَ بالسلامةِ والشفاءِ
وأصلحَ حالُه من بعد شربٍ ... بهذا الجامِ من هذا الطلاءِ
فَيُنْعِمُ للتي قد أنفذتْه ... إليه بزورةٍ بعد العشاءِ

فسّر بذلك ووقعت الجارية منه أعظم موقع ، وزار الخيزران وأقام عندها يومين . (٢) .

وهذا الخليفة نفسه يكتب إلى الخيزران وهو في مكة شعرا يعبّر عن شوقه إليها فأجابته :-

---

(١) الخيزران : كانت جارية وأصبحت حرّة بعد زواجها من الخليفة المهدي ، وقد أنجبت له الهادي والرشيد .

(٢) المستظرف في كل فن مستطرف ، شهاب الدين أحمد الأبشيهي ، حقّقه وقابله على عدة نسخ عبد الله أنيس الطبّاع ، ١٩٨١ ، دار القلم ، لبنان ، بيروت ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قد أتانا الذي وصفتَ من الشـــو ق فكدنا وما فعلنا نطـــيرُ
ليت أن الرياح يـــــوءدّيـ ـن إليكم ما قد يجنّ الضميرُ
لم أزل صبّةً فإن كنت بعـــــدي في سرور فدام ذاك السـرورُ(١)

وقد روت المصادر لزبيدة زوج الرشيد أشعارا رقيقة تدل على فصاحة وبيان. ومن ذلك أنها كتبت إلى المأمون بعد مقتل ولدها الأمين رسالة تلمس من خلالها حرارة الألم وحسن التأتي وبلاغة القول، وذلك إذ تقول في أبيات احتوتها الرسالـــة :-

لخيرِ إمامٍ قامَ من خيرِ عنصـــرِ وأفضلِ راقٍ فوقَ أعوادِ منـــبرِ
ووارث علمِ الأولين وفخرهِـــم وللملكِ المأمونِ من أم جعفـــرِ
كتبتُ وعيني تستهلّ دموعُهـــا إليك ابن عمي من جفوني ومحجري
أُصبتَ بأدنى الناسِ منك قرابـــةً ومن زال عن كبدي فقل تصبّري
أتى طاهرٌ، لا طهرَ اللهُ طاهرا وما طاهرٌ في فعله بمطهـــرِ
فأبرزني مكشوفةَ الوجهِ حاســـرا وأنهبَ أموالي وأخـــرب أدوُري
يعزُّ على هارونَ ما قد لقيتـــه وما نالني من ناقصِ الخلقِ أعورِ
فإن كان ما أسدى لأمرٍ أمرتـــه صبرت لأمرٍ من قديرٍ مقـــدّرِ(٢)

وهذه بوران زوجة المأمون ترثيه بأبيات حزينة بعد موتـــــه فتقـــول :-

أسعداني على البكا مقلتيّـــا صرتُ بعد الإمام للهمّ فيّـــا
كنتُ أسطو على الزمان فلمـــا ماتَ، صار الزمانُ يسطو عليّـــا(٣)

---

(١) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي، بهجة المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، المجلّد الثاني من القسم الأول، تحقيق محمد مرسي الخولي، ص ٨١٩.
(٢) مروج الذهـــب، ج ٣، ص ٤١٥.
(٣) نساء الخلفاء من الحرائر والاماء، ص ٧٠ - ٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن سيدات البلاط العباسي الأدبيات ، عائشة بنت الخليفة المعتصم محمد بن هارون الرشيد ، فقد كانت أديبة وشاعرة (١) ، وخديجة بنت المأمون . تقول مُلح العطارة :" غنّت شارية يوما بين يدي المتوكل وأنا واقفة مع الجواري ،فطرب المتوكل ،وقال لشارية : لمن هذا الغناء ،فقالت أخذته من دار المأمون ولا أدري لمن هو ،فقلت له : أنا أعلم لمن هو ،فقال : لمن هو يا مُلح ؟ فقلت أقوله لك سرا . قال : أنا في دار النساء وليس يحضرني إلاّ حرمي ،فقوليه ،فقلت : الشعر والغناء جميعا لخديجة بنت المأمون "(٢)

ونقرأ عن اهتمام الحرائر بالمجالس الأدبية التي كان يحضرها الشعراء . يقول يوسف ابن الداية :" كانت الشعراء تجتمع في كل يوم بباب أسماء بنت المهدي ، وكان لهم مجلس يجتمع عليهم فيه أهل الأدب ،فكان يحضر ذلك المجلس أبو نواس "(٣) . ويقول يوسف بن عمرو بن بانة :" كنّا في دار أمّ جعفر ، جماعة من الشعراء والمغنّين ،فخرجت جارية لها وكمّها مملوء دراهم ، فقالت : أيّكم القائل : -

من ذا يعيّرك عينَه تبكي بها أرأيتَ عينا للبكاءِ تعارُ؟

فأومئ إلى العباس بن الأحنف ، فنثرت الدراهم في حجره ،فنفضها فلقطها الفراشون . ثم دخلت ومعها ثلاثة نفر من الفراشين على عنق كل فرّاش بَدرةٌ فيها دراهم ،فمضوا بها إلى منزل العباس بن الأحنف "(٤) . وهذه علّية بنت المهدي كانت " من أحسن الناس وأظرفهم ،تقول الشعر الجيد وتصوغ فيه الألحان "(٥) . ويروى أنها كانت تحب أن تراسل بالأشعار من تختصّه

---

(١) نساء الخلفاء من الحرائر والاماء ، ص ٥٣ .
(٢) الأصفهاني ،الأغاني ،١٩٥٨ ، تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج ،دار الثقافة ،بيروت ،ج ١٥ ، ص ٢٢٩ .
(٣) ابن منظور ،أبو نواس ، ص ١٤٠ .
(٤) الأصفهاني ،الأغاني ،١٩٥٧ ،دار الثقافة ،بيروت ،ج ٨ ،ص ٣٧٢ .
(٥) المصدر نفسه ، ج ١٠ ، ص ١٧٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتكنّي عنه في شعرها باسم مستعار . وينقل عن ميمون بن هارون رواية عن محمد بن علي بن عثمان أن علّية كانت تقول الشعر في شخص وتكنّى عنه بزينب ومن شعرها فيه :-

وجدَ الفؤادُ بزينبا ... وجدا شديدا متعبا
أصبحتُ من وجدٍ بها ... أدعى شقيّا مُنْصبا
ولقد كنيتُ عن اسمها ... عَمْدا لكي لا تغضبا
وجعلتُ زينبَ سترةً ... وأتيتُ أمرا مُعجبا (١)

ويقال كذلك إنها راسلت غلاما آخر يدعى طلّ ، وكانت تذكره باسم مستعار في أشعارها كما يروي حماد بن اسحاق (٢) . وعلّية هذه كانت شاعرة متمكّنة رقيقة العبارة ، كتبت في موضوعات شعرية مختلفة ، فقالت في الحب ، والحنين ، والهجاء ، والاعتذار . . . . . الخ . ومن شعرها ، ما كتبت إلى الرشيد تعتذر فيه عن تأخرها في طيزناباذ ، إذ تقول :-

أيُّ ذنبٍ أذنبته أيّ ذنبِ ... أيّ ذنبٍ لولا مخافةُ ربّي
بمقامي بطيزناباذ يوما ... بعده ليلةً على غير شربِ (٣)

وكانت علّية تلجأ إلى أبي حفص الشطرنجي الشاعر في بعض الأحيان كي يقول شعرا على لسانها في مناسبات معينة . يحدّثنا جماعة من كتّاب السلطان أن الرشيد غضب من علّية بنت المهدي ، فطلبت من أبي حفص الشطرنجي أن يعتذر للرشيد ويستعطفه ، فأتاها بالأبيات ، فعملت فيها لحنا ألقته على بعض جواريها وأسمعته للرشيد ، فسأل عن القصة ، فأخبرته الجواري ، فبعث لعلّية وقبّل رأسها وسامحها (٤) .

---

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، أشعار اولاد الخلفاء ، وأخبارهم من كتاب الأوراق ، عني بنشره ج هيورث .د .ن ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، دار المسيرة ، بيروت ، ص ٦١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٧ .
(٣) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .
(٤) الأصفهاني ، الأغاني ، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م ، تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج ، دار الثقافة ، بيروت ، ج ٢٢ ، ص ٥٣ - ٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانت زبيدة أم جعفر تصل أحيانا إلى ما تريده عن طريق الشعراء ، فتراها تطلب من أبي العتاهية أن يكتب أبياتا على لسانها إلى المأمون يستعطفه فيها عليها . فلما قرأ المأمون الابيات ، أعجب بها فكافأ قائلها وزاد في تكريم زبيدة (١) . وكان الشعراء ينتهزون المناسبات ويقولون الأشعار لارضاء أم جعفر كي ينالوا من الأموال التي كانت تشجعهم بها . يقول ابن أبي أسعد : " لما حجت أم جعفر زبيدة ، لقيها النّصيب ، فترجّل عن فرسه - وقال شعرا - ، فأمرت له بعشرة آلاف درهم وفرس ، فأعطيه بلا سرج ، فتلقاها لما رحلت وقال شعرا في هذا ، فأمرت له بسرج ولجام" (٢) وهذا مروان بن أبي حفصة يرفع إلى زبيدة أبياتا شعرية يمدح بها الأمين فتأمر بأن يملأ فمه درّا " (٣) .

ولم يقتصر تشجيع الشعراء ومنحهم الأموال على زبيدة فقط بل كان للأخريات من الحرائر دور في ذلك يقول ابن أبي سعد : إن العباسة بنت المهدي منحت الحجناء بعد سماع شعرها ثلاثة آلاف درهم وكسوة وطيبا."(٤)

وهكذا ندرك أن دور الحرة في تنشيط الحركة الأدبية لم يقتصر على إنتاجها الشعري ، بل امتدّ إلى حفز الشعراء على نظم الشعر وعلى تجويد أشعارهم . يقول محمد بن أبي العتاهية . عندما تولّى الأمين الخلافة ، أنشده أبو العتاهية أبياتا شعرية ، ثم ذهب إلى أم جعفر ، فطلبت منه أن يسمعها ما قاله في الأمين ، ففعل ، فقالت : أين هذا من مدائحك في المهدي والرشيد ؟! فغضب وقال لها : لقد أنشدت أمير المؤمنين ما يستملح وأنا القائل فيه :-

---

(١) أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي ، الأمالي ، ج ٢ ، ص ١٩١ .
(٢) الأصفهاني ، الأغاني ، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م ، تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج ، دار الثقافة ، بيروت ، ج ٢٢ ، ص ٤١٩ .
(٣) الذهب المسبوك ، ص ١٤٤ .
(٤) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٦١ - ٢٦٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يا عمودَ الاسلامِ خيرَ عمـــودٍ والذي صيغ من حياءٍ وجـــودِ
والذي فيه ما سلّى ذوي الأحزانِ عـن كـل هالـــكٍ مفقـــودِ
والأمـينُ المهـــذّبُ الهاشمـي العَرْمُ محضُ الآبـاءِ محضُ الجـدود
إن يوما أراك فيه ليـــومٍ طلعت شمسه بسعد السعـــودِ

فأعجبت بالأبيات وكافأت أبا العتاهيـــة (١).

وقد سجّلت مصادرنا للمرأة الحرّة أقوالا بليغة تدل على فصاحتهـــا وقوة بيانها وشهد لها رجال عصرها بذلك. من هذا اعجاب المأمون بـــردّ أم ذى الرياستين على عزائه لها بابنها، فقد عبرت هذه المرأة بعبارة موجـزة وألفاظ رقيقة عن حزنها الشديد على ابنها ومدحها للمأمون إذ تقـول: " يا أمير المؤمنين وكيف لا أحزن على ولد أكسبني ولدا مثلك ؟! "(٢). وبعـد أن تولّى المأمون الخلافة بعد مقتل الأمين، أرسلت إليه زبيدة عند دخولـه بغداد: " أهنّئك بخلافة قد هنأت نفسي بها عنك قبل أن أراك. ولـــئن كنت قد فقدت ابنا خليفة، لقد عوضت ابنا خليفة لم ألده. وما خسر من أعتاض مثلك، ولا ثكلت أم ملأت يدها منك، وأنا أسأل الله أجرا على ما أخذ، وامتاعا بما عوّض". فعلق المأمون على كلامها فقال: " ما تلد النساء مثل هـــذه، وماذا أبقت في هذا الكلام لبلغاء الرجـــال ؟! "(٣).

وتدخل إحدى النساء على الرشيد ومعه وجوه أصحابه، فتحاور الرشيـد بكلام لا يفهمه الجلساء على الرغم مما ينبغي أن يكونوا عليه من فطنة وفهم وعمق إدراك، فتفرغ غضبها على الرشيد الذى أهلك أهلها، وكل ذلك بأسلـــوب بليغ لا يدينها. وذلك حين قالت له: " يا أمير المؤمنين، أقرّ الله عينـك، وفرّحك بما آتاك! وأتم سعدك، لقد حكمت فقسطت". وعندما سألها الرشيد

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ١٩٦٠، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار الثقافة، بيروت، ج ٢٠، ص ٢٦٣ - ٢٦٤.
(٢) مروج الذهـــب، ج ٣، ص ٤٣١.
(٣) أحكام النســـاء، ص ١٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن نفسها ،أجابت بأنها من البرامكة . فالتفت إلى الحاضرين وسألهم رأيهم بما قالت المرأة ، أجابوا : أنها دعت لك بالخير ،فقال لهم : ما أظنكم فهمتم ما رمت اليه . وأوضح لهم مرادها ،فقال : " أمّا قولها : أقرّ الله عينك فإنها تريد أسكنها عن الحركة ، وإذا سكنت العين عن الحركة عميت . أما قولها وفرّحك بما آتاك ،فإنها تريد به قول الله تعالى :" حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة "(١). وأما قولها : واتمّ الله سعدك ،فإنها تريد منه قول الشاعر : إذا تم أمرٌ بدا نقصُه ترقب زوالا إذا قيل تمّ

وأما قولها :لقد حكمت فقسطت ،فانها تعني به قول الله تعالى :" وأما القاسطون فكانوا لجهنّم حطبا(٢) " (٣)،وهذه برمكية ترثي جعفرَ البرمكي نثرا وشعرا فتحسن وتأتي بأبلغ ما يكون الرثاء ، ويشهد لها سامعها بذلك ،فقد قالت في رثائها :" أما والله لئن أصبحت للناس آية ،لقد بلغت بالكرم الغاية . ولئن زال ملكك وخانك دهرك ولم يطل به عمرك ،لقد كنت المغبوط الناعم بالا ، يحسن بك الملك ،فاستعظم الناس فقدك ،إذ لم يستخلفوا ملكا بعدك ، فنسأل الله الصبر على عظيم الفجيعة وجليل الرزيئة الذي لا يستعاض بغيرك ،والسلام عليك ،وداع غير قال ولا ناس لذكرك . ثم تنهي رثاءها بأبيات شعرية فتقول :-

العيشُ بعدَك مرٌّ غير محبوبِ ومذ صلبت ومقنا كل مصلوبِ

أرجو لك الله ذا الإحسانِ إنّ له فضلا علينا وعفوا غير محسوبِ

ويعلّق راوي الخبر أبو يزيد الرياحي على رثائها قائلا : " إنها تكلّمت ، فأبلغت " (٤) .

---

(١) سورة الأنعام ، آية ٤٤ .
(٢) سورة الجن ، آية ١٥ .
(٣) ثمرات الأوراق في المحاضرات ، ص ٣٣٨ .
(٤) الذهب المسبوك ، ص ١٥٠ - ١٥١ ، انظر كذلك : تاريخ بغداد ، ج ٧ ، ص ١٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتحاور زوج يحيى البرمكي - فاطمة بنت محمد بن قحطبة - الرشيد حوارا طويلا في محاولة للافراج عن زوجها يحيى ،فنرى أسلوبها المتين وجملها البليغة ومنطقها السليم في تقديم حججها . ونلمس في حوارها سعة ثقافة في اللغة والأدب والدين . تبدأ حوارها بمعاتبة الرشيد على الحال التي وصل إليها البرامكة في عهده ،رغم ما كان بينهم وبينه من مودة وألفة ،ثم تخص علاقة الرشيد بيحيى البرمكي ،فتسهب في وصفها . ونراها تستعين بالشعر العربي عندما يقول لها الرشيد :-

وإذا المنيّةُ أنشبت أظفارَها ألفيتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفعُ

فتقول بغير رويّة : ما أنا لحيي بتميمة يا أميرَ المؤمنين ،وقد قال الأول :-

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخرا يكونُ كصالحِ الأعمالِ

وتستعين بالقرآن الكريم ، فتقتبس من آياته وتتابع كلامها قائلة : هذا بعد قول الله عزّ وجل :" والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين "(١) . وتستمر في حوارها مع الرشيد فتؤثر بمن حولها فيبكي الرشيد ومن حوله ولكنها لا تظفر بمرادها (٢) .

ومن الحرائر من أجادت فن التوقيعات وشهد لها رجال العصر ببراعتها فيها . يقول عمرو بن مسعدة :" قرأت لأم جعفر توقيعات في حواشي الكتب وأسافلها فوجدتها أجود اختصارا وأجمع للمعاني "(٣) .

وهذه إحدى النساء تعزّي المنصور وتهنّئه بالخلافة بكلمات قليلة تغني عن الكثير منها ،وتبلغ المعنى المراد ،فتقول :" عظّم الله أجرك ،فلا مصيبة أعظم من مصيبتك ،ولا عوض أعظم من خلافتك "(٤) .

---

(١) سورة آل عمران : آية : ١٣٤ .
(٢) العقد الفريد ، ج ٥ ،ص ٦٢ - ٦٤ .
(٣) البيان والتبيين ،ج ١ ،ص ١٠٦ - ١٠٧ ،انظر كذلك : أبو العباس أحمد ابن علي القلقشندي ،صبح الأعشى في صناعة الانشا ،نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ومذيلة ،القاهرة ،ج ١ ،ص ٦٤ .
(٤) المصدر نفسه ،ج ٣ ، ص ٢٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتملّ الخيزران من رسالة مسهبة أرسلها إليها أحد كتّابها يبالغ فيها في إطراء نفسه ، فتدرك بذكائها أنه أراد العطاء ، فتكتب إليه بما قلّ ودلّ ، وتنصحه بأن يدع أعماله تتحدث عنه ، وتعده بالثواب إن عمل بما قالت ، فقد كتب عمران بن مهران إلى الخيزران بما كان منه ، وأكثر الاعتداد ، فكتبت إليه : " قد وصل كتابك تذكر وتذكر ، فلا تستكثرنّ شيئا يكون منك ، واستقدم أحسن ما أنت عليه ، يدم أحسن ما عندى لك ، واعلم أنه قلّ شيء لم يزد إلاّ نقص ، والنقصان يلحق الكثير ، كما تنمي على الزيادة القليل "(١)

ومن النساء من عرفت لهنّ أقوال نقدية تدل على دقّة الملاحظة وعمق الفهم ، والتمييز بين أنماط الكلام . فقد كتب عامل لزبيدة كتابا فوقعت على ظهره : " أصلح كتابك وإلاّ صرفناك عن عملك ، فأعاد النظر فيما كتب ، فلم يظهر له شيء ، فعرضه على أحدهم ، فكان فيه من الدعاء لها : " وأدام كرامتك " فقال له : " إنها تخيّلت أنك دعوت عليها ، فان كرامة النساء دفنهن " ، فأصلح كتابه فقبلته منه "(٢) .

وهاهي تدرك ما رمى إليه أحد الشعراء من الذين جاءوا لمدحها ، فينجو من العقاب الذى يوجبه عليه ظاهر قوله ، فقد قال هذا الشاعر في انشاده :-

أزبيدةُ ابنه جعفرٍ ... طوبى لزائركِ المثابِ
تعطين من رجليك ما ... تعطى الأكفّ من الرّغابِ

فهمّ الخدم بعقابه ، ولكنها منعتهم وقالت : أراد خيرا فأخطأ ، وهو أفضل ممن أراد شرا فأصاب ، فهو أراد محاكاة قولهم " شمالك أندى من يمين غيرك " ، فظن أنه بما قال وصل غاية البلاغة ، ثم أمرت أن يكافأ ويعرّف ما جهل (٣) .

---

(١) الوزراء والكتّاب ، ص ٢٢١ .
(٢) صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٦٤ .
(٣) زهر الآداب ، ج ٢ ، ص ٣٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد طرقت المرأة العباسية الموضوعات الأدبية نثرا وشعرا فقالت في الرثاء والغزل والاعتذار والحنين والوصايا وغيرها من الموضوعات . وثمة أنماط من النساء سلكن في إنتاجهن الأدبي طريقا خاصا بهن ،هو طريق الزهد إذ شهد هذا العصر نساءً متزهدات أثر عنهن نتاج أدبي عبّرن فيه عن مشاعرهن أصدق تعبير بأسلوب بليغ مؤثر . فقد تحدثن عن طبيعة الدنيا ، فوصفنها بأنها دار زوال غير دائمة ، واستمددن الكثير من معانيهن من آيات القرآن الكريم ،وأحاديث الرسول صلوات الله عليه وأصحابه والرجال الصالحين. وفي مقدمة هؤلاء النسوة الزاهدات ، ممن أثرت عنهنّ الأقوال البليغة رابعة العدويّة التي رويت عنها روايات كثيرة في الزهد وفي محبّة الله عزّ وجلّ. ومن ذلك ما قيل من أن رجلا قال لها : يارابعة ،اطلبي مني شيئا لأحقق مرادك . فقالت :يا هذا إنني أخجل أن أطلب الدنيا من خالق الدنيا ،أفلا أخجل أن أطلبها من مثلي ؟! "(١) . وهاهي تنهى من حولها عن حب الدنيا والإكثار من الحديث عنها . يقول أزهر بن مروان في ذلك :" دخل على رابعة رباح القيسي وصالح بن عبد الجليل ،فتذاكروا الدنيا ،فأقبلوا يذمّونها ،فقالت رابعة : إني لأرى الدنيا بترابيعها في قلوبكم . قالوا : ومن أين توهّمت علينا ؟ قالت : إنكم نظرتم إلى أقرب الأشياء إلى قلوبكم فتكلّمتم فيه " (٢) .

وها هي تبكي حين تسمع سفيان الثوري يقول :" اللّهم إني أسألك السلامة " ،فلما سألها عن سبب بكائها ،قالت :" أنت عرضتني للبكاء ، أما علمت أن السلامة من الدنيا ترك ما فيها ،فكيف وأنت متلطّخ بها ؟!"(٣). وكانت رابعة تقول في مناجاتها لربّها :" إلهي ،أتحرق بالنار قلبا يحبك ؟" فتتصوّر من يهتف بها قائلا :" ما كنّا نفعل هذا ،فلا تظنّي بنا ظنّ السوء "(٤) . ويحكى عنها : أنها كانت إذا صلّت العشاء صعدت على سطح منزل لها فتقول

(١) الهجويري ،كشف المحجوب ،دراسة وترجمة وتعليق د . اسعاد عبد الهادي ، راجع الترجمة د . أمين عبد المجيد ، ١٩٨٠ ،دار النهضة العربية للطباعة ، بيروت ،ص ٦٠٣ ،انظر كذلك :البيان والتبيين ،ط٢ ،ج ٣ ،ص ١٢٧ .
(٢) ابن الجوزي ،صفوة الصفوة ، ج ٤ ، ص ١٨ .
(٣) المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٢٣ .
(٤) الرسالة القشيرية ، ص ١٤٧ - ١٤٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مناجية ربّها :" إلهي أنارت النجوم ، ونامت العيون ، وغلقت الملوك أبوابها ، وخلا كل حبيب بحبيبه ، وهذا مقامي بين يديك . ثم تقبل على صلاتها ، فإذا كان وقت السحر وطلع الفجر ، قالت إلهي هذا الليل قد أدبر ، وهذا النهار قد أسفر ، فليت شعري أقبلت مني ليلتي فأهنأ ، أم رددتها عليّ فأعزّى ؟! فوعزتك هذا رأيي ما أحببتني وأعنتني ، وعزّتك لو طردتني عن بابك ما برحت عنه لما وقع في قلبي من محبّتك " (١) .

ولها أقوال بليغة مؤثرة تناقلتها الروايات ، منها ما نقله جعفر بن سليمان إذ يقول :" سمعت رابعة تقول لسفيان الثوري إنما أنت أيام معدودة ، فإذا ذهب يوم ذهب بعضك ، ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكل ، وأنت تعلم ، فاعمل "(٢) . ومن وصاياها المأثورة :" اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيّئاتكم "(٣) . وهذه المعاني مستمدة من القرآن الكريم والسنّة المطهرة .

ونلاحظ أن كل ما أثر عن الزهاد فيه دعوة إلى السموّ والصفاء الروحي ، إذ هو حديث عن عظمة الخالق ، ودعوة إلى الترفع عن حطام الدنيا وملذّاتها ومشاغلها ، والتفكّر في عظمة الله وفي بدائع خلقه . فلا عجب أن يكون لهؤلاء في حياتهم وبعد مماتهم أثر في نفوس الناس وأن يعتقد عامتهم أن لهم كرامات اختصّوا بها دون غيرهم ، وأن يتناقلوا الروايات في هذه الكرامات. ومن ذلك ما نقل عن عبدة خادمة رابعة ، من أنها رأتها في منامها بعد موتها بسنة ، وعليها حلّة من استبرق خضراء ، وخمار من سندس أخضر ، لم ترَ شيئاً قط أحسن منه ، ثم تقول :" فقلت يا رابعة ، ما فعلت بالجبّة التي كفّناك فيها ، والخمار الصوف ؟ قالت : إنه والله نزع عنّي وأبدلت به هذا الذي ترينه عليّ ، وطويت أكفاني وختم عليها ورفعت في عليين ليكمل لي بها ثوابها يوم القيامة ،

---

(١) الروض الفائق في المواعظ والرقائق ، ص ١٣٧ .
(٢) صفوة الصفوة ، ج ٤ ، ص ١٩ .
(٣) مرآة الجنان ، ج ١ ، ص ٣٠٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قالت : فقلت لها : ألهذا كنت تعملين أيام الدنيا ؟ فقالت : ما هذا إلا من كرامة الله عزّ وجل لأوليائه . قالت عبدة : فقلت فما فعلت عبدة بنت أبي كلاب ؟ فقالت : هيهات هيهات ، سبقتنا والله إلى الدرجات العلى ، فسألتها ولِمَ ، وقد كنت عند الناس - أي أكثر منها - ؟ قالت : " إنها لم تكن تبالي على أيّ حال أصبحت من الدنيا وأمست "(١) . وإن قد يتشكّك المتشكّك في هذه الرواية ، فإنها على أية حال تصور مدى إجلال الناس لهذه الفئة التي اتخذت الزهد طريقا لها ، ولقد كانت رابعة العدويّة رائدة في هذا الطريق.

ومجمل القول أنّ نساء العصر قد ساهمن بشكل فعّال في النهضة الأدبية في زمنهنّ ، إذ كان لهن نصيب لا ينكر في إنتاج الأدب ، وفي تشجيعه والحفز عليه .

---

(١) صفوة الصفوة ، ج ٤ ، ص ١٩ ، انظر كذلك : مرآة الجنان ، ج ١ ، ص ٣٠٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعـا :- المرأة والفـــــن :-

كانت تجارة الرقيق ،ولا سيّما تجارة الجواري ، تدرّ أرباحا طائلـــــة على أصحابها . وقد تفنن تجار الرقيق في تجارتهم ، واستخدموا شتى الوسائـــل لزيادة أرباحهم ، وكان من أهم هذه الوسائل تعليم الجواري الغناء ،إذ كانـــت الجارية التي تشترى بمئات الدنانير تباع بالآلاف بعد اتقانها الغنـــاء .

ومن المغنين المشهورين من اتّجر هو بالجواري ،كإبراهيم الموصلـــي وابنه اسحاق وغيرهما . فقد كان هؤلاء المغنّون يعلمونهن الغناء ويكتسبـــون من ذلك أموالا وفيرة . وكان تجار الرقيق من جانبهم يرسلون جواريهم إلى المغنين لتعلّم الغناء عندهم ، حتى لقد تحوّل منزل إبراهيم الموصلي إلى ما يشبه المعهد الموسيقي الذى يخرّج المغنيات الحسان . والطريف أن بعض الجواري الحســـان كنّ يمنعن من تعلّم الغناء خوفا من ارتفاع أسعارهن بصورة مبالغ فيها إذا مـــا أحسنّ الغناء إلى جانب جمالهن الفائق . ولذا فقد كان تعليم الغناء غالبـــا ما يقتصر على الجواري الصفر والسود ،وبقي الأمر كذلك ،إلى أن خرج إبراهـــيم الموصلي على هذا التقليد . يقول ابنه اسحاق :" لم يكن الناس يعلمون الجاريـــة الحسناء الغناء ،وإنما كانوا يعلمونه الصّفر والسود ،وأول من علّم الجواري المثمنات أبي فإنه بلغ بالقيان كل مبلغ ورفع أقدارهنّ "(١) . ويروى عن أبي عيينة بن محمـــــد المهلبي ،أنه كان هوى جارية ،فأغلى بها السّوم ، وجعلها تتردّد على مـــنزل إبراهيم واسحاق لتأخذ عنهما الغناء ،فكلّما أتقنت الغنـــاء زاد في سعرهـــا"(٢).

ويقال عن الجارية شارية إنها لما عرضت على اسحاق الموصلي لم يقبـــل أن يدفع بها أكثر من ثلاثمائة دينار ،فباعتها مولاتها إلى إبراهيم بن المهـــدي ،

---

(١) الاصفهاني ، الأغاني ، ١٩٥٦ ،دار الثقافة ،بيروت ، ج ٥ ،ص ١٥٦ .
(٢) المصدر نفسه ، والصفحة نفسهـــــا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتدرّبت في منزله على الغناء حتى أتقنته ، ثم أرسل إلى اسحاق الموصلي ليسمعها فدفع فيها بعد ذلك ثلاثة آلاف دينار ،وقال إنها رخيصة (١) . ويعلق جعفر بن يحيى على شراء جارية مغنية له بمال كثير فيقول : أي شيء تحسن هذه الجارية حتى بلغت هذا الثمن ؟ (٢) ، لذا نجد الجواري يقبلن على تعلم الغناء والعزف كي تزيد قيمتهنّ ،فهذه الجارية متيّم تأخذ الغناء عن اسحاق وأبيه ، وبعد أن اشتراها علي بن هشام ،ازدادت أخذا عن كبار الموسيقيين الذين كانوا يزورون مولاها (٣) . وقد أخذت الجارية دقاق عن أكابر مغنّي الدولة العباسية (٤) ، وأخذت دنانير الغناء عن أكابر المغنين مثل فليح وإبراهيم ،وابن جامع ،واسحاق ،وغيرهم (٥) . ومن الجواري من ساهمن في تعليم جوار أخريات الغناء ،فقد ذكر عن دنانير أنها تلقت الغناء عن الجارية بذل ،وأن هذه الأخيرة هي التي خرّجتها (٦) . بل إن من الجواري من علّمن الرجال الغناء كذلك . فقد قيل عن بذل إنها كانت من أحسن الناس غناء ،وإنها علمت الغناء كل محسن ومحسنة (٧) .

وكان اسحاق بن إبراهيم الموصلي معجبا بغناء جواري الحارث بن بسخنر ، وكان يعتمد عليهن في تعليم جواريه ، حتى إذا ما اضطرب على واحدة صوت أو وقع فيه خلاف ،اعتمد فيه على جواري الحارث . ويقال إن مخارق غنّى بين يديه صوتا فتزيّد فيه الزوائد ، فنصحه بالعودة لجواري الحارث ليقوّمن أوده (٨) . ومن الجواري من كن يتبادلن الزيارات للاستفادة من الخبرات الغنّية

---

(١) نهاية الارب ، ج ٥ ،ص ٨٢ - ٨٣ .
(٢) الاصفهاني ،الأغاني ، ١٩٥٦ ،دار الثقافة ،بيروت ،ج ٥ ،ص ١٧٠ .
(٣) نهاية الارب ،ج ٥ ،ص ٦٥ .
(٤) المصدر نفسه ، ج ٥ ،ص ٧٠.
(٥) المصدر نفسه ، ج ٥ ،ص ٩٣ .
(٦) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .
(٧) الاصفهاني ،الأغاني ،تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ١٩٥٩ ،دار الثقافة بيروت ، ج ١٧ ، ص ٣٢ .
(٨) المصدر نفسه ، ١٢٨٠ - ١٩٦١ ، ج ٢٠ ، ٣٢ ، ص ٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول عبد الله بن العباس الربيعي :- كان جواري الحارث بن بسخنر وجواري ابنه يدخلن إلى دارنا فيطرحن على جواري عمتي وجواري جدي ويأخذن مني ما ليس عندهن من غناء دارنا " (١) .

ونلاحظ أن المجتمع العباسي قد أخذ يتجاوز التقاليد المتعارف عليها والتي كانت تنهى الرجال عن الاستماع للغناء ،لأنه يذهب المروءة ويفسد الأخلاق إذ نجد الكثيرين من رجال العصر بمختلف مستوياتهم يقيمون المجالس الغنائية ويسعون لشراء المغنيات المبدعات ، ويحرصون على تعليم جواريهم الغناء . وقد يكون من بين هؤلاء الخلفاء والوزراء والأمراء والقواد من أمثال الواثق ويحيى البرمكي وأبي عيسى بن الرشيد وعبد الله بن طاهر وغيرهم . فهذا الواثق يستمع إلى صنعة قلم الصالحية جارية صالح بن عبد الوهاب ،فيأمر ابن الزيات بأن يبعث إليه بإحضاره هو وجاريته . فلما حضرا ،أمر الواثق الجارية قلم بالغناء فغنت ،فاستحسن غناءها وأمر بابتياعها . وحين طلب مولاها مئة ألف دينار ثمنا لها ،وأشياء أخرى ،غضب الواثق وردّها إليه (٢) .

وذكر كذلك أن الخليفة الأمين بلغه خبر غريب الجارية المغنية فأمر باحضارها ومولاها فغنت بحضرة إبراهيم بن المهدي ،فطرب الأمين ،وسأل إبراهيم رأيه في غنائها فقال :" سمعت يا سيدي حسنا ،وإن تطاولت بها الأيام وسكنن روعها ازداد غناؤها حسنا وطيبا " فأمر الفضل بن الربيع بشرائها له ففعل (٣) .

وبعد أن تنتقل الجارية إلى قصر الخليفة أو الوزير أو الأمير ،كان سيدها الجديد يعمل على صقل موهبتها ومتابعة تعليمها . فقد نقل عن اسحاق بن

---

(١) الاصفهاني ،الأغاني ، ١٩٦٠ ،دار الثقافة ،بيروت ،ج ١٩ ،ص ١٦٧ .
(٢) نهاية الأرب ، ج ٥ ، ص ٧١ - ٧٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ١٠٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إبراهيم الموصلي أن الخليفة المأمون استدعاه يوما ليستمع إلى جارية مغنية لـــه اسمها نعم ، وأنه طلب منه أن يصلح من غنائها إذا كان فيه ما يأخذه عليها (١)، وقد نقل عنه كذلك رواية شبيهة بهذه تتعلق بجارية مغنية للخليفة المعتصـــم شهد لها اسحاق أنها مجيدة للغناء (٢) ، وعلى الرغم من حذق دنانير فـــي الموسيقى ، إلاّ أن سيدها يحيى البرمكي طلب منها أن تعرض فنّها على أستاذها إبراهيم الموصلي ، حتى يبدي رأيه فيه ويقوّمه إن كان بحاجة إلى ذلـك (٣) .

فلا تعجب بعد ذلك من حذاقة القينات وبراعتهن بالغناء والعـــزف ، حتى أقرّ لهن الكثيرون بذلك ، يقول حماد بن اسحاق عن أبيه ،:" كان لزلـــزل جارية قد ربّاها وعلّمها الضرب ،وسألني مطارحتها ،وكانت مطبوعة حاذقة" (٤) ، وعلى الرغم مما ذكر عن اسحاق الموصلي من أنه كان متحاملا على المغنين شديـــد النفاسة عليهم كثير الظلم لهم مسرفا في حط درجاتهم ،إلاّ أن جواري العصـــر العباسي استطعن ببراعتهنّ أن ينتزعن اعجاب الموصلي واعترافه بحذقهن فـــي الغناء ،كما شهد بذلك ابنه في حديثه عن اعجاب أبيه بغناء الجارية بذل ، وطربه الشديد حين سمعها (٥) ، وحين سأل الخليفة المعتز عبيد الله بـــن عبد الله بن طاهر في غناء شارية وكان يسمعها لأول مرة قال :" يا أمير المؤمنين حظ العجب أكثر من حظ الطرب" (٦) ، ويشهد اسحاق الموصلي للجاريـــة عبيدة بأنها من المغنيات المحسنات ،وقد ذكرها جحظة في كتاب الطنبوريـــين والطنبوريات وقال فيها :" كانت من المحسنات ،ولم يعـــرف في الدنيا امـــرأة أعظم منها في الطنبـــور" (٧) .

---

(١) المختار من قطب السرور ،ص ٢٣٧ .
(٢) المصدر نفسه ،والصفحة نفسهـــا .
(٣) الاصفهاني ،الأغاني ،١٣٥٦ هـ/١٩٧٦م ،نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، ج ٥ ،ص ٢٤٨ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٢٧ .
(٥) المصدر نفسه ،١٩٥٩ ،تحقيق عبد الستار أحمد فراج ،دار الثقافـــة بيروت ،ج ٥ ، ص ٣٥ - ٣٦ .
(٦) نهاية الأرب ،ج ٥ ،ص ٨٦ .
(٧) الاصفهاني ، الأغاني ، ١٩٦٠م / ١٣٨٠هـ، تحقيق عبد الستـــار أحمد فراج ،دار الثقافة ،بيروت ، ج ٢٢ ، ص ٢٠٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقدّم عبد الله بن العباس الربيعي الجارية متيم على نفسه في اتقان الصنعة لأنها تستحق ذلك ،إذ جعلها في المرتبة الثالثة من المغنين الذين عرفهم بعد اسحاق الموصلي وعلّويه (١) ،وبلغ من حذق الجواري في الغناء والعزف أن تفوق بعضهن على كبار مغني العصر . يقول ابن المكي عن أبيه : " كنت أنا وابن جامع نعاني دنانير جارية البرامكة ،فكثيرا ما كانت تغلبنا".(٢)

وقد وردت الأخبار أن بعض الجواري المغنيات قد وصلن في فنهن إلى مستوى من أخذن عنه من كبار المغنين ، كما يتبين من رواية عمر بن شبّة عن دنانير إذ قال :" إن دنانير أخذت عن إبراهيم الموصلي حتى كانت تغني غناءه ، فتحكيه فيه حتى لا يكون بينهما فرق ، وكان إبراهيم يقول ليحيى : متى فقدتني ودنانير باقية ،فما فقدتني "(٣) . يريد أنها حلت محله وساوته ،ويقول إبراهيم ابن المهدي بعد ندمه على ما سلف له في الغناء ونصح بحرق دفاتره " ريق أيش أعمل بها . أقتلها وهي تحفظ كل شيء في دفاتر الغناء ؟!"(٤) ،ويقول اسحاق الموصلي لمتيم لما سمع صوتا غنّته :" أنت أنا فأنا من ؟"(٥) .

وقد اشتدت المنافسة بين مغني العصر وملحنيه وبين الجواري ،وتروي لنا المصادر أخبار هذه المنافسة ،فنسمع بكبار الملحنين يصنعون الألحان ثم تتفوق جواريهم عليهم في غنائها ، ومن ذلك ما رواه محمد بن بسخنّر ، وكان من المقدمين في العلم والغناء ونديما للخلفاء ،من أن إبراهيم بن المهدي بعث إليه في خلافة المعتصم ،فلما جاءه ،وجده جالسا وحده ،وجارية له خلف الستارة تغني ، فقال :" إني قلت شعرا وصنعت فيه لحنا وطرحته على جاريتي هذه ،

---

(١) الاصفهاني ، الأغاني ،١٩٥٦ ، دار الثقافة ،بيروت ،ج ٧ ،ص ٢٨١ .
(٢) الاصفهاني ،الأغاني ،١٩٥٩ ،تحقيق عبد الستار أحمد فراج ،دار الثقافة ،بيروت ،ج ١٨ ، ص ١٤ .
(٣) المصدر نفسه ،ج ١٨ ، ص ١٧ .
(٤) المصدر نفسه ، ١٩٥٧ ، دار الثقافة ،بيروت ،ج ١٠ ،ص ١٣٢ .
(٥) المصدر نفسه ،١٩٥٦ ، دار الثقافة ،بيروت ،ج ١٠ ،ص ٢٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأخذته وزعمت أنها أحذق به مني ،وقد تراضينا بك حكما ،فاسمعه منها ،واحكم ولا تعجل ،ثم يقول إنه بعد أن استمع ثلاثا إلى الغناء من إبراهيم بن المهدي وجاريته ،قضى للجارية بأنها المتفوقة (١) .

ومن الملحنين من كان يبخل على جواريه بألحانه ، وكنّ يأخذنها منه عنوة أحيانا ،كما فعلت دمن جارية اسحاق الموصلي ،التي وصفت سيدها بأنه كان بخيلا جدا بألحانه على جواريه (٢) ، ومثلما كانت المغنيات من الجواري يأخذن اللحن عنوة أو خلسة من كبار المغنين ، كان بعض كبار المغنين يفعلون الشيء نفسه ،بأن يأخذوا خلسة بعض الألحان من الجواري المحسنات في غنائهن ، كما تشهد بذلك رواية الهشامي عن إبراهيم بن المهدي والجارية متيّم الهشاميّة (٣) .

وقد يشارك السيد جاريته في الاحتفاظ بألحانها ،ويبذل في سبيل ذلك ما هو عزيز عليه ، فقد ذكر أنه كان عند علي بن هشام برذون أشهب، وأن اسحاق الموصلي كان يرغب في تملكه ،وقد عرّض بذلك مرارا ،ولكن صاحبه لم يسمح به . وحدث أن صنعت متيّم لحنا جميلا سمعه منها اسحق الموصلي ،فطرب طربا شديدا ،وما زال يستعيد الصوت حتى أتقنه ،وإذ ذاك خيّر عليّا ابن هشام بأن يعطيه البرذون ،أو يذهب فيدّعي الصوت لنفسه ،ولن يكذبه أحد لشهرته في الغناء وذيوع اسمه ، فاضطر عليّ إلى أن يهب البرذون لاسحاق (٤) .

وقد استطاعت الجواري أحيانا أن يعرضن كبار موسيقي العصر لمواقف محرجة في مجالس الغناء . فقد روى أحمد بن سعيد المالكي عن الجارية بذل أنها غنت أصواتا في حضرة الخليفة المأمون ،اختلفت مع اسحاق الموصلي في نسبتها ،إذ لم يعرف اسحاق صانعها ،وإذ ذاك قالت بذل :" يا أمير المؤمنين هي والله لأبيه أخذتها من فيه ، فإذا كان هذا لا يعرف غناء أبيه ،فكيف يعرف

(١) المختار من قطب السرور ،ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .
(٢) الاصفهاني ،الاغاني ،١٣٥٦هـ/١٩٦٠م ،نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، ج ٥ ،ص ٢٨٢ - ٢٨٣ .
(٣) المصدر نفسه ،ج ١٠ ، ص ١٣٩ - ١٤٠ .
(٤) نهاية الأرب ، ج ٥ ،ص ٦٥ - ٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غناء غيره ؟ فاشتد ذلك على اسحاق حتى رئي ذلك فيه (١) . وحين استغنى عليّ بن هشام عن بذل بأربعة آلاف صوت أخذها عنها ، كتبت إليه تقول : " يا علي ابن هشام ، تقول إنك استغنيت عن بذل بأربعة آلاف صوت أخذناها منها ، وقد كتبت هذا وأنا ضجرة ، فكيف لو فرغت لك قلبي كلّه " (٢) . وحين تحدّث إبراهيم بن المهدي أيضا بعد أن استغنى عنها ، رجاها أن تصفح عنه ، بعد أن تبيّن له أنها ما زال لديها الكثير من الألحان والأصوات التي لا يعرفها هو (٣) وعندما ساءت العلاقة بين الهشامي وعَرِيب بسبب قدح عَرِيب فيه واحراجه أمام محفل من الرجال وازرائها بغنائه ، لم ينفعه بعد ذلك محاولة الانتقام منها بقوله بما مضمونه أن غناءها ألف صوت هو في معنى واحد ، فهي بمنزلة صوت واحد (٤).

وقد وصلتنا روايات عن منافسات بين الجواري المغنيات ، ومنها تلك المنافسة الشديدة التي كانت بين عَرِيب وشارية ، وتتسع دائرة التحزب لكل منهما حتى تشمل مدينة بأكملها كما يتبين من الرواية التالية ، يقول يعقوب بن بيان : " وكان الناس يسرّ من رأى متحازبين ، فقوم مع شارية ، وقوم مع عَرِيب ، لا يدخل أصحاب هذه في هؤلاء ولا أصحاب هذه في هؤلاء ، وكان أبو الصقر اسماعيل بن بلبل عَرِيبيا ، فدعا علي بن الحسين يوم جمعة أبا صقر وعنده عَرِيب وجواريها ، فعلمت شارية بالخبر ، فأرسلت جواريها إلى علي بن الحسين بعد ذلك ، وأمرت إحداهن أن تغنّي أمامه :-

لا تعودنّ بعدها فترى كيف أصنع (٥)

وحين كانت إحدى الجواري تدّعي لحنا لنفسها وهو ليس لها ، كانت الأخرى تقف لها بالمرصاد ، كما حدث حين فعلت شارية ذلك في مجلس ضمّ مجموعة من علية القوم في منزل أبي عيسى ابن المتوكل ، إذ أن عَرِيب أقامت الدليل

---

(١) الاصفهاني ، الأغاني ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ١٩٥٩ ، دار الثقافة ، بيروت ، ج ١٧ ، ص ٣٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ١٧ ، ص ٣٤ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٥ .
(٤) المصدر نفسه ، ج ٢١ ، ص ٦٢ - ٦٣ .
(٥) نهاية الارب ، ج ٥ ، ص ٨٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القاطع على أن اللحن ليس لشارية ، مما سبب الحرج والانكسار لشارية ، كما روى ابن حمدون (١) .

وتلمع أسماء بعض الجواري وتتألق في عالم الفن ، وتعظم مكانتهن بين المغنين ، ويشهد لهن الناس بالفضل والزعامة ، وتكثر الألحان التي غنين بها ، حتى تتجاوز الألف ، كما في حديث محمد بن إبراهيم قريض عن ألحان للجارية عَرِيب ، بلغت في مجموعها ألفاً ومئة وخمسة وعشرين لحنا (٢) ، ولم يبعد عليّ بن يحيى كثيرا عن هذا الرقم حين ذكر أنه أخذ دفاتر عَرِيب وتصفحها بأمر من الخليفة المعتمد من أجل أن يجمع غناءها الذى صنعته وكتبته ، فكان عدد ألحانها أو أصواتها ألف صوت (٣) ، وكانت عريب هذه المرجع الذى يعود إليه المهتمون بالغناء إذا ما خفي عليهم صوت من الأصوات ، كما جاء في بعض الروايات (٤).

وكان للجارية بذل ، إحدى المحسنات المتقدمات اللواتي عرفن بكثرة الرواية كتاب في منسوب الأصوات يشتمل على اثني عشر ألف صوت ، يقال إنها عملته لعلي بن هشام (٥) ، ويقول جحظة في بذل : " كانت أروى خلق الله تعالى للغناء (٦) . وذكر أنه كان للجارية دنانير كتاب مجرد مشهور في الأغاني (٧) .

وقد عرف عن هؤلاء القينات قدرتهن على نقد الغناء ، فقد كانت لهن آراء في غناء بعض المغنين . فها هي عَرِيب تثني على غناء أبي حشيشة بعد أن غنّى عند ابن المدبر وتقول له : " أحسنت يا أبا جعفر ، ولو عاش الشيخان ، ما قلت لهما هذا ، تعني علّوية ومخارقا " (٨) . وقيل عن عاتكة بنت شهدة إنها

(١) الاصفهاني ، الاغاني ، ١٣٥٦هـ/١٩٧٦م ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، ج ١٤ ، ص ٢١٢ - ٢١٣ .
(٢) المصدر نفسه ، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار الثقافة ، بيروت ، ج ٢١ ، ص .
(٣) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .
(٤) نهاية الارب ، ج ٥ ، ص ١٠٥ .
(٥) الاصفهاني ، الاغاني ، ١٩٥٩ ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار الثقافة بيروت ، ج ١٧ ، ص ٣٢ .
(٦) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .
(٧) المصدر نفسه ، ج ١٨ ، ص ١٤ .
(٨) نهاية الارب ، ج ٥ ، ص ٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كانت أحسن خلق الله غناء وأرواهم ، وكان ابن جامع يلوذ منها بكثرة الترجيع ، فكان إذا أخذ يتزايد في غنائه تنبّهه إلى ذلك ،وتطلب منه ألاّ يتزايد ، و أن يعود إلى مادة غنائه الأساسية (١) ، ومثلما نقدن المغنين ،نقدت الواحدة منهن الأخرى ، كما يتبين من رواية الحسين بن يحيى عن حديث ريق وخشف الواضحية النقدي عن غناء شارية ومتيم وعَريب وفريدة . فقد قالت ريق :" شارية أحسنهنّ غناء ومتيّم ،وقالت خشف : عَريب وفريدة ، اجتمعتا على تساويهنّ وتقديم متيم في الصنعة ، وعَريب في الغزارة والكثرة ، وشارية وفريدة في الطيب وأحكام الغناء" (٢) .

وبلغ من مكانة الجواري الحاذقات في الغناء والنقد أن يقمن بدور الوساطة حتى مع الخليفة نفسه فيما يتعلق بالأحكام التي كان يصدرها كبار المغنين على الألحان ، كما فعلت فريدة حين توسطت لاسحاق بن إبراهيم الموصلي مع الخليفة الواثق لتصوب رأي اسحاق في لحن من الألحان (٣) .

ومن أهم الآلات التي كانت الجواري تحسن العزف عليها إضافة إلى العود الدفّ والمزمار والجنك (٤) والقانون (٥) والسنطر (٦) كما يتبين من حديث جعفر البرمكي عن جواري الرشيد ومراعتهن في العزف على مختلف الآلات الموسيقية في زمنهنّ ،يقول جعفر فيهن :" ثلثمائة جارية ، ما بين جنكية إلى عوديّة إلى دفّية الى قانونية إلى زامرة إلى سنطرية" (٧) .

---

(١) الاصفهاني ،الأغاني ،ج ٦ ،نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٣٥م ،ص ٢٦١ .

(٢) المصدر نفسه ،١٩٥٥ ،دار الثقافة ،بيروت ،ج ٤ ،ص ١١٧ .

(٣) المصدر نفسه ،١٩٥٧ ،دار الثقافة ،بيروت ،ج ٩ ،ص ٢٧٢ - ٢٧٤ .

(٤) الجنك : جمع جنوك ، آلة الطرب يضرب بها كالعود ،انظر : البستان ،مادة جنن .

(٥) القانون :آلة من آلات الطرب ذات أوتار ، انظر : الرائد ،المسعودي ،ص١١٤٨.

(٦) السنطر : آلة طرب تشبه القانون ،أوتارها من نحاس يضرب عليها ولا يجر فوقها ، انظر : البستان ،مادة سنط .

(٧) إعلام الناس ، ص ٧٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتبيّن من حديث أحمد بن صدقة عن جواري المأمون ورقصهن يوم الشعانين ، أنهنّ كنّ يتقنّ أنواعا من الرقص ، كما هو واضح من قوله : " وصائف يرقصن بأنواع الرقص من الدستبندا (١) إلى الأيلي " (٢) .

وما من شك في أن هؤلاء الجواري قد أشعن البهجة والسرور في مجتمعهنّ ، وأنه كان لهنّ دور كبير في تنشيط الحركة الفنّية في ذلك المجتمع .

---

(١) الدستبندا : معناه الحلقة أو السوار ، عرفه العرب عن العجم ، وهو أن تتشابك فيه الأيدى على هيئة دائرة . (انظر : أبي طالب المفضل بن سلمة النحوى ، كتاب الملاهي وأسمائها ، تحقيق غطاس عبد الملك خشبة ، ١٩٨٤ ، ص ٥٢) .

(٢) نهاية الأرب ، ج ٥ ، ص ٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب - الحرائـــــــــر :-

لم تنبغ من الحرائر في الغناء في المجتمع العباسي فيما روته المصـــادر لنا إلاّ عليّة بنت المهدي ، وربّما نبغ غيرها من الحرائر ،الاّ أن أخبارهن لـــم تصل إلينا . وربما كان لنبوغ شقيقيها إبراهيم ويعقوب ابني المهدي أثـــر في اتقانها فن الموسيقى والغناء ،فقد نشأت عليّة مع أحد عباقرة الغناء فـــي زمنه ،وهو أخوها إبراهيم بن المهدي ،وكانا يجلسان معا في مجالس أنـــس يقول عبد الله بن العباس بن الربيع : ما اجتمع في الاسلام قط أخ وأخـــت أحسن غناء من إبراهيم بن المهدي وأخته عليّة ،وكانت تقدّم عليـــه "(١) .

وربما شارك الأخوين أخ ثالث كان يتقن العزف على المزمار أيضا ،فيجلسون معا يمارسون الغناء والعزف . وقيل إن غريب شهدت إحدى جلساتهم فـــي أحد الأيام فقالت فيه :" أحسن يوم رأيته ،يوم اجتمعت فيه مع إبراهيم بن المهدي عند أخته عليّة ،وعندهم أخوهم يعقوب ، وكان أحذق الناس بالزّمر ، فبـــدأت عليّة ،ففنّتهم من صنعتها ،فما سمعت مثل ما سمعته منهما قط ، وأعلـــم أني لا أسمع مثله أبـــدا " (٢) .

وقد ذكر أن الخلفاء كانوا لا يرضون بغناء الحرائر،وأن الخليفة الرشيـــد تأذى كثيرا عندما علم أن أخته عليّة كانت لها مشاركة في الغناء . وقيل فـــي ذلك إن الرشيد استمع إلى غناء جواري إبراهيم الموصلي ،ثم سأل إحداهـــنّ عن صاحب اللحن الذي غنّته ،فتردّدت الجارية في اخباره ، ثم أسرّت اليـــه باسمه ،فكادت نفسه تخرج من الغيظ ،وكان الذي خبرته به ،أن الصنعة لأخته عليّة بنت المهدي (٣) . ومثل هذا الضيق والغيظ يروى عن الخليفة المتوكـــل عندما غُنّي بين يديه لحن من ألحان خديجة بنت المأمون . تقول مُلح العطـــارة عن لحن غني بحضرة المتوكل ،فنال اعجابه ،وحين سأل عن صاحبه قالت ملـــح : هو لخديجة بنت المأمون " فأطرق طويلا ثم قال : لا يسمع هذا منك أحد" (٤) .

(١) الاصفهاني،الاغاني ،١٩٥٧ ،دار الثقافة ،بيروت،ج ١٠ ،ص ١٧٢ .
(٢) المصدر نفسه ،ج ١٠ ،ص ١٨٣ .
(٣) الاصفهاني ،الاغاني ،١٣٥٦هـ/١٩٧٦م ،نسخة مصورة عن طبعـــة دار الكتب المصرية ،ج ٥ ،ص ٢١٩ .
(٤) المصدر نفسه ،تحقيق عبد الستار أحمد فراج ،دار الثقافة ،بيروت،ج ١٥،ص ٢٢٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويشعر الخليفة المعتصم كذلك بالضيق لسماعه لحنا لعليّة بصوت أحد المغنّين يقول محمد بن اسماعيل بن موسى الهادي ، كنا عند المعتصم وعنده علوّيـــة ومخارق ومحمد بن الحارث وعقيد ، فتغنّى عقيد ،وكنت أضرب عليه ،فطـــرب المعتصم ،وقال : لمن هذا الشعر والغناء ،فأمسكوا ،فقلت: لعليّة ، فأعـــرض عنّي ،فعرفت غلطتي ، وأن القوم أمسكوا عمدا ،فتبيّن حالي ،فقال : لا تُـــترع يا محمد ،فان نصيبك منها مثل نصيبنـــــا " (١) .

وربما يشعر الدارس بشيء من تناقض المواقف عندما يقرأ عن زيارة قام بهـا الرشيد لأخته عليّة ،وطلب منها أن تقول فيه شعرا وتغنّيه ، فتستجيب أختـــه لطلبه راضية (٢) . ولعل الرشيد كان يفرق بين غناء خاص لأخته فيه ،وغنـــاء لها يشيع بين الناس ويشتهر . وقد ذكر أن عليّة هذه اعتذرت لأخيهـــــا الخليفة عن تأخرها بالعودة إلى بغداد بعد أدائها فروض الحج ،وذلك بشعـر صاغت فيه لحنا (٣) ،وقيل إن الخليفة المأمون لم يعترض على ممارسة عمته عليّـــة لفن الغناء ، كما هو واضح من رواية رواها الصولـــــي (٤) .

ومن الحرائر من كانت تكتفي بتذوق الغناء وتقدير المغنين وتشجيعهـــم بتقديم العطايا لهم ،فقد استمعت أم جعفر لغناء ابن جامع ، وكان الرشيـــد جالسا ،فقالت أم جعفر للرشيد : ما أحسن ما اشتهيت ، والله يا أمير المؤمنـــين ثم أمرت لابن جامع بمكافأة سخيّـــــة (٥) .

---

(١) الاصفهاني ،الأغاني ،١٩٥٧ ،دار الثقافة ،بيروت ،ج ١٥ ،ص ١٧٧ .
(٢) نهاية الأرب ، ج ٤ ،ص ٣٢٦ .
(٣) الاصفهاني ،الأغاني ، ١٣٥٦هـ/١٩٧٦م ، نسخة مصورة عن طبعـــة دار الكتب المصرية ،ج ١٠ ،ص ١٩١ .
(٤) أشعار أولاد الخلفـــاء ، ص ٨٣ .
(٥) نهايـــة الأرب ، ج ٤ ،ص ٣٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع

التقويم الأدبي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعد هذا التطواف في مصادر الأدب العربي التي عنيت بالمرأة العراقية في العصر العباسي الأول ، أرى أن النثر الأدبي قد شارك الشعر في تقديم صورة واضحة للمرأة في المجتمع العراقي ، بما قدمه من وصف حسي ومعنوي لها ، ومن سرد لأقوالها ، ونقل لرسائلها وتعليق على مواقفها . وقد أوضح هذا النثر كذلك دور المرأة في مختلف نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والأدبية ، وقدّمها لنا ، أمّا وسيدة بلاط وزوجة وجارية ومحبوبة .

والجدير بالذكر أن النثر - في الفترة التي يعنى بها البحث - أصبح يعبّر عن مختلف الموضوعات ، وأخذ يزاحم الشعر في التعبير عن العواطف والأحاسيس المختلفة . فبعد أن كان المدح والرثاء والوصف وغيرها من الموضوعات المتصلة بالوجدان مواد شعرية ، أصبحت في هذه الفترة مواد مشتركة بين الشعر والنثر ، وقد تناولها الكتّاب في كتاباتهم ، وتهيأ لهم من وسائل التفصيل والأطناب ما لم يتهيأ للشعراء ، لأن للشعر قيودا غير قائمة في النثر . وقد امتاز النثر الفني في هذه الفترة بالوضوح ، مع الحرص على الجزالة واللغة الصافية السليمة . والمتتبع لهذا النثر لا بدّ أن يلحظ فيه أثر الفسلفة اليونانية في تلمّس الأدلّة والبراهين والحجج .

أما أهم أنماط النثر التي اعتمدت عليها في كتابة بحثي فهي التآليف الأدبية والتاريخية وكتب التراجم والرسائل والتوقيعات والوصايا والمناظرات والأقوال النثرية الصادرة عن المرأة .

ولعل من أهم من تعرض لشؤون المرأة من أدباء العراق في بداية العصر العباسي ، ابن المقفع الذي أثرى الأدب العربيّ بتآليفه وترجماته ، ومنها حديثه عن المرأة في رسالته " يتيمة السلطان " وهي رسالة تناول فيها موضوعات شتّى كشؤون السياسة والادارة والمجتمع . وقد بحث معظم هذه الموضوعات في كتبه السابقة " كالأدب الصغير " و " الأدب الكبير " . وهو يتعرض للمرأة بالمدح مرة وبالقدح مرارا . أما كتاب " الأدب الكبير " ، فهو يقع في قسمين ، الأول يعالج

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علاقة الراعي بالرعية ،والثاني يعالج علاقة أفراد الرعية بعضهم ببعض ،وفيه تعرّض قاس للمـــــرأة .

والممعن في مؤلفات ابن المقفع يتمثّل ثقافته الواسعة التي استقاها مـــن مختلف المصادر في عصره ، فنجد في مؤلفاته صدى الثقافة الاسلامية وحكـــــم الفرس ومنطق اليونان ،ونراه يقدم مادته مستعينا بالنهج الفنّي المكثّف ،ولـــذا كان الإيجاز أوضح سمة من سمات أسلوبه ،إذ إنه يحمّل الألفاظ القليلة معانـــي كثيرة ، وقد يلجأ أحيانا إلى المساواة بين المعنى واللفظ . ونحن لا نجد فـــي نثره الكثير من المحسنات اللفظية ،بل نجد فيه الجزالة والرصانة والرشاقة ،إذ إن المعنى العميق واللفظ الرشيق هما من سمات أدب ابن المقفع . وكان يحرص على انتقاء الألفاظ السهلة ،لأنه كان ينادي بالبعد عن خوشي الكلام . وقد يقـــع اضطراب في بعض مؤلفاته ، كما هي الحال في " يتيمة السلطان " ،وذلك حيـن يعرض لأحد الموضوعات ثم ينتقل إلى موضوع غيره قبل أن يتمّ القول فيه . وهـــو قد لا يضمّ الأشباه والنظائر بعضها إلى بعض في مكان واحد مما يؤدي إلـــى فقدان التسلسل المنطقي في كتابته . وعلى غير هذا أسلوبه الكتابي في كتـــاب " الأدب الكبـــير " .

وقد لا نجد في القدماء كاتبا اهتم بتصوير المجتمع العباسي الأول كما اهتمّ الجاحظ ،ومن ذلك أحاديثه الكثيرة عن المرأة ،إذ إنه خصّص لها عدة رسائـــل ومعالجات . ومن هذه " النساء " و" الجواري والغلمان " ، و" القيـــان" ، و" المحاسن والأضداد " ، ولم يغفل كذلك التعرض للمرأة في باقي مؤلفاتـــه " كالحيوان " و" البيان والتبيـــين " .

ولعل من ثمار البيئة الفلسفية التي لم يكن الجاحظ غريبا عنها ،تلـــك المؤلفات التي استخدم فيها طريقته في عرض المتناقضات . فهو كثيرا ما كان يتحدّث عن الشيء ثم عن ضدّه ، كما في كتابه " المحاسن والأضداد " الذي جعله معرضا للملح والنوادر والأخبار المنوعة من عربية وساسانية وهندية ،مع إبداء ملاحظاتـــه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتعليقاته وإضافاته . وقد تحدث في هذا الكتاب عن المرأة في مختلف العصور وفي شتّى المجالات كمحاسن المرأة والوفاء والمكر والبيان ، والغيرة ومحاسن الهدايا التي تقدمها ، إضافة إلى موضوعات أخرى لا تتعلق بالمرأة .

والمتتبع لنثر الجاحظ يستسيغه ويستوعبه ،لأن الجاحظ لا يعمد إلى تعقيد المعنى ولا يتلمس الألفاظ الغريبة إذ إن اليسر في التعبير من أهم خصائص أسلوبه . كما أننا نلحظ عدم احتفاله بالتشبيهات والاستعارات إلاّ ما جاء عفو الخاطر ،وذلك دون أن تفقد عبارته الرشاقة والحلاوة الناشئة عن تمكّنه من اللغة وحسن تخيّره لألفاظه .

ولعبارات الجاحظ إيقاعات موسيقية بسبب تقسيمه لجمله وموازنته بين أجزائها ،وهو يستعين على ذلك بالتفصيل والاطناب والتكرار . ومن ذلك ما ورد في رسالة " النساء " حيث يقول :" وقد علم الشاعر ،وعرف الواصف ،أن الفائقة الحسن أحسن من الظبية ،وأحسن من البقرة ،وأحسن من كل شيء تشبّه به ، ولكنهم إذا أرادوا القول شبّهوها بأحسن ما يجدون ،ويقول بعضهم : كأنها الشمس ،وكأنها القمر ، والشمس وإن كانت بهيّة ،فإنما هي شيء واحد ،وفي وجه الجارية الحسناء وخلقها ضروب من الحسن الغريب ،والتركيب العجيب ،ومن يشك أن عين المرأة الحسناء أحسن من عين البقرة ،وأن جيدها أحسن من جيد الظبية ،والأمر فيما بينهما متفاوت ،ولكنهم لو لم يفعلوا هذا وشبّهه ،لم تظهر بلاغتهم وفطانتهم " (١) .

ومن ذلك ما ورد في كتاب " القيان " من حديث عن تجارة الرقيق إذ يقول : " وبعد ،فإن الرقيق تجارة من التجارات ،تقع عليه المساومات والمشاراة بالثمن ويحتاج البائع والمبتاع أن يستشفا العِلق (٢) ،ويتأملاه تأملا بيّنا يجب فيه خيار الرؤية المشترط في جميع المبياعات . وإن كان لا يُعرف مبلغه بكيل ولا وزن،

(١) النساء ، ص ٢٧٤ .
(٢) العلق : النفيس من كل شيء : انظر: تاج العروس ،مادة علق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا عدد ، ولا مساحة ،فقد يعرف بالحسن والقبح ،ولا يقف على ذلك أيضا إلاّ الثاقب في نظره ،الماهر في بصره ،الطبّ بصناعته ،فان أمر الحسن أدقّ وأرقّ من أن يدركه كلّ من أبصره " (١) .

والمعروف عن الجاحظ أنه كان يتعمّد أن تأتي عباراته قصيرة كالتوقيع، حتّى يعادل بين ألفاظه معادلة لا تنتهي به إلى السجع ،ولكنها تمنح مؤلفاته توازنا موسيقيا دقيقا .

ولا شكّ في أن الفلسفة اليونانية التي تمرس الجاحظ بها كانت ذات أثر واضح في مؤلفاته ،لأنه كان يحلل ويفترض ويعلّل ،ويقدم الأدلّة المختلفة على آرائه ،فلا تراه يورد قولا على عواهنه ،ولا يقبل قضية بغير دليل . ولعل فيما ورد في مقدمة رسالة " القيان " دليلا على منهجه الفلسفي إذ يقول فيها : " وضعنا في كتابنا هذا حججا على من عابنا بملك القيان ،وسبّنا بمنادمة الإخوان ،ونقم علينا إظهار النعم ،والحديث بها . ورجونا النّصر إذ قد بدينا والبادىء أظلم "(٢) . ويبيّن في رسالة " النساء" أنه قام بتأليفها للدفاع عن المرأة ضد خصومها فيقول :" لكنا رأينا ناسا يزرون عليهن أشد الزراية ، ويحتقرونهن أشد الاحتقار ،ويبخسونهن أكثر حقوقهن "(٣) .

ونراه يعرض لقضيّة " النظر للنساء والحديث معهن " ويقدّم أدلّة منوعة ليثبت أن النظر إليهن والحديث معهن ليس حراما ،فيسوق روايات(٤) من العصور الاسلامية التي سبقت عصره ،ويقدّم دليلا من واقع مجتمعه ،فيقول :" ثم إن النساء إلى اليوم من بنات الخلفاء وأمّهاتهن ، فمن دونهنّ يطفن بالبيت مكشّفات الوجوه ،ونحو ذلك ،لا يكمل حج إلاّ به "(٥) . ويقدم دليلا منطقيا

---

(١) القيان ، ص ١٦١ - ١٦٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٤٦ .
(٣) النساء ، ص ٢٧٠ .
(٤) انظر: القيان ، ص ١٤٨ - ١٥١ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٥١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

آخر يعتمد فيه على ما ورد في القرآن الكريم والسنّة المطهّرة ،فيقول :" وكل شيء لم يوجد محرّما في كتاب الله وسنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فمباح مطلق . وليس على استقباح الناس واستحسانهم قياس ،ما لم نخرج من التحريم دليلا على حسنه ،وداعيا إلى حلاله " (١) .

وفي رسالة النساء يقدم تعليلا لظاهرة انتشرت في عصرة ، وهي الاعراض عن الزواج من الحرائر ،والاقبال الشديد على الجواري فيقول :" قال بعض من احتجّ للعلّة التي من أجلها صار أكثر الاماء أحظى عندهم من أكثر المهيرات أن الرجل قبل أن يملك الأمة ،قد تأمّل كل شيء منها وعرفه ،فأقدم على ابتياعها بعد وقوعها بالموافقة . والحرة إنما يستشار في جمالها النساء ، والنساء لا يبصرن من جمال النساء وحاجات الرجال وموافقتهن قليلا ولا كثيرا ،والرجال بالنساء أبصر ،وإنما تعرف المرأة من المرأة ظاهر الصفة "(٢) .

ولم يكن الجاحظ يحلل الآراء والأفكار فحسب ،بل كان كذلك يتسلّل إلى أحاسيس النفس فيحلّلها ،وإذا بنا كأنّنا أمام محلل نفسي . فلا عجب إذن أن نحسّ بأنه يتسلل إلى نفسية المرأة ليصوّر مشاعرها ،كتصويره لغيرة المرأة في عبارته التالية :" إن شدة الغيرة بلغت عند المرأة حدّا كبيرا ،لدرجة أنها تغار على أبيها من الظن والحلم ، وتغار عليه من زوجه وأمته " (٣) . ونراه يحلل ببراعة نفسيّة القينة في التعامل مع الروّاد ،وايقاعهم في حبالها ،وادعائها عشقهم ،حتى إذا ما وصلت إلى بغيتها ،رسمت بدقّة متناهية خطّة تخليص نفسها مما بدأت به . فهو يقول :" فلو لم يكن لابليس شرك يقتل به ،ولا علم يدعو إليه ،ولا فتنة يستهوى بها إلاّ القيان ،لكفاه " ، و" ليس يحسن هاروت وماروت ،وعصا موسى وسحرة فرعون ،إلاّ دون ما يحسنه القيان "(٤) .

---

(١) القيان ، ص ١٤٧ .
(٢) النساء ، ص ٢٧٤ .
(٣) القيان ، ص ١٥٨ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أهم ما يسترعي النظر في مؤلفات الجاحظ ،عدم التنظيم والتسلسل ، إذ نراه يقفز من فكرة لأخرى غير عابئ بمنهج البحث المنظم المتصل الأجزاء ، ففي رسالة " القيان " مثلا يبدأ بمناقشة " نظرة الرجال للنساء والحديث معهن" ، ويسهب في تقديم أدلّة وروايات من العصور السابقة لعصرة ،ثم ينتقل إلى الحديث عن ظاهرة اجتماعية شاعت في عصره ،وهي الأعراض عن الحرائر ،ثم لا يلبث أن ينتقل إلى الحديث عن الغناء عند العرب والعجم وفي صدر الاسلام ،ويستمر على هذا النحو في استطراده . وهذا النوع من الاستطراد نجده كذلك في رسالة النساء . وعلى الرغم من عدم التنظيم الذى يسود مؤلفات الجاحظ وعدم تسلسل الأفكار وكثرة الاستطراد ،إلاّ أن القارئ يشعر بالمتعة في أثناء مطالعة هذه المؤلفات ،فقد نجح الجاحظ فيما يرمي اليه من كثرة استطراده ،وهو دفع الملل عن القارئ . ولعل هذه السمة هي من سمات الأدباء الموسوعيين ،الذين تدفعهم موسوعيّتهم إلى استذكار فكرة من خلال فكرة أخرى يوردونها ،في إطار ما يسمّى في علم النفس بـ " تداعي المعاني " .

وإذ يكتب الجاحظ عن المرأة ، فإنه ينتقل بالأدب إلى الحياة والواقع وشؤون المجتمع الذى تكوّن المرأة عنصرا أساسيا فيه ،مثلما أنه كان واقعيا في الحديث عن تجاربه وممارساته ومشاهداته ، بكل ما في هذه كلّها من متشابهات ومتباينات ومتناقضات .

ومما يسترعي النظر في الروايات الخاصة بالمرأة ،ما اتسمت به هذه الروايات من دقة الوصف وبراعة التصوير ،إذ احتوت على وصف مفصّل لشؤون المرأة ،يشتمل على سمات الجمال الأنثوي الحسّي والمعنوي ، كما اصطلحوا عليه في زمنهم . وحسبنا أن نشير هنا إلى وصف الحسين الخليع لإحدى الجواري إذ يقول : " فإذا أنا بجارية أحسن ما يكون ، كأنها قضيب يتثنّى ، وسناء العينين ، زجاء الحاجبين ، مهفهفة الخصر ،حاسرة الرأس ،مفتوحة الجربان ، عليها قميص لاذ جلناري ،ورداء عدني ،قد علت شدة بياض بدنها حمرة قميصها،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لها جمة جعدة ، بالمسك محشوة ،وهي يا أمير المؤمنين متقلّدة خرزا من ذهب ، والجوهر يزهر بين ترائبها ،على صحن جبينها طرة كالسبج ،وحاجبان مقرونان ،وعينان كحلاوان ،وخدّان أسيلان ، وأنف أقنى ،تحته ثغر كاللؤلؤ وأسنان كالدرّ ،وقد غلب جريانها سواد المسك والغالية ودابر العود الهندي ، تخطر في مشيتها ، قد خالط صرير نعلها أصوات خلخالها ،كأنها تخطر على أكباد محبّيها " (١) .

وتأتي بعض الروايات عن المرأة على شكل حوار يدور بين الراوي وطرف آخر بهدف إظهار أمر معيّن يرمي إليه الراوي . ومن هذا الحوار الذي دار بين العتبي وإحدى النساء ، وقد رمى العتبي من ورائه إلى بيان مدى اعجابه بذكاء تلك المرأة إذ يقول :" سألت امرأة أعجبتني صورتها ،فقلت: ألك بعل ؟ قالت: لا . قلت: أفترغبين في التزويج ؟ قالت: نعم ،ولكن لي خصلة أظنّك لا ترضاها . قلت وما هي ؟ قالت: بياض برأسي ،قال :فثنيت عنان فرسي وسرت قليلا ،فنادتني : أقسمت عليك لتقفنّ ! ثم أتت إلى موضع خال ،فكشفت عن شعر كأنه العناقيد السود ،فقالت :والله ما بلغت العشرين ،ولكنني عرّفتك أنّا نكره منك ما تكره منّا ،قال : فخجلت " (٢) .

وروح الفكاهة والمرح من السمات التي تتسم بها بعض الروايات ،وهذه الروح تشيع في الروايات المذكورة جوّا من الدعابة والمرح ، وتدفع عن القارئ السأم ، تحفزه إلى متابعة القراءة . ومن هذه الروايات ما يرويه الجاحظ عن إحدى النساء إذ يقول :" ورأيت امرأة طويلة القامة جدا ،ونحن على طعام فأردت أن أمازحها . فقلت : انزلي حتى تأكلي معنا ،قالت : وأنت اصعد حتى ترى الدنيا " (٣) .

---

(١) المحاسن والأضداد ، ص ٢٣٩ .
(٢) أخبار الأذكياء ، ص ٢٣١ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبديهي أن تختلف أساليب الروايات تبعا لاختلاف رواتها . فبينما نجد السهولة واليسر في أنماط خاصة من الروايات ، نواجه صعوبة في فهم روايات صادرة عن الأعراب ، كما في حديث الأعرابي إلى ابن عمه عن الزوجة التي يريدها ، وذلك إذ يقول : " اطلب لي امرأة تقوم فلا يصيب قميصها منها مشاشة منكبيها ، ورضاف ركبتيها ، إذا استلقت فرميت بالأترجة العظيمة ، نفذت من الجانب الآخر " (١) .

والملاحظ بصورة عامة أن أهل البادية لم يتخلّصوا من خشونة الألفاظ ولم ترقّق الحضارة العباسية من لغتهم ، كما يتّضح على سبيل المثال من وصف إحدى الأعرابيات لابنتها حين لمّح أحدهم إلى افتقار الابنة للجمال . تقول الأعرابيّة عن ابنتها إنها : " مهاة خبنداة ، إن قامت فقناة ، وإن قعدت فحصاة ، وإن مشت فقطاة ، أسفلها كثيب ، وأعلاها قضيب ، لا كفتياتكم اللواتي تسمنونهنّ بالفتوت " (٢) . وفي المقابل نجد نمطا آخر من التعبير في وصف علي ابن الجهم لإحدى النساء ، وذلك إذ يقول : " أقبلت كأنها البدر ليلة التمام ، بلون كأنه الدرّ في البياض ، مع احمرار خدّين كشقائق النعمان " (٣) . وغير خاف ما في هذا الوصف الأخير من يسر ورقّة في اللفظ ، وتأثر بما تتركه الحضارة من لين ودماثة في الحديث .

ومن الرواة الذين تحدّثوا عن المرأة من تعمّد تجميل عباراته وأوصافه ، كما يستبين من وصف خالد بن صفوان جمال الجواري للخليفة السفاح حين يقول : " إنك حرّمت على نفسك التلذّذ بما يشتهى منهن : الطويلة التي تشتهى لحسنها ، والبيضاء التي تحبّ لرؤيتها ، والسمراء اللعساء ، والصفراء الذهبية ، ومولدات المدينة والطائف واليمامة ، ذوات الألسنة العذبة ، وبنات سائر الملوك ، وما يشتهى من نضارتهنّ ونظافتهنّ " (٤) .

---

(١) عيون الأخبار ، ج ٤ ، ص ٦ .
(٢) الأغاني ، ج ١٩ ، ص ١٣ .
(٣) المحاسن والأضداد ، ص ١٥٤ - ١٥٥ .
(٤) إعلام الناس ، ص ٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واتكأ كثير من الرواة على التشبيهات التجميلية في وصفهم للمرأة ، حين شبّهوها بالغزال والقمر ليلة تمامه ،والخيزران والشمس . . . .الخ ،في حين أن آخرين لم يتعمّدوا إيراد تشبيهات كهذه . فها هو الجاحظ يقدّم وصفا لجمال الجواري دون أن يعني نفسه باستعمال الأسجاع والزخارف اللفظيّة ، فيقول في نساء مولّدات :" وقد كان أيضا بالكوفة نتاج بين الخراسانية والهنديات ،وكنّ أملح وأحسن قدودا من البغلات اللواتي بمصر ،وكانت تجيء ألوانهنّ ذهبية ، لها حلاوة الهندية ،وروعة الخراسانية " ثم يتابع قائلا : " وكذلك مطهمات جواري الكوفة ، زرقا تجد هن ،إلاّ الواحدة بعد الواحدة . إنما الثمينات المرتفعات ،والغوالي الحظيرات ،بصريات مثل عجوز عمير ،ومتيّم ، وبذل جارية الأحدب ، وفضل جارية إبراهيم المهدي ،وزرياب الكبرى "(١) .

ويلمح من يطّلع على هذه الروايات أن بعضا منها فيه نوع من المبالغة الجليّة ، ولعلّ الرواية التي صورت شدة الغيرة عند ذات الخال ،وهي غيرة دفعتها إلى أن تستأصل خالها كي تفيظ من أحبّت (٢)،دليل على تلك المبالغة ،وأمثالها بين الروايات كثير أيضا . الاّ أن هذا لا ينفي أن هذه الروايات تعتبر مصدرا موثوقا في تصوير حياة المرأة من جوانبها المختلفة ، في الفترة والمكان اللذين ترتبط بهما هذه الدراسة .

---

(١) البغال ، ص ٢٨٨ - ٢٩٠ .
(٢) الأصفهاني ، الأغاني ، ١٩٥٦ ، تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج ، دار الثقافة ، بيروت ، ج ١٦ ، ص ٢٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرسائـــل والتوقيعـــات :-

لم أعثر على رسائل ديوانية تعرضت للمرأة في هذه الفترة خلا رسالـــة واحدة أرسلها المنصور إلى محمد بن الحسين الذى فخر بأنه من أمومة سيدتي نســاء العالمين : السيدة خديجة زوج الرسول - صلّى الله عليه وسلم - ،والسيدة فاطمة الزهراء . وقد جاء فيها :" بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد ، فقـــد بلغني كلامك ،وقرأت كتابك ،فاذا جلّ فخرك بقرابة النساء لتضل به الجفـــاة ، والغوغاء . ولم يجعل الله النساء كالعمومة والآباء ، ولا كالعصبة والأوليـــاء ، لأن الله جعل العم وبدأ به في كتابه على الوالدة الدنيا ،ولو كان اختيار الله لهنّ على قدر قرابتهنّ ، كانت آمنة أقربهنّ رحما ،وأعظمهنّ حقا ،وأول مـــن يدخل الجنة غدا ،. ولكن اختيار الله لخلقه على علمه لما مضى منهم واصطفائـه لهم " (١) . في هذه الأسطر القليلة يحاول المنصور أن يقلّل من شـــأن الانتساب إلى المرأة ،وذلك ليثبت في المقابل حق العباسيين في الخلافـــة لصلتهم بالعباس عمّ الرسول عليه الســـلام .

ويبدو اختيار الألفاظ واضحا في رسالة المنصور ،ولو أن السجع الـــذى ورد في عبارات الرسالة غير مستثقل ولا مستكره ، لأن جلّ اعتماد المنصور فـــي دحض حجة خصمه كان على الشرع وقواعد الدين أكثرمن أىّ عنصر آخـــر .

والجدير بالذكر أن خلفاء بني العباس الأوائل كانوا يهتمون بالرسائـــل الديوانية ويتولون بأنفسهم الرد على الرسائل التي يرون لها أهمية خاصـــة . ولكن بعد أن اتسع الملك ، أنشيء ديوان لهذا النوع من الرسائل ،وكـــان هذا الديوان يضم أبرع الكتّاب في المعتـــاد .

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، ص ٥٦٨ . انظر كذلك : العقـــد الفريد ، ج ٥ ، ص ٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تستعمل النساء وسائل أخرى غير مضمون الجمل والعبارات من أجل الاستثارة والتأثير . فها هي امرأة ترسل إلى الرشيد رسالة وضعت معها ضفائرها وخاطبته قائلة : " إني امرأة من أهل البيوتات من العرب ، بلغني ما فعل الروم بالمسلمات وسمعت تحريضك الناس على الغزو وترغيبك في ذلك ، فعمدت إلى أكرم شيء من بدني ، وهما ذوائبتاي ، فقطعتهما وضررتهما في هذه الخرقة ، وأنا أنشدك بالله العظيم لما جعلتهما قيد فرس غاز في سبيل الله ، فلعل الله العظيم أن ينظر إليّ على تلك الحال نظرة فيرحمني بها "(١). لقد عبّرت هذه المرأة عن غرضها بإيجاز وبلغة واضحة للغاية ، خالية من أيّما زخرفة بيانية ، ذلك لأنها لم تقصد إلى إبراز براعة في القول ، وإنما عمدت إلى الإفصاح عمّا يختلج في صدرها من أحاسيس .

وهذه رسالة شفوية تتضمن مجموعة من الوصايا تقدمها زبيدة زوج الرشيد لعليّ بن عيسى قبل خروجه لقتال عبد الله المأمون ، قالت فيها : " إن أمير المؤمنين ، وإن كان ولدي وإليه انتهت شفقتي ، فإني على عبد الله منعطفة مشفقة ، لما يحدث عليه من مكروه وأذى ، فاعرف لعبد الله حق ولادته وأخوّته ، ولا تجبهه بالكلام ، فانك لست له بنظير ولا تقتسره إقتسارَ العبيد ولا توهنه بقيد ولا غلّ ، ولا تمنع عنه جارية ولا خادما ، ولا تعنف عليه في السير ، ولا تساوه في المسير ، ولا تركب قبله ، وخذ بركابه ، وإن شتمك فاحتمل منه . ثم دفعت إليه قيدا من فضّة ، وقالت : إن صار إليك فقيّده بهذا القيد ".(٢)

ولا يخفى ما في هذه الوصايا من حكمة ورصانة واتّزان ، ومن حنكة ورجاحة عقل ، ثم من قدرة على تأكيد القصد والمراد بتناول الموضوع من أطرافه المختلفة ، والوصول إلى الغرض عن طريق تكرار مدلول الفحوى دون تكرار الألفاظ .

---

(١) صفوة الصفوة ، ج ٣ ، ص ١٧٠ .
(٢) الكامل في التاريخ ، ج ٦ ، ص ٢٤٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرسائل الاخوانية :-

ونعني بها تلك الرسائل التي يتبادلها الأصدقاء والإخوان في الأغراض المختلفة ، والتي تصوّر موضوعاتها العلاقات الإنسانية والاجتماعية بين الأفراد . وقد تنوعت موضوعاتها نظرا لتشعب أمور الحياة في المجتمع العباسي وشاركت الشعر في التعبير عن الأحاسيس والعواطف . وقد اتّسمت هذه الرسائل باليسر والسهولة والجمال الفني والامتاع وسأحاول أن أصنّف هذه الرسائل الاخوانية حسب موضوعاتها على الرغم من أن هذا التصنيف لا يمكن أن يكون دقيقا ، لأن التداخل في موضوعات هذه الرسائل أمر لا بدّ منه . ولعلّ أهم ما يميّز هذا النوع من الرسائل كما يدل على ذلك اسمها ، تصويره لعواطف المودّة المتبادلة بين الأحبّة والأصدقاء ومن أشيع موضوعاتها موضوع " التهنئة " بحدث مبهج سعيد ، كما في الرسالة التي حرّرها ابن المقفّع الى أحد إخوانه يهنّئه فيها بمولودته الجديدة والتي قال فيها : " بارك الله لكم في الإبنة المستفادة ، وجعلها لكم زينا ، وأجرى لكم بها خيرا ، فلا تكرهها ، فانهنّ الأمّهات ، والأخوات ، والعمات والخالات ، ومنهنّ الباقيات الصالحات ، وربّ غلام ساء أهله بعد مسرّتهم ، وربّ جارية فرّحت أهلها بعد مساءتهم " (١) ، ونستبين من الرسالة ظاهرة تفضيل الذكور على الإناث التي كانت سائدة في المجتمع ، حتى ان الرسالة امتزجت فيها التهنئة بالمواساة كما هو ظاهر في نصّها .

وإذ يلحظ القارىء انسيابية اللغة في رسالة ابن المقفّع ووضوح العبارة ، فإنه لا يفوته كذلك أن يلحظ عناصر الموازاة والمقابلة والسجع التي احتوتها الرسالة ، واستفادة الكاتب في بعض عباراته من اللغة والمعاني القرآنية ، وذلك حين اقتبس جزءا من ألفاظ الآية الكريمة :" المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربّك ثوابا وخير أملا " (٢) .

---

(١) رسائل البلغاء ، ص ١٣٦ .
(٢) سورة الكهف ، آية : ٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما رسالة زبيدة إلى المأمون بعد توليه الخلافة ، والتي بعثت بها مشافهة دون أن تخطها ، فقد امتزج فيها الألم بالتهنئة كما يتبين من قولها : " أهنئك بخلافة ، قد هنأت نفسي بها عنك قبل أن أراك . ولئن كنت قد فقدت خليفة ، لقد عوضت ابنا خليفة لم ألده . وما خسر من اعتاض مثلك ، ولا ثكلت أم ملأت يدها منك ، وأنا أسأل الله أجرا على ما أخذ وامتاعا بما عوض " (١) . ولا ريب أن زبيدة قد أحسنت اختيار عباراتها في ظروف مؤلمة كانت تمر بها ، إذ إن تولي المأمون الخلافة ، قد كان بعد أن قتل ولدها الأمين في خضم الصراع الذى ثار بين الأخوين بعد وفاة والدهما الرشيد . فهي قد تلطفت في تذكير المأمون بمقتل ولدها الأمين ، وفي التعبير عن حزنها على ولدها . وقد تأثر المأمون بهذه الرسالة وعقب عليها بقوله : " وماذا أبقت في هذا الكلام لبلغاء الرجال ؟! " (٢)

وكثيرا ما مزجت التهنئة بالعزاء ، إذ تقدم التهنئة للخليفة الجديد ، ويقدم له في الوقت نفسه العزاء بوفاة الخليفة السابق . ومن أمثلة ذلك ما هنأت به إمرأة المنصور بالخلافة ، وعزته فيها بأخيه المتوفى ، إذ قالت : " عظم الله أجرك ، فلا مصيبة أعظم من مصيبتك ، ولا عوض أعظم من خلافتك " (٣) .

ومثلما كتبت رسائل كثيرة في التهنئة ، كتبت رسائل كثيرة في المناسبات الحزينة من أجل المواساة . ومن هذه رسالة شفوية أرسلها المأمون يعزي فيها أم ذي الرياستين ، بعد وفاة ولدها ، ويبدي فيها استعداده لأن يقوم مقام ولدها الذي فقدته . وقد كان رد الوالدة الثكلى على الخليفة غاية في الايجاز والبلاغة وحسن التخير للألفاظ ، إذ قالت في ردها عليه : " يا أمير المؤمنين كيف لا أحزن على ولد أكسبني ولدا مثلك ؟ ! " (٤) .

---

(١) زهر الآداب ، ج ١ ، ص ٩١ - ٩٢ .
(٢) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .
(٣) البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٢٨٥ .
(٤) مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٤٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد نشأ عن نكبة الرشيد للبرامكة أدب مؤثر ، تمثّل في رسائل الاستعطاف التي كانت توجّه إلى الخليفة ، وكذلك في المحاورات التي جرت إثر تلك النكبة ومن هذه المحاورات المؤثرة ذلك الحوار الذى دار بين زوج يحيى البرمكي والرشيد في محاولة منها لأن تستعطفه ليفك أسر زوجها . فقد بدأت حوارها بسؤال يتجاوز الاستفهام إلى الإنكار ، إذ ذكّرته برعايتها له مذ كان طفلا صغيرا ، وذلك إذ تقول : " يا أمير المؤمنين . أيعدو علينا الزمان ، ويجفونا خوفا لك الأعوان ، ويحردك عنّا البهتان ، وقد ربّيتك في حجري ، وأخذت برضاعك الأمان من عدوي ودهري ؟ " . ثم تسهب في وصف إخلاص زوجها للرشيد محاولة أن تثير عاطفة الشفقة فيه ، وذلك بتذكيره بما كان بينهما من رابطة ومودّة فتقول : " ظئرك يحيى وأبوك بعد أبيك ، ولا أصفه بأكثر مما عرفه به أمير المؤمنين من نصيحته ، وإشفاقه عليه وتعرّضه للحتف في شأن موسى أخيه ؟! " .

وإذ لم يستجب الرشيد لطلبها ، تستعين بالقرآن الكريم لتقنع الرشيد بأن عفوه عن زوجها سيكون ثوابه عند الله عزّ وجلّ ، فتقتبس الآية الكريمة : " والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين "(١) . وتستعين كذلك بالحديث النبوى الشريف فتقول : " قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : " من ترك لله ، لم يوجده الله فقده " ، ثم تضمّن حوارها بيتا من الشعر ردّا على بيت أورده الرشيد حين قال :-

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد
إليه بوجه آخر الدهر تقبل

فتقول : ستقطع في الدنيا اذا ما قطعتني
يمينك فانظر أيّ كف تبدّل(٢)

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ١٣٤ .
(٢) العقد الفريد ، ج ٥ ، ص ٦٢ - ٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويستمر حوارها مع الرشيد ، مسهبا بليغا مؤثرا ، دالاً على سعة معرفة وقدرة على الأبانة البليغة التي استنزلت دموع الرشيد ودموع من شهد ذلك الحوار واستمع إليه .

وهذه امرأة ترثي جعفراً بأسلوب عاطفي رقيق ، فتعدّد مناقبه وتقول : " أما والله لئن أصبحت للناس آية ، لقد بلغت بالكرم الغاية ، ولئن زال ملكك وخانك دهرك ولم يطل به عمرك ، لقد كنت المغبوط بالا يحسن بك الملك ، فاستعظم الناس فقدك ، إذ لم يستخلفوا ملكا بعدك " (١) . ثم تنهي رثاءها بدعاء إلى الله العليّ القدير أن يمنحها الصبر على ما ابتليت به ، وتتبعه بأبيات شعرية مناسبة ، بعد هذا النثر الذي اجتمعت له عناصر الوضوح والتقابل والتوازن والتنغيم الناشيء عن تواؤم الحروف والكلمات .

ومن هذا أيضا برمكية تقتحم على الرشيد مجلسه ، فتفرغ ما يعتمل في نفسها من مشاعر الألم ، بأسلوب لا يكاد يدينها ، إذ إنها تلجأ إلى التورية فيما قالته كما يتبيّن من عباراتها التالية : " يا أمير المؤمنين ، أقرّ الله عينك ، وفرّحك بما آتاك ! وأتمّ سعدك ، لقد حكمت فقسطت " . فقال لها الرشيد : " من تكونين أيتها المرأة ؟ " فقالت : من آل برمك ، ممن قتلت رجالهم ، وأخذت أموالهم ، وسلبت نوالهم " (٢) . ولقد عرف الرشيد بذكائه ما رمت إليه هذه المرأة (٣) . على الرغم من أن عباراتها تبدو لأول وهلة مما لا يريب ، إذ ان مراميها تحتاج إلى معرفة دقيقة باللغة وإلى ثقافة قرآنية ، تربط ما بين العبارة المورودة ، ونظيرتها في القرآن الكريم .

ومن موضوعات النثر الفني المتصلة بالمرأة في العراق خلال الفترة الخاصة بهذه الدراسة الرسائل القصيرة التي تدعو إلى لقاءات يقصد منها اللهو والمسامرة ،

---

(١) الذهب المسبوك ، ص ١٥٠ - ١٥١ .
(٢) المختار من الذيل الثاني لكتاب الأوراق ، ص ١٣٧ - ١٣٨ .
(٣) انظر : الفصل الثالث ، أدب الجزائر ، ص ١٦٦ - ١٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كرسالة سعيد بن حميد إلى الجارية فضل وقد جاء فيها :" إن هذا يوم لا يتمّ سروره إلاّ بك وبحضورك "(١) . والرسالة في قصرها شبيهة بالتوقيعات التي تشتمل على عبارات قصيرة مكثّفة .

وقد أكثروا من إرسال الهدايا مع الرسائل التي كانوا يبعثون بها إلى الأصدقاء أو الوزراء في المناسبات المختلفة . وكانت هذه الرسائل متنوعة من حيث أسلوب الكتابة فيها ،فبعضها كانت مادته شعرية،وبعضها الآخر كانت نثرا . فهذه إحدى الجواري ترسل إلى المأمون تفاحة وترفقها برسالة مطوّلة تسهب فيها في وصف التفاح ، وتتأنق في اختيار ألفاظها ،فتستخدم ألوانا من البديع وتكثر من السجع وذلك إذ تقول في جزء منها :" إني يا أمير المؤمنين ،لمّا رأيت تنافس الرعيّة في الهدايا إليك ،وتواتر ألطافهم عليك ،فكرت في هدية تخف مؤونتها ، وتهون كلفتها ،ويعظم خطرها ". ثم تطنب في تعداد محاسن التفاح ، وتدعم ما تقوله بآراء الآخرين فيه ،من أمثال أرسطا طاليس وإبراهيم ابن هانئ . وتضمن رسالتها أبياتا لطيفة من الشعر"(٢) . والناظر في رسالة هذه الجارية يلحظ فيها إضافة إلى رقّة اللفظ ودقّة الوصف والبراعة فيه ، ثقافة لها دلالة على ما كانت عليه بعض الجواري من صلة بثقافة العصر ومعارفه المتنوّعة .

ومن الجواري من كانت تكتفي بأبيات شعرية تبعث بها مع هديّتها لتعبّر عن مشاعرها نحو المهدى إليه . من هذا أترجة عنبر أرسلتها إحدى الجواري إلى المأمون مكتوب عليها بماء الذهب :-

تعالج من هويت بفصد عرق
فأضحى السقمُ في خلع الضلوعِ
وجاءت تحفة الأحباب تسعى
بورد فائض فيض الدموعِ(٣)

---

(١) المحاسن والأضداد ، ص ١٥٢ - ١٥٣ .
(٢) العقد الفريد ،ج ٦ ،ص ٢٨٧ .
(٣) المحاسن والأضداد ، ص ٢٨٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن ذلك أيضا أبيات شعرية اختارتها الخيزران وأرسلتها إلى المهدي برفقة جام بلّور فيه شراب اختارته له مع إحدى الجواري ،وقد ضمنت رسالتها دعوة المهدي لزيارتها ،فكتبت على الجام :-

إذا خرج الإمام من الدواء
وأعقب بالسلامة والشفاء
وأصلح حاله من بعد شرب
بهذا الجام من هذا الطلاء
فينعم للتي قد أنفذته
إليه بزورة بعد العشاء (١)

وقد تخطّ الجواري رسائل شوق ومحبّة إلى من يحبّين ، كالرسالة التالية : " أما بعد ،فهذا كتاب من لياليها في نحيب ،ونهارها في تعذيب ،لا تركن ولا تصغي إلى سائل ،ولو شرحت بعض ما عندها للفسيح لضاق ، وما وسعته الأوراق ، ولكن أسأل الله الكريم الخلاّق ،أن يمنّ علينا بالتلاق "(٢) .والتأنق اللفظي واضح في هذه الرسالة ،وكذلك القدرة على الإبانة عن عميق الأحاسيس والمشاعر .

وكثيرا ما كانت الرسائل تحتوي العتاب العذب الرقيق ، أو العتاب الشديد المعبّر عن حرقة وألم ،مصدرهما حرص المحبّ على من يحبّ . ومن أنواع العتاب الذى يدلّ على رهافة الحسّ ورقّة الشعور ،هذا العتاب الذي وجّهته إلى الواثق جارية من جواريه ،إذ تقول له :" إن كنت تستطيل بعزّ الخلافة فأنا أدلّ بعزّ الحب . أتراك لم تسمع بخليفة عشق قبلك قط ،فاستوفى من معشوقه حقّه ؟ ولكنّي لا أرى لي نظيرا في طاعتك " (٣) . وقد يعنف العتاب كما في

---

(١) المستظرف في كل فن مستظرف ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ .
(٢) إعلام الناس ، ص ٧٤ .
(٣) الأغاني ، ج ٨ ، ص ٣٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرسالة التي وجّهتها الجارية عَرِيب إلى ابن المدبّر تعاتبه فيها على أمـــر أغضبها منه فتقول :" وهب لنا بقاءك ممتعا بالنعم . ما زلت أمسي في ذكرك ، فمرة بمدحك ، ومرة بشكرك ، ومرة بأكلك وذكرك لونا لونا . اجمد ذنبك الآن ، وهات حجج الكتّاب ونفاقهم ". ثم تقول :" ارفع حسبانك إلينا ولا تخطـــرف فتحوجنا إلى كشفك ،والبحث عنك وعن حالك وقل الحق ، فمن صدق نجـــا ، وما أحوجك إلى تأديب ، والحق أقول ، إنه يعتريك كزاز شديد يجوز حدّ البرد ، وإن عدت سمعت أكثر من هذا والســـلام " (١) .

والطريف في هذه الرسالة ، أن كاتبتها تفصح عمّا كان يظنّ في كتّـــاب العصر من جنوح إلى إيراد الحجج والبراهين التي لا تنبئ عن صدق ،ولا تقوم على أساس مقبول . وقد ينعكس الأمر حين تكون الرسالة صادرة عن رجل إلـــى إمرأة ، كما في رسالة علي بن هشام إلى جاريته متيّم بعد أن تمادت في هجرهـــا له . وقد جاء في هذه الرسالة :" الاملال يدعو إلى الملال ،وربّ هجر دعـــا إلى صبر ، وإنما سمي القلب قلبا لتقلّبه ،وقد صدق العباس بن الأحنـــف حيث يقـــول :-

ما أراني الا سأهجر من ليس يراني أقوى على الهجران
ملّني واثقا بحسن وفائي ما أضرّ الوفاءَ بالانسان (٢)

ومن الرسائل ما كان مسهبا كما توحي بذلك عبارة عَرِيب الموجّهة إلـــى محمد بن حامد ،والتي تقول فيها :" فإذا كان الغد ،فاكتب لي بعتابك فـــي طومار ، حتّى أكتب اليك بعذري في ثلاثة " (٣) . على أن الايجاز البليـــغ كان لا يقدر عليه إلاّ المتمكّنون من فن الكتابة . وقد يبالغ فيه كثيرا حتى تصبح الرسالة مستغلقة لا تكاد تفهم ، وكأنها أحجية لا رسالة . ومن هذا النمـــط ،

(١) الأغانـي ، ج ٢٢ ، ص ١٧٢ - ١٧٣ .
(٢) المصدر نفسه ،ج ٧ ،ص ٢٨٥ .
(٣) المصدر نفسه ، ج ٢١ ، ص ٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رسالة قيل إن جارية لطاهر بن الحسين هي التي حلّت رمزها ، إذ لم تكن تحتوي في متنها إلاّ كلمة " سلام " ، وكتب في حاشيتها كلمتا " يا موسى " . وحين عجز طاهر بن الحسين عن فهم الرسالة ، أخبرته جاريته أن المرسل أراد أن ينقل له فحوى قول الله تعالى في الحديث عن النبي موسى عليه السلام: "إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك"[1] (٢) . ومن هذه الرسائل الموجزة كذلك ، رسالة الجارية عَرِيب التي ردّت بها على دعوة مجموعة من الأدباء حين دعوها إلى زيارتهم إذ قالت في رسالتها :- " أردت ولولا ولعلّي " . ففهم مرادها إبراهيم بن المدبر بالأسلوب نفسه (٣) .

وهاهي الجارية مصابيح تردّ على رسالة اعتذار وصلتها من أحدهم يدعو فيها على نفسه إن صحّ ما وصلها عنه . فتعبّر عن عدم اقتناعها بالأدلّة المقدّمة ، وتدعو عليه ، إذ وقعت على الرسالة نفسها بثلاث كلمات هي : " على الظالم آمين " (٤) .

والجدير بالذكر أن الرسائل الشعرية بقيت متداولة في العصر العباسي ، ومن هذه الرسالة الشعريّة التي أرسلها علي بن هشام إلى الجارية متيّم يعتذر فيها عن ضربه إياها ، فيقول :-

فليت يدي بانت غداة مددتها
إليك ولم ترجع بكفٍ وساعدِ
فإن يرجع الرحمنُ ما كان بيننا
فلستُ إلى يوم التنادِ بعائدِ (٥)

---

(١) سورة القصص، آية : ٢٠ .
(٢) الظراف والمتماجنين ، ص ١٤٨ - ١٤٩ .
(٣) الأصفهاني ، الأغاني ، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م ، تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج ، دار الثقافة ، بيروت ، ج ٢١ ، ص ٩٠ .
(٤) الديارات ، ص ٦٧ .
(٥) نهاية الأرب ، ج ٥ ، ص ٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعبّر المهدي عن شوقه للخيزران ،فيكتب إليها رسالة شعرية ، فترد عليه قائلة :-

قد أتانا الذى وصفت من الشو ق فكدنا وما فعلنا نطيرُ
ليت أن الرياح يؤدّين إليكم ما قد يجنّ الضميرُ
لم أزل صبّةً فإن كنت بعدي في سرور فدام ذاك السرورُ (١)

أما التوقيعات ، فهي أقوال موجزة بليغة ،تصدر عن أناس بلغاء ، ويقصد بها التعليق على الرسائل بقول بليغ ،كآية قرآنية ،أو قول محكم من إنشاء الكاتب . وفي هذا العصر ،ولع الأدباء بالتوقيعات ،وسطّرت أقلامهم عبارات بليغة تتجاوز مدلولاتها عدد كلماتها . ومن أمثلة ذلك ،وما وقّع به الرشيد على ظهر أبيات شعرية نظمها أحد شعراء البرامكة يستعطف فيها الرشيد من أجل أولئك الناس . وقد جاء في التوقيع :" عظم ذنبك ،أمات خواطر العفو عنك " (٢) .

وقد شاركت المرأة في هذه التوقيعات كما يتبيّن مما ذكره الجاحظ في " البيان والتبيين " من أن أم جعفر كانت ممن أثر عنهن توقيعات بليغة .

وقد حفظت لنا المصادر توقيعات بليغة لنساء أخريات . ومن هؤلاء " الخيزران " ، التي وقّعت بالعبارة التالية على رسالة أرسلها عمران بن مهران يكثر فيها من إطراء نفسه :" قد وصل كتابك تذكر وتذكر ،فلا تستكثرنّ شيئا يكون منك ،واستدم أحسن ما أنت عليه ، يدم أحسن ما عندي لك ،واعلم أنه قلّ شيء لم يزد إلاّ نقص ،والنقصان يمحق الكثير ،كما ينمي على الزيادة" (٣) .وقد يؤخذ على عبارة الخيزران أنها لم تكن في الصيغة الموجزة التي تكون عليها التوقيعات في المعتاد .

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس، المجلد الثاني من القسم الأول ،ص٨١٩ .
(٢) العقد الفريد ،ج ٥ ، ص ٦٥ .
(٣) الوزراء والكتّاب ، ص ٢٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المناظـــــــرات :-

من الفنون التي شاعت في العصر العباسي ، المناظرات . التـــــي يقدّم فيها كل من المتحاورين الأدلّة والبراهين لإقامة حجته وإثبات دعوته . ومن هذه المناظرات مناظرة للجاحظ عقدها بين صاحب الجواري وصاحب الغلمـــان وقد بدأها صاحب الغلمان محاولا تفضيل الغلام على الجارية ، ولكن صاحـــب الجواري يردّ عليه مقدما الحجّة تلو الحجّة لاثبات مقولته ، فيستمد من الحديث النبوي الشريف كقوله عليه الصلاة والسلام :" تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم" ، كمـــا يستمد من الأخبار الماضية :" لم نسمع بعاشق قتله حبّ غلام ، ونحن نعـــدّ من الشعراء خاصة الاسلاميين جماعة ، منهم جميل بن معمر ، قتله حب بثينـــة ، وكثيّر ، قتله حبّ عزّة ، وعروة بن حزام ، قتله حبّ عفراء ، ومجنون بني عامـــر هيّمته ليلى ، وقيس بن ذريح ، قتلته لبنى ، وعبد الله بن عجلان ، قتلته هنـــد ، والنمر بن ضرار قتلته جُمـــل . هؤلاء من أحصينا ومن لم نذكر أكثر" (١) . ويستمر الجدال ، وتتوالى الأدلّة المنوّعة ، ونلمس من نهاية المناظرة رفض الجاحظ لظاهرة التعلّق بالغلمان ، إذ ينهى المناظرة على لسان صاحب الجواري فيقول :"ولـولا خوف الملال والسآمة على الناظر في هذا الكتاب ، لقلنا في الاحتجاج عليـــك بما لا يدفعه من كانت به مسكة عقل ، أو له معرفة . وفيما قلنا ما أقنع وكفـــى. وبالله الثقـــة " (٢) .

وفي هذه المناظرة يعرض الجاحظ لما تشبّه به المرأة في الشعر والنثـــر ويعلن رفضه لهذه التشبيهات ، لأن المرأة كما يرى أجمل من كل مـــا شبّهـت بـــه .

---

(١) الجواري والغلمـــان ، ص ١٠٤ - ١٠٥ .
(٢) المصدر نفســـه ، ص ١٢٣ - ١٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي عرض الجاحظ لقضية المرأة ، نشهد ما عوّدنا عليه هذا الكاتب المعتزلي الذّكيّ من حسن تخيّر الحجج والبراهين، ومن معالم الموسوعيّة الثقافية،والتحكّم بمفردات اللغة وعباراتها ، إضافة إلى تغلغل عميق في قضايا المجتمع الذى عاش فيه ، وتفهّم لهذه القضايا وقدرة فريدة على التعبير عنها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أقـــوال المـــرأة :-

صدرت عن المرأة أقوال نثرية في مناسبات معيّنة ، كانت موضع اعجاب ممن سمعوها من بلغاء الرجال . وقد يكون من الملائم هنا أن ألقي الضوء على نمط معين من أنماط النساء في العصر الذى تعنى به هذه الدراسة ،وهو نمـــط المرأة المتعبّدة . ففي مقابل تيار المجون الذى وجد في المجتمع العباســي ، نجد تيارا مقابلا هو تيار الزهد والتعبّد ممثلا بأولئك الناس الذين رأوا أن الدنيا دار فناء ومتاع زائل ،فأعرضوا عنها ،واتجهوا إلى الدار الباقية ،وعبّروا عن عواطفهم ومشاعرهم بقطع أدبية جميلة مؤثـــرة .

ولطبيعة هذه الدراسة ،فإن من يعنينا من هؤلاء الزهاد المتعبّديـن فئة من النساء ،وعلى رأس هؤلاء الزاهدة المعروفة رابعة العدويّة . والمتأمـل في ما صدر عن هؤلاء النسوة من أقوال ،يرى أنها تتركز على الزراية بالحيـاة الدنيا ومتعها . فها هي رابعة العدوية تنكر على سفيان الثوري طلبه السلامة ، وذلك حين سمعته يقول :" اللهمّ اني أسألك السلامة ". فقد بكت ثم قالـت: " أما علمت أن السلامة من الدنيا ترك ما فيها ،فكيف وأنت متلطّخ بها ؟!"(١) .

وهذه أم حسان الأسدية تعلن عن رفضها لمتاع الدنيا برفضها طلـب المساعدة المالية من أي انسان . وقد عبّرت عن ذلك قائلة :" تأمرني أن أسـأل الدنيا من لا يملكها ؟ !"(٢) . وتمتنع مريم البصرية عن الجرى وراء الرزق لإيمانها العميق بقوله عزّ وجل :" وفي السماء رزقكم وما توعـدون "(٣) .

وغير خاف ما للقرآن الكريم والسنّة النبوية من أثر على تفكير هؤلاء العابدات وطرائق تعبيرهن . ومن طرائق التعبير هذه المناجاة . فها هي رابعة العدوية

---

(١) صفوة الصفوة ، ج ٤ ، ص ١٨ .
(٢) أحكام النساء ، ص ١٤٣ ، انظر كذلك : صفوة الصفوة ،ج ٤ ،ص ٣٠ .
(٣) صفوة الصفوة ،ج ٤ ، ص ١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تناجي الخالق قائلة :" إلهي ! نارت النجوم ، ونامت العيون ، وغلقت الملوك أبوابها ، وخلا كل حبيب بحبيبه ، وهذا مقامي بين يديك ! ثم تقبل على صلاتها ، فإذا كان وقت السحر وطلوع الفجر قالت : إلهي ! هذا الليل قد أدبر ، وهذا النهار قد أسفر ، فهل قبلت مني ليلتي فأهنأ ، أم رددتها عليّ فأعزّى ؟ فوعزتك ، هذا دأبي ما أحييتني وأعنتني " (١) .

وقد انصرفت هؤلاء النسوة بجميع عواطفهنّ إلى حبّ بارىء الكون من أجل نيل الرضا ، والإحساس بالطمأنينة النفسيّة . تقول أم حسّان الأسدية :" يا سفيان والله ما أحسب أن يأتي عليّ وقت وأنا متشاغلة فيه عن الله بغير الله " (٢) . وتقول رابعة :" وعزّتك لو طردتني عن بابك ما برحت عنه لما وقع في قلبي من محبّتك".(٣) وقد عمدت هؤلاء الزاهدات إلى الرمز في التعبير عن عواطفهن وأحاسيسهنّ كما فعلت رابعة العدويّة ومثيلاتها من المتبتّلات المتعبّدات .

وأستطيع القول من خلال النصوص التي طالعتها أن النثر المتعلق بالمرأة في هذه الفترة (١٣٢ - ٢٤٧هـ) وفي رقعة جغرافية محددة هي العراق قد صوّر المرأة تصويرا واقعيا صادقا ، وحدّد موقعها في المجتمع العباسي ، ومن الأمور الطبيعية أن تتباين أساليب هذا النثر بتباين أصحابه وموضوعاته إذ إن من من البديهيّ أن أساليب الأدباء في التعبير ليست متشابهة ، فمنهم من يوجز ومنهم من يطنب ، ومنهم من يتأنّق في اللفظ ، ومنهم من يتعمّق في المعنى .

وثمة نفر منهم يوائم بين ألفاظه ومعانيه . إلاّ أن هناك سمات عامة امتاز بها أدباء العصر في حديثهم ، إذ يغلب على هذا الحديث رقّة اللفظ ويسر

---

(١) الروض الفائق ، ص ١٣٧ .
(٢) أحكام النساء ، ص ١٤٣ .
(٣) الروض الفائق ، ص ١٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التعبير والبعد عن الغريب وحلاوة الجرس والإستعانة بالمأثور من الكلام يستمد من مصادره المختلفة . وأثر الثقافة الاسلامية واضح كل الوضوح في هذا النثر ،مثلما أن معالم من فلسفة اليونان والمنطق لا تخفى على قارىء هذا النثر ،ولا سيّما حين يتّسم هذا النثر بالنقاش والحوار وابداء وجهات النظر المختلفة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمـــــــة

وجدت في العراق خلال الفترة التي تعنى بها هذه الدراسة ، الحرائـــــر والجواري من النساء . وكانت للمرأة الحرّة مكانة مرموقة وكلمة مسموعة في المجتمع العراقـي مكّنتها من أن تؤثر في مجريات الأحداث الكبار في الدولـــــة .

على سبيل المثال نفوذ الخيزران في عهد زوجها المهدي وولديها الهادي والرشيد وكذلك دور زبيدة الفعّال في عهد زوجها الرشيد . ونقرأ عن احترام المأمون لآراء زينـب بنت سليمان واحترامه لرغباتها حتى في مجال سياسة الدولة . ونجد المرأة العبّاسيـــة مساهمة في ميادين الثقافة والأدب ، إذ نبغ عدد كبير من النساء في المجتمع العباســي في ميدان الأدب والفصاحة والبيان ، وشهد لهنّ بذلك كبار الأدباء في زمنهنّ . وقـــد لاحظت أنّ دور الجارية في الأدب كان أوضح من دور الحرّة وذلك لأن الجارية كانـــت تجد في الثقافة والتعلّم وسيلة لرفع شأنها وتسهيل دخولها في مختلف طبقات المجتمـع في حين أن الحرّة قد ترى أنها مكتفية بمكانتها الاجتماعية بحكم وضعها ونسبهـــا ، ولا تحتاج إلى وسائل اضافية لكي ترفع من شأنها بين الناس ، وإن كان هذا القـــول لا يمكن أن يكون شموليّا ينطبق على كل حالة من الحـــالات .

ونستطيع القول إن أثر الجارية في المجتمع العباسي كان متباينا ، إذ فيه نـواح إيجابية وأخرى سلبية . فعلى الرغم من إشاعة بعض الجواري المجون في ذلك المجتمـع إلاّ أنهن بصورة عامة قد أشعن فيه كذلك الرقة و البهجة والأنس تستوي في ذلـــك القصور التي ضمتهنّ ومجالس الأدب والطرب ، مما جعل نفرا من رجال العصر يتعلّـق بهنّ ، ويتأثر برقّتهن في سلوكه وعلاقاته وما يصدر عنه من قول في شعر أو نثر . ورغـم ما قيل عن شغف رجال العصر بهؤلاء الجواري إلاّ أن المصادر أثبتت أنهنّ لـــم يستطعن أن ينسين الرجل زوجته تماما . ولعل في جزع عيسى بن موسى من فـــراق زوجه خير دليل على ذلك . إضافة إلى أننا نلمس عواطف الحب التي حملها الرجـال لزوجاتهم متجلّية في الرسائل التي تبادلوها وإيّاهـــنّ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تكون أبرز صفة لنساء العصر اعتداد المرأة بنفسها وجرأتها اللتان مكّنتاها من التصدّي لكل من حاول النيل من كرامتها ، فنرى من الجواري من ترفض الزواج من الخلفاء ومن الحرائر من تعترض الخلفاء معبّرة عن رأيها دون تهيّب.

ونظرا لاختلاف مواطن الجواري الأصلية ، فقد تعدّدت طرق التجمّل وتنوّعت الأزياء النسائية ، وتأثرت المرأة العباسية بذلك كله ،سواء أكانت جارية أم حرّة ، فشاركت الحرائر في ابتكار الأزياء وأنماط التجمّل ، وفي مقدمة هؤلاء بعض الحرائر من نساء دار الخلافة ، مثل علّية بنت المهدي ، وزبيدة زوجة الرشيد .

وينبغي أن نذكر هنا أن الأخبار التي بين أيدينا تثبت أن الكثيرين ممن كتبوا عن الجواري في العصر العباسي لم ينصفوهن ، إذ أنهم اقتصروا على أخبار الجواري الماجنات في حين أنه كان من الجواري أنماط أخرى ذوات عفّة وخلق ووفاء وسلوك سويّ ، فضلا عن الآثار التي تركتها في فنون العصر ،ومنها فن الموسيقى والغناء . ولكنّ النمط الذى يختلف كلّيا عن نمط الجواري الماجنات هو نمط النساء الزاهدات، اللّواتي عزفن عن مغريات الحياة الكثيرة في عصرهنّ ، وانقطعن إلى الزهد والعبادة ، ونشدان رضا الله ومحبّته ،باعتبار هذه المحبّة غاية قصوى يسعى إليها من أنار الله قلبه وهداه السبيل السويّ ، ثم إنه لا يستطيع أي دارس أن يدّعي أن دراسته قد استوعبت أخبار حرائر المجتمع العباسي وجواريه ، ضمن من كانت لهن أخبار جديرة بأن تعرف وتدرس ويعقّب عليها وتستخلص منها النتائج ، لأن المصادر المعروفة لدينا حتى الآن عن المرأة العباسية ، ليست مستقصية أو مستوعبة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس الآيات الكريمة

	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
١.	" والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين "	آل عمران	١٣٤	١٦٨، ١٩٨
٢.	" حتى اذا فرحوا بما أتوا آخذناهم بغتة "	الأنعام	٤٤	١٦٧
٣.	" المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا "	الكهف	٤٦	١٩٦
٤.	"والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما"	الفرقان	٦٤	١٤٣
٥.	" ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك"	القصص	٢٠	٢٠٣
٦.	" يأيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور "	فاطر	٥	١٤٣
٧.	" وفي السماء رزقكم وما توعدون "	الذاريات	٢٢	١٤٢
٨.	" ولمن خاف مقام ربه جنتان"	الرحمن	٤٦	٩٦
٩.	" وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور"	الحديد	٢٠	١٤٣
١٠.	" وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا "	الجن	١٥	١٦٧

فهرس الاحاديث النبوية الشريفة

الحديث الشريف	الصفحة
١. " تزوجوا فاني مكاثر بكم الأمم "	٢٠٥
٢. " عليكم بقيام الليل، فانه دأب الصالحين قبلكم، وهو قربة الى ربكم، ومغفرة للسيئات، ومنهاة عن الاثم " .	١٤٣
٣. " من ترك لله، لم يوجده الله فقده "	١٩٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهـرس الأشعـار

حرف الهمزة

الشعـر	الصفحـة
الشفـاء	١٦١، ٢٠١
الطـلاء	١٦١، ٢٠١
العشـاء	١٦١، ٢٠١

حرف البـاء

أحـب	٥٦
المحبوبـا	٧١
نصيبـا	٧٢
الحبيـب	٧٢
خضـاب	٧٢
تغضّـب	١٤٩
وأقـرب	١٤٩
مذهـب	١٤٩
متعتّـب	١٥٤
متعـب	١٥٤
يتجنّـب	١٥٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعـــــر	الصفحـــــة
المطلـــــب	١٥٤
متعبـــــا	١٦٤
منصبـــــا	١٦٤
تفضّبـــــا	١٦٤
معجبـــــا	١٦٤
شـــــرب	١٦٤
مصلـــــوب	١٦٧
محســـــوب	١٦٧
الشـــــاب	١٦٩
الرّغـــــاب	١٦٩
حرف التـــــاء	
أطرقـــــت	٦٨
الملاقـــــات	٨٥
حرف الحـــــاء	
صبحـــــا	٩٤
جرحـــــا	٩٤
رمحـــــا	٩٤
قـــــزح	١٥٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعـــــر	الصفحـــــة
فـــــرح	١٥٧
جـــــرح	١٥٧

حرف الـــــدال

الأنْجـــــاد	٥٦
ساعـــــد	٢٠٣،٩٠
بعائـــــد	٢٠٣،٩٠
الخلـــــد	١٠٧
الشـــــداد	١٢٣
مـــــزاد	١٢٣
العبـــــاد	١٢٣
الجـــــواد	١٢٣
بالقصـــــد	١٣٦
بالسّعـــــد	١٣٦
رغـــــد	١٣٦
خالـــــد	١٤٥
المـــــوارد	١٤٥
المكايـــــد	١٤٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعـــــر	الصفحـــــة
صعيـــــد	١٥٣
عقـــــود	١٥٣
صيـــــود	١٥٣
همـــــود	١٥٣
بـــــدّ	١٥٩
ردّ	١٥٩
وجـــــود	١٦٦
مفقـــــود	١٦٦
الحـــــدود	١٦٦
السّعـــــود	١٦٦

حرف الـــــذال

نافـــــاذ	١٤٥
مـــــلاذا	١٤٩
رذاذا	١٤٩
مـــــاذا	١٤٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعـــــر	الصفحـــــة
حرف الـــــرّاء	
صابـــــر	٦٠
وتـــــر	٦٥
تذكـــــرة	١٠٧
معـــــذرة	١٠٧
الجوهـــــر	١٥٢
المنظـــــر	١٥٢
المقاصيـــــر	١٥٢
الزّنانيـــــر	١٥٢
الزّراريـــــر	١٥٢
نطيـــــر	١٦٢-٢٠٤
الضّميـــــر	١٦٢-٢٠٤
السّـــــرور	١٦٢-٢٠٤
منيـــــر	١٦٢
جعفـــــر	١٦٢
بمطهّـــــر	١٦٢
أعـــــور	١٦٢
مقـــــدّر	١٦٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعـــــر	الصفحـــــة
تعـــــار	١٦٣
حرف السيـــــن	
الكنائـــــس	١٣
المجالـــــس	١٣
الطّيالـــــس	١٣
بخامـــــس	١٤
التـــــرس	٦٣
العـــــرس	٦٣
الحـــــرس	٦٣
حرف الشيـــــن	
جيـــــش	١٤٧
الحبـــــش	١٤٨
بالعمـــــش	١٤٨
حبـــــش	١٤٨
حرف الصـــــاد	
خالـــــص	١٤٧
قوالـــــص	١٤٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعـــــر	الصفحـــــة
حرف العيـــــن	
الضّلـــــوع	١٠٧، ٢٠٠
الدّمـــــوع	١٠٧، ٢٠٠
تنفـــــع	١٦٨
أصنـــــع	١٧٩
حرف الفـــــاء	
يوصـــــف	٥٧
يعـــــرف	٥٧
حرف القـــــاف	
علـــــوق	١٤٧
نطـــــوق	١٤٧
المداعقـــــة	١٤٧
المزاعقـــــة	١٤٧
حرف الـــــلام	
الأجـــــل	٥٧
منفصـــــل	١٣٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعـــــر	الصفحـــــة
تصـــــل	١٣٨
الشبـــــل	١٥٥
بالفضـــــل	١٥٥
كالمهـــــل	١٥٥
الأعْمـــــال	١٦٨
تقبـــــل	١٩٨
تبـــــدّل	١٩٨
حرف الميـــــم	
الحكـــــم	٧٢
حرف النـــــون	
أحيانـــــا	٤٨
حلّبـــــان	٥٩
المعانـــــي	٥٩
الزّمـــــن	٧٢
للبـــــدن	٧٢
الهجـــــران	١٣٣، ٢٠٢
بالانســـــان	١٣٣، ٢٠٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعـــــر	الصفحـــــة
ثلاثينـــــا	١٤٩
عشرينـــــا	١٤٩
ثمانينـــــا	١٤٩
آمينـــــا	١٤٩
هيلانـــــا	١٥٢
كانـــــا	١٥٢
دنيانـــــا	١٥٢
مكـــــانِ	١٥٤
نذليـــــن	١٥٥
عشيقيـــــن	١٥٥
حرف اليـــــاء	
خـــــدّي	١٠٧
اعتمـــــادي	١٢٣
يكلمنـــــي	١٣٢
صالحنـــــي	١٣٢
صارحنـــــي	١٣٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعـــــــر	الصفحـــــــة
صارحنـــــــي	١٣٢
عصيانـــــــي	١٥٤
سلطانـــــــي	١٥٤
محبنـــــــري	١٦٢
أدوْرى	١٦٢
نقيّـــــــا	١٦٢
عليّـــــــا	١٦٢
ربّـــــــي	١٦٤
عموريّـــــــة	١٥١
بسموريّـــــــة	١٥١
واريـــــــة	١٥١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهـــــرس الاعـــــلام

حـرف الهمـــــزة

ابان بن عبد الحميد اللاحقـــــي : ٢٤، ١٤٦

ابراهيم الامـــــام : ١٨، ١٢٥

ابراهيم بن سيار بن هانئ البصرى (النظـــام) : ٢٦، ٤٢، ١٥٦

ابراهيم بن العباس الصولـــي : ٣٩

ابراهيم بن محمد البيهقـــي : ٣٣

ابراهيم بن المدبّـــر : ١٢٨، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ٢٠٢

ابراهيم بن المهـــدى : ٩، ١٦، ٣١، ٤٣، ٥٦، ٦١، ٦٦، ٧٠، ٨١، ٩٠، ٩١، ١٢٤، ١٤٥، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٣ .

ابراهيم الموصلـــــي : ٦٠، ٨١، ٨٦، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٦، ١٧٧، ١٨٣ .

ابراهيم بن هرمـــــة : ٥٧

ابراهيم اليزيـــــدى : ١٣٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأقـــــراط : ٢٠، ٢١

أم أبيهـــــا : ٥٨

أحمد بن اسماعيل الكاتـــــب : ١٠٤

أحمد بن اسماعيل المراكبـــــي : ٨٠

أحمد بن جعفر بن موسى بن برمـــك : ٥٦، ٦٦، ١٧٦، ١٨٠، (جحظة)

أحمد بن الحسيـــــن : ٩١

أحمد بن أبي خالـــــد : ١٠٣

أحمد بن سعيد المالكـــــي : ١٧٨

أحمد بن شاكـــــر : ٢١

أحمد بن صدقـــــة : ٦٨، ٧٥، ٨٨، ١٨٢

أحمد بن أبي طاهـــــر : ٧٦، ١٠٨، ١١٠، ١٥٥

أحمد بن أبي فنـــــن : ١٠٦

أحمد بن محمد الحريـــــرى : ٤٣، ٤٧، ٦٩، ٧٠

أحمد بن المدبّـــــر : ١٣٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأربلـــــي : ١٢١

أرسطو طاليـــــس : ١٩، ١٥٧

أزهر بن مروان : ١٧٠

اسحاق بن ابراهيـــم : ١٤

اسحاق بن ابراهيم الطاهـــرى : ٩٣

اسحاق بن ابراهيم الموصلـــي : ٣٧، ٣٩، ٤٩، ٥١، ٥٩، ٧٠، ٨١، ٩١، ١٤٥، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٨١.

اسحاق بن سليمـــان : ٢٥

ابن أبي أسعـــد : ١٦٥

أسماء بنت داوود : ١٠٨

أسماء بنت المنصـــور : ١٠٨

أسماء بنت المهـــدى : ٦٧، ٦٩، ٧٣، ١٦٣

اسماعيل بن بلبل (أبو صقر) : ١٧٩

اسماعيل بن صبيـــح : ٥٩

اسماعيل بن عيّـــاش : ٩٦

الافشيـــن : ١٣

اقليـــدس : ٢٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأمين : ٩، ٣٣، ٦٢، ٦٩، ٧١، ٨١، ١٠٢،
١٢١، ١٢٢، ١٢٤، ١٣٠، ١٤٦، ١٦٢،
١٦٥، ١٦٦، ١٧٥.

أبو أيوب الموريانـي : ٢٤

حرف الباء

البانوقة : ٧٠، ١٠١

بثينة : ٢٠٥

بختيشوع بن جبريل : ٨٧

بذل : ٨١، ٨٦، ٨٧، ١٣٤، ١٧٤، ١٧٦،
١٧٨، ١٧٩، ١٨٠.

برهان (جارية المتوكل) : ١٥٢

بشار بن برد : ٤٨، ٥٨، ٩٣، ٩٤، ١٥٣، ١٥٤.

بصبص : ١١٢

ابن البطريق : ٢٠

بطليموس : ٢١

بنانة (جارية الخيزران) : ٦٨

بنان العطّارة : ٧٨

بنان صاحبة الحسن بن وهب : ١٣٠، ١٣٣، ١٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بنان جارية المتوكل : ١٤٩

بوران : ١٣، ٥١، ٧٤، ١٢٤، ١٦٢

البيروني : ٩٩

حرف التاء

تحفة (جارية عَرِيب) : ٧٦

تركيّة : ١٢٧

أبو تمّام : ٩، ١١٠

التوحيدى : ١٢٢

حرف الجيم

جابر بن حيّان : ٢٨

جالينوس : ٢٠، ٢١، ٢٢

ابن جامع : ١٧٤، ١٧٧، ١٨١، ١٨٤

جبريل النّصراني : ٨٧

جرير : ١٤٧

أبو جعفر : ٧١

جعفر البرمكي : ٨، ١٣، ١٤، ١٦، ٢٤، ٧٩، ٨٠، ١٢٣، ١٥٦، ١٦٧، ١٨١، ١٩٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أم جعفر البرمكي : ٧٤
أبو جعفر بن الدهقانة : ٦١
جعفر بن سليمان : ١٧١
جعفر بن موسى : ٨
الجمّاز : ٧٣
جميع بن أبي فاضرة : ٥٢
جميل بن معمّر : ٢٠٥
الجهشياري : ١٢١، ١٣٠٨
جورجيس بن بختيشوع : ٢٧
ابن الجوزي : ١٢٦
جوهر صاحبة بشار : ١٥٤
جوهر جارية المهدي : ١٥٢

حرف الحاء

حاتم بن عدي : ١٣٠
الحارث بن بسخنر : ٩٠، ١٧٤، ١٧٥ .
حبابة : ١١٠
أبو حبش : ١٤٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحجّـــاج بن مطـر : ٢٠

حجـــل : ٢٠٥

الحجنـــاء : ١٦٥

أبو الحـــرث : ١٤

حدائق : ٧٢

أم حسّان الأسديـــة : ١٤٢، ١٤٤، ٢٠٧، ٢٠٨ .

أبو حسّان الزيادى : ١٢

حسنـــة : ١١١، ١٣٥، ١٣٦

حسنـــاء : ١٥٠

أبو الحسن الأسـدى : ٦٨

أبو الحسن الخليع الدمشقـــي : ٣٩، ٤١، ٤٣، ٤٦، ٤٩، ٦٥، ٦٨، ٧٣، ١٥٩ .

حسن السندوبـــي : ١١٥

الحسن بن سهـــل : ٧٤

الحسن بن شاكـــر : ٢١

الحسن العلـــوى : ٨٥

الحسن بن وهـــب : ١٥، ٧١، ١٣٠، ١٣٣، ١٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحسين بن الضحّاك بن ياسر المعروف بالخليع : ٣٤، ٣٥، ٣٧، ٣٨، ٤٠، ٤١، ٤٣، ٤٤، ٤٨، ٦٦، ٦٨، ٧٥، ٧٨، ١٤٧، ١٩٠.

الحسين بن يحيى : ١٨١

أبو حشيشة : ١٨٠

أبو حفص الشطرنجي : ١٦٤

الحكم الكندي (أبو الوليد) : ١٨

حكم الوادي : ٦٠

حمّاد بن اسحاق : ٣٦، ٥٣، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٧٨، ٩٢، ١٤٥، ١٦٤، ١٧٦.

حماد الراوية : ١١٣

ابن حمدون : ١٨٠

حمدونة : ١٢٧

حمدون بن اسماعيل : ١٣١

حمنة بنت عبد الله : ٤٣، ٦٥، ٦٦، ٦٩، ١٠٢، ١٣٩.

حمّوية : ٧٦، ١٢٧.

حنين بن اسحاق : ٢٠، ٢١، ٢٧

حيمونة : ١١١، ١٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حرف الخاء

خالد بن صفوان : ٣٠، ٣٢، ٣٣، ٣٦، ٣٨، ٤٠، ٤٣، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٥٢، ١٣٧، ١٣٨، ١٩٢ .

خالد بن يزيد الكاتب : ١٠٧

خالصة : ١٢٧

خديجة بنت خويلد : ١١٢، ١٩٤

خديجة بنت المأمون : ١٦٣، ١٨٣

خديجة زوجة يعقوب بن الفضل : ١٠٤

خشف : ١٨١

الخطيب البغدادي : ١٠

خنساء : ١٥٥

حرف الدال

ابن أبي داوود : ١١٠

دقاق جارية العباسة : ١٢٧، ١٧٤

دقاق (جارية) : ١٣٠

أبو دلامة : ١٣٩

دمن : ١٧٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دنانير جارية ابن كناسة : ١٥٨

دنانير جارية يحيى البرمكي : ١٧٨

حرف الذّال

ذات الخال : ٣٩، ٧٦، ١٢٧، ١٣٦ .

حرف الرّاء

رابعة العدويّة : ١١١، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ٢٠٧، ٢٠٨ .

رباح : ١٠٧

رباح القيسي : ١٧٠

الرّشيد : ٧، ٨، ١٤، ١٧، ١٨، ٢٠، ٢٤، ٢٧، ٣٤، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٨، ٥٤، ٥٥، ٥٧، ٥٨، ٦٢، ٦٥، ٦٧، ٦٨، ٧٣، ٧٤، ٧٦، ٨٦، ٩٦، ٩٩، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٧، ١١١، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٥، ١٤٨، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٧، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٦، ١٦٨، ١٨١، ١٨٣، ١٨٤، ١٩٥، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٤، ٢١٠ .

ابن الرومي : ١٥٥

ريطةبنت العبّاس : ٣٤، ٨٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ريطة بنت المنصور : ٩٧

ريطة بنت المهدى : ١٠٢

ريق : ٧٠، ٩١، ١٧٧، ١٨١

حرف الزّاى

زبيدة (أم جعفر) : ١٣، ٣٣، ٦٢، ٦٥، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٤، ٧٥، ٨٤، ٨٩، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٥، ١٤٨، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٩، ١٨٤، ١٩٥، ١٩٧، ٢١٠، ٢١١ .

ابن الزّبير (القاضي الرّشيد) : ٦٩، ٧٤، ٩٦، ٩٩، ١٠٠، ١٠٨ .

زرياب الكبرى : ٣١

زلزل : ٨٦، ١٧٦

ابن الزّيات : ٦٠، ١٧٥

زينب بنت سليمان : ١٠١، ١٠٣، ١٢٤، ٢١٠

زينب : ١٦٤

حرف السّين

سعيد بن حميد : ٩٢، ١٥٦، ٢٠٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سعيد بن وهب : ١٥٠

السّفاح : ٨، ١٣، ٣٠، ٣٢، ٣٣، ١١٨، ١٣٨، ١٩٢.

سفيان الثوري : ١٤١ — ١٤٢، ١٤٤، ١٧٠، ١٧١، ٢٠٧، ٢٠٨.

سفيان بن عيينة : ٩٦

سكّر : ١٢٧

سكن : ٦١، ٨٥

سكينة بنت الحسين : ٧٧

سلسل : ٣١

سلما : ٢٠

أم سلمة (زوج السّفاح : ١٣، ٧٤، ٩٥، ٩٧، ١١٨، ١٣٧، ١٣٨،

أبو سلمة الخلال : ٧، ٨

سليمان الأقمى : ١٢٣

سليمان بن علي : ٤٤

سهل بن هارون : ١٩

السندي بن شاهك : ١٠٤

سوّار بن عبد الملك الأكبر : ٩٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حرف الشين

شاربـــــة : ٣١، ٥٦، ٦١، ٨١، ٩٠، ٩٢، ١٦٣، ١٧٣، ١٧٦، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١ .

شجاع أم المتوكـــل : ٧٤، ٩٩

شجرة الدّر جارية المتوكـــل : ٦٩، ١٠٦

شريـــك : ٦١

شعـــب : ٧١

شكـــل : ٧١

شكلـــة : ١٣٩

شمائـــل : ١٠٦

حرف الصّاد

صالح بن عبد الجليـــل : ١٨، ١٧٠

صالح بن عبد الوهـــاب : ٦٠، ٨١، ١٧٥

صالـح المنذري : ١٣٠

الصّلحـــي : ١٥٥

الصّولـــي : ٣٢، ٧٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حرف الطاء

طاهر بن الحسين : ٢٠٣
طاهر بن عبد الله : ٥٤
الطبري : ٩٩ — ١١٩
طل : ١٦٤

حرف الظاء

ظلوم : ١٢٧

حرف العين

ابن عائشة : ٤٩
عائشة بنت المعتصم : ١٦٣
عاتكة بنت شهدة : ١٨٠
العباسة (أخت الرشيد) : ٧٧، ٩٩، ١٦٥
العباس بن الأحنف : ١٥٣، ١٥٤، ١٦٣
العباس بن رستم : ١٤٦
أبو العباس بن عمار : ١٤٦
العباس بن المأمون : ١٠٢، ١٠٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العباس بن محمد : ٦٢
عبدة صاحبة بشّار : ١٥٤
عبدة خادمة رابعة العدويّة :: ١٧١، ١٧٢
عبدة امرأة هشام : ٧٤
عبد العزيز بن عمران : ٥٧
عبدة بنت أبي كلاب : ١٧٢
عبد الله : ١٢٥
أبو عبد الله بن حمدون : ١٦
عبد الله بن سهل : ٧٤
عبد الله بن سوار ميمون : ١٢
عبد الله بن صالح : ١٠٢
عبد الله بن العباس بن الرّبيع : ١٨٣
عبد الله بن العباس الربيعي :: ٥١، ٩١، ١٣٤، ١٧٥، ١٧٧
عبد الله بن العباس الصولي : ٣٩
عبد الله بن طاهر (أبو العباس) : ٨٨، ١٠٩، ١٥٠، ١٧٥
عبد الله بن عجلان : ٢٠٥
عبد الله بن مالك : ١١٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عبد الله بن مالك الخزاعـــي : ٨٤

عبد الله بن محمد بن يسيـــر : ١٣٩

عبد الله بن يحيى (ابن كناسـة) : ١٥٨

أبو عبد الله اليوسفـــي : ١٠٠

عبد الملك بن أبـــان : ٧٧، ١١٠

عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الأصمعـــي : ٢٣، ٢٤، ٣٧، ٣٨، ٤٠، ٤٥، ٥٢، ٧٩، ١١١، ١٤٥ .

عبد الوهـــاب الثقفي : ١١٠

أبو العبر الهاشمـــي : ١١٣

عبيدة الطّنبوريّـــة : ١٧٦

أبو عبيـــدة : ٩٣

عبيدالله : ١٢٥

أبو عبيد اللـــه : ٧

عبيد الله بن طاهر الخزاعـــي : ٨٩، ١٣٢، ١٧٦

أبو العتاهيـــة : ٨٤، ٨٥، ١٥٤، ١٦٥، ١٦٦

عتبـــة : ٨٤، ٨٥، ١٢٧، ١٥٤

أبو عدنـــان : ٢٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عروة بن حـــزام : ٢٠٥

عربـــــب : ٥٣، ٧٦، ٨٠، ٨٤، ٩٢، ١١٠، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٧، ١٤٦، ١٥٣، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٧٥، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٣، ٢٠٢

عـــزة : ٢٠٥

عسالـــج : ٣١، ٥١، ٩١، ١٣٤

عصم بن وهب بن ابراهيم (أبو الشبل) : ١٥٠، ١٥١، ١٥٥

عفـــراء : ٢٠٥

عقيـــد : ١٣٢، ١٨٤

العـــلاف : ٢٦

علي بن بربهة الهاشمـــي : ١٢٧

علي بن الجهـــم : ٤٠، ٥١، ٥٥، ٦٥، ٧١، ٧٢، ٧٣، ١٠٩، ١٣١، ١٤٩، ١٩٢ .

علي بن الحسيـــن : ١٧٩

علي بن الحسين بن علي المسعـــودى : ٩، ١٨، ٦٢، ٨٤، ٩٧، ١٠٧، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢ .

علي بن حمزة الكسائـــي : ٢٣

أبو علي الرشيـــد : ٩٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علي بن عبد الله بن سيف (علوية) : ٩١ ، ١٧٧ ، ١٨٠

علي بن عيسى : ٦٢ ، ١٢٤ ، ١٩٥

علي بن محمد : ٦٥ ، ٧٠ ، ١٠٤

علي بن محمد بن سليمان : ٩٧

علي بن محمد الشابشتي : ١١ ، ١٥

عليّة بنت المهدى : ٣٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٨٤ ، ٨٩ ، ١٠٣ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٦٣ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٢١١ .

علي بن موسى الرّضا : ٩

علي بن هشام : ٦٧ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١٣٣ ، ١٧٤ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

علي بن يحيى : ١٨٠

عمران بن مهران : ١٦٩ ، ٢٠٤

عمر بن شبّه : ١٧٧

عمر بن الفرخان (أبو حفص الطبرى) : ٢٠ ، ٢١

عمروبن بانة : ٥٦ ، ١٣٦

عمروبن بحر (الجاحظ) : ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٨ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٧ ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩٤، ٩٥، ١٠٠، ١٠٨، ١١٥، ١١٦،
١١٧، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٤، ١٣٥،
١٣٦، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩،
١٩٠، ١٩١، ١٩٣، ٢٠٤، ٢٠٥،
٢٠٦ .

عمرو بن عبيد : ١٨

أبو عمرو بن العلاء المازني : ٥٢

عمرو بن سعدة : ٣٥، ٦٥، ٦٦، ٦٨، ٦٩، ١٦٨

عمرو الوراق : ٣٦، ٤٤، ١٤٧

عمير : ٣١

عنان (جنان) : ٥٣، ٥٨، ٧٧، ١١٠، ١٣٨، ١٤٥،
١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٤ .

أبو عيسى الرشيد : ٥١، ٩١، ١١٠، ١٣٠، ١٧٥ .

أبو عيسى بن المتوكل : ١٧٩

عيسى بن موسى : ٨، ٦١، ٩٦، ٩٧، ٢١٠

أبو العيناء : ١٤٦، ١٤٨

أبو عيينة بن محمد المهلبي : ١٧٣

حرف الغين

الغمر بن ضرار : ٢٠٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حـــرف الفـــاء

فاطمة الزّهـــراء : ٧، ١١٢، ١٩٤

فاطمة بنت محمد بن عمران الكاتـــب : ٧٢

فاطمة بنت محمد بنت قحطبة (زوج يحيى البرمكـــي) : ١٢٥، ١٦٨

أبو الفرج الاصْفهانـــي : ٥٣

فرحـــة : ٧٣

فريـــــدة : ٥٥، ٧٥، ٩٠، ١٣١، ١٣٧، ١٨١،

فضل جارية العبـــدى : ٣١

فضل جارية المتوكـــل : ٨٣، ٩٢، ١٢٧، ١٤٦، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٥، ١٥٦، ٢٠٠ .

الفضل بن الرّبيـــع : ٥٩، ٦٢، ١١٨، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٧٥،

الفضل بن سهـــل : ٨، ١٢

الفضل بن العبّاس بن المأمـــون : ١٥٦، ١٥٧

الفضل بن عبد الصّمد الرّقاشـــي : ٣٦، ٤٤، ١٤٧

الفضل بن مروان : ٨٠

الفضل بن يحيى البرمكـــي : ١٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قليـــــــح : ١٧٤

حـرف القـاف

أبو قابوس النّصراني : ١٣

القاسم بن الرّشيـــــد : ٧٨

القاسم بن عبد الله الحرانـــي : ٩٢

قبيحـــــة : ٧٢، ٧٤، ١٠٦، ١٠٨، ١٥٠، ١٥٣.

قثـــــم : ١٢٥

قحطبة بن حميد بن قحطبـــــة : ١٠٢

قرارىـــــط : ٥٥

قسطنطينيّـــــة : ١٢٧

قلـــــم : ٦٠، ٨١، ١٧٥

قيس بن ذريـــــح : ٢٠٥

حـــرف الكاف

كثيّـــــر : ٢٠٥

كلثوم بن عمرو العتابـــــي : ٧٥

كنـــــوز : ٧٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حـــرف الـــلام

لبانة بنت ربطـــــة : ٦٣

لبنـــــى : ٢٠٥

اللاحقـــــي : ٧٣

ليث بن زيـــاد : ١٣٢

الليث بن سعـــــد : ٩٦

ليلـــــى : ٢٠٥

حـــرف الميـــم

المأمـــــون : ٧، ٨، ٩، ١٣، ١٥، ١٧، ٢٠، ٢١، ٢٤، ٤٣، ٤٧، ٥٤، ٥٨، ٥٩، ٦١، ٦٢، ٦٦، ٦٨، ٧٠، ٧٤، ٧٥، ٨١، ٨٦، ٨٨، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٧، ١٠٨، ١١٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٩، ١٥٢، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٢، ١٦٥، ١٦٦، ١٧٦، ١٧٨، ١٨٢، ١٨٤، ١٩٥، ١٩٧، ٢٠٠، ٢١٠ .

هـــــاردة : ١٣٤، ١٥٣، ١٣٩

مالك بن أنـــــس : ٩٦

مالك بن دينـــــار : ٩٣، ٩٤

الماوردى : ٦٨، ٧٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبرد أبو العبّاس : ٨٩

المبرّد بن يزيد : ٨٤

المتوكّل : ٩، ١١، ١٣، ١٤، ١٦، ١٨، ٢١، ٣٤، ٦٩، ٧١، ٧٢، ٧٤، ٨٣، ٨٧، ٨٩، ١٠٦، ١٠٨، ١٠٨، ١١٠، ١١١، ١٣١، ١٣٢، ١٣٦، ١٤٦، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٣، ١٦٣، ١٨٣.

متيّم : ٣١، ٦١، ٦٦، ٦٧، ٧٥، ٧٨، ٩٠، ١٠٨، ١١٠، ١٣٣، ١٧٤، ١٧٧، ١٧٨، ٣١، ٦١، ٦٦، ٦٧، ٧٥، ٧٨، ٩٠، ٩٠، ١٠٨، ١١٠، ١٣٣، ١٧٤، ١٧٧، ١٧٨، ١٨١، ٢٠٢، ٢٠٣.

محبوبة : ٧١، ١٠٩، ١١١، ١٣١، ١٣٢، ١٤٦، ١٥٠.

محمد بن ابراهيم الفزارى : ١٩

محمد بن ابراهيم قريض : ١٨٠

محمد بن اسحاق بن يحيى الوشاء : ٧

محمد بن اسماعيل بن موسى الهادى : ١٨٤

محمد بن جبير : ٩١

محمد بن جعفر النحوى : ٤٤

محمد بن الحارث بن بسخنر : ٩١، ٧٧، ١٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محمد بن حامـــد : ٢٠٢،١٣٠

محمد بن الحسن الكاتـــب : ٨٧

محمد بن الحسيـــن : ١٩٤،١١٢

محمد بن محمد الحمرانـــي : ١٨

محمد بن داوود الجـــرّاح : ١٤٦،٥٣

محمد بن راشـــد : ٨١

محمد بن سلاّم الجمحـــي : ٤٦،٤٢،٣٨

محمد بن سليمـــان : ١٨

محمد بن شاكـــر : ٢١

محمد بن صالـــح : ١١٠

محمد بن صبيح (ابن السمّاك) : ١٦٠،١٤١

محمد بن عبد الله المعروف بالعتبي : ١٩١،٣٣،٣٢

محمد بن علي بن طاهر بن الحسين : ٨٨

محمد بن علي بن عثمـــان : ١٦٤،١٥٨

محمد بن عمـــارة : ١٣٣

محمد بن عمرو بن عطاء بن ربّان (الجمّـــاز) : ٦٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محمد بن عمرو بن سعـــــدة : ٧٢

محمد بن كناســـة : ٤٩

محمد بن المستنيـــر : ٢٣

محمد بن موسى الخوارزمـــي : ٢١، ٢٨

محمد بن وهيـــــب : ٤٤

محمد بن يزيد من بني سامـــــة من لؤى : ٨١

محمود الوراق : ٨٥

مخارق بن يحيـــى بن نادوس الجزّار : ٨٩، ٩١، ١٧٤، ١٨٠، ١٨٤ .

مراجـــــل : ١٣٩

المراكبـــــي : ١٣٠

مروان بن أبي حفصـــــة : ٦٢، ١٦٥

مروان بن محمـــــد : ٦٣، ١١٨، ١٢٥ .

مريم البصريـــــة : ١٤٢، ٢٠٧

مزنة زوج مروان بن محمـــــد : ٦٣، ١٠١، ١١٨، ١٢٥

المستحسنـــــة : ٧٣

أبو المستهـــــل : ١٥١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مسلمة بن مسلمة : ٩٥

مسلم بن الوليد : ١٢٣

مصابيح : ١٥٧، ٢٠٣

مصعب بن ثابت : ١١٢

مطيع بن اياس الكناني : ٤٩، ٦٨، ٩٢، ١٠٤، ١١٣

ابن المعتز : ٨١

أم المعتز : ٩٩

المعتز بن المتوكل : ١٠٨، ١٧٦

المعتصم : ٩، ١٣، ٦١، ٧٠، ٩٠، ٩١، ١٠٦، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٧، ١٣٩، ١٥١، ١٨٤ .

المعتمد : ٥٦، ١٨٠

ابن المقفع : ١٩، ٢٠، ١١٣، ١٨٥، ١٨٦، ١٩٦ .

مكونة : ٤٢، ٤٤، ١٣٩ .

ابن مكي : ١٧٧

ملح العطارة : ١٦٣، ١٨٣

المنصور : ١٠، ١١، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢٤، ٢٧، ٥٤، ٩٦، ٩٧، ١٠٤، ١١٢، ١١٣، ١٢٧، ١٣٧، ١٣٨، ١٦٨، ١٩٤، ١٩٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنصور بن زيـــاد : ١١١

منصور بن المهـــدى : ١٥١

منصور النمـــرى : ٧٥

المهـــدى : ٧، ٨، ١٢، ١٧، ١٨، ٢٧، ٤٥، ٦١، ٦٢، ٦٥، ٧٠، ٧٣، ٨٥، ٩٣، ٩٤، ٩٨، ١٠١، ١٠٤، ١٠٧، ١١١، ١١٣، ١١٨، ١٢٢، ١٣٣، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٠، ١٥٢، ١٥٣، ١٦١، ١٦٣، ٢٠١، ٢٠٤، ٢١٠.

مونســـة : ٧٥، ٧٨، ١٠٨

مونـــس : ٨٨

أم موسى الحميريّـــة : ٩٧، ١٣٨

موسى صالح بن الرشيـــد : ١٣٢

موسى بن علي بن الحسين بن أبـــي طالـــب : ١٠٤

موسى بن مهـــران : ١١٢

ميمـــون بن هارون : ١٦٤

حـــرف النّـون

النّاطفـــي : ٥٣، ١٣٨، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨.

ثبـــت : ١٣٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ندمان : ١٠٨
ابن النديم : ٢٦
نصر (جارية) : ١٥٥
نصر بن السندى بن شاهك : ٢٧
النصيب : ١٦٥
نعم : ١٧٦
النميرى : ١٥٢
أبو نواس : ٤٨، ٥٥، ٥٨، ٥٩، ٧٧، ١١٠، ١٣٨، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٤، ١٦٣.
نيران : ١٣٣

حرف الهاء

الهادى : ٨، ٩٩، ١٠٣، ١٠٤، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٧، ٢١٠،
هارون بن عبد الملك بن المأمون : ٤٥
هبة الله بن ابراهيم المهدى : ١٣١
هشام المكفوف : ١٥٥
الهشامي : ٥٦، ٦٦، ٧٥، ٧٨، ١٧٨، ١٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هنـــد : ٢٠٥

هيلانـــة : ١٥٢

حـــرف الواو

الواثـــق : ٢٤، ٥٦، ٦٠، ٧٥، ٧٨، ٨١، ١٠٨، ١٣٠، ١٣١، ١٣٤، ١٣٧، ١٧٥، ١٨١، ٢٠١.

واصل بن عطـــاء : ٩٣، ٩٦

ابن الوزيـــر : ٢٣

وشيكـــة : ٨٦

وصيـــف : ١٣١

الوضين بن العطـــاء : ١٠٤

حـــرف الياء

يحيى بن أكثـــم : ٢٤، ١٠٢، ١٣٩.

يحيى بن البطريـــق (أبو زكريّـــاء) : ٢٠، ٢١.

يحيى بن المحســـن : ١١٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يحيى بن خالد : ١٢، ٢٠، ٢٤، ٢٥، ٦٠، ٨٠، ٨١، ٨٧، ٨٨، ١١٨، ١٢٠، ١٢٣، ١٣٥، ١٣٤، ١٣٥، ١٤٥، ١٥٣، ١٥٤، ١٦٨، ١٧٥، ١٧٦، ١٩٨ .

يحيى بن زياد : ١١٣

يزيد بن حوراء : ٨٥

أبو يزيد الرياحي : ١٦٧

يزيد بن المهلبي : ١٠٨، ١٠٩

اليزيدى : ١٠٧

يعقوب : ٧

يعقوب بن اسحاق الكندى : ٢١

يعقوب بن بيان : ١٦١، ١٧٩

يعقوب بن المهدى : ١٨٣

اليعقوبي : ٧٠

يوحنا بن ماسويه : ٢٧، ٧٧

أبو يوسف (القاضي) : ١٠٠

يوسف بن الدّاية : ٦٩، ٧٣، ١٦٣

يوسف بن عمرو بن بانة : ١٦٣

يوسف بن يعقوب : ٨٠، ١٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس المصادر والمراجع

أولا : المصادر :

- أبو نواس في تاريخه وشعره ومجانه له وعتبه ومجونه ،ابن منظور المصرى ،قدّم له وأشرف على تصحيحه وتقسيمه وتبويبه عمر أبو النصر، ١٩٧٥ ،دار الجيل / بيروت .
- أحكام النساء ،أبو الفرج ابن الجوزى (ت: ٥٩٧) ،الطبعة الاولى ، ١٤٠٥-١٩٨٥ دار الكتب العلمية / بيروت .
- أخبار أبي نواس ،أبو هفان ؛ عبد الله بن أحمد بن حرب المهزمي ،تحقيق عبد الستار أحمد فراج ،دار مصر للطباعة (دون تاريخ) .
- أخبار الأذكياء ،أبو الفرج ابن الجوزى (ت: ٥١٠هـ) ،تحقيق مرسي الخولي ، ١٩٧٠ .
- أخبار الظرّاف والمتماجنين ؛ عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الله ابن الجوزى (ت: ٥٩٧) ،تقديم وتعليق محمد بحر العلوم، الطبعة الثانية ، ١٣٨٦ ، ١٩٦٧ ،مطبعة العربي الحديثة / النجف ،منشورات المكتبة الحيدرية النجف الاشرف .
- أخبار العلماء بأخبار الحكماء ،جمال الدين أبي الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف القفطي ،الطبعة الأولى ، ١٣٢٦هـ ،مصر .
- الأدب الكبير ،ابن المقفع، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م ،دار الجيل / بيروت .
- أدب الكتّاب ،أبو بكر: محمد بن يحيى الصولي ، عني بنسخه وتصحيحه وتعليق حواشيه محمد بهجة الاثرى ،ونظر فيه محمود شكرى الألوسي / بيروت/ لبنان (دون تاريخ) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم من كتاب الاوراق ،أبو بكر محمد بن يحيى الصولي (ت: ٣٣٥هـ) ،عني بنشره ج . هيورث.د.ن .، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩ - ١٩٧٩ ،دار المسيرة / بيروت .

- إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس،الامام محمد المعروف بديباب الأتليدي ، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده / مصر (دون تاريخ) .

- الاغاني ،أبو الفرج الاصفهاني (ت: ٣٥٦هـ) ،تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار الثقافة / بيروت .

- نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية .

- دار الثقافة / بيروت .

- هذبه ابن واصل الحموي ،طبع بالقاهرة ، شركة الاعلانات الشرقية .

- الامالي : أبو علي : اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت: ٣٥٦هـ) ، دار الكتاب العربي، بيروت/لبنان(دون تاريخ) .

- الامالي في المشكلات القرآنية والاحاديث النبوية ،ابو القاسم: عبد الرحمن بن القاسم الزجاج ،دار الكتاب العربي / بيروت/ لبنان . (دون تاريخ)

- الامتاع والمؤانسة ،أبو حيان التوحيدي ، صححه وضبطه وشرح غريبه أحمد أمين وأحمد الزين ،منشورات دار الحياة/ بيروت . (دون تاريخ) .

- البخلاء ،أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ،حقق نصّه وعلق عليه طه الحاجري ، ١٩٦٣ ،دار المعارف / مصر .

- البصائر والذخائر ،أبو حيان التوحيدي ،عني بتحقيقه والتعليق عليه د . ابراهيم الكيلاني ،مكتبة أطلس ومطبعة الانشاء/ دمشق . (دون تاريخ)

- بهجة المجالس وشحذ الذاهن والهاجس،ابوعمر: يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ) ،تحقيق محمد مرسي الخولي ، دار الكتب العلمية ،بيروت / لبنان . (دون تاريخ) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- البيان والتبيين ،ابوعثمان عمروبن بحر الجاحظ (ت: ٢٥٥) ،تحقيق وشـــرح عبد السلام هارون ،الطبعة الثانية ، ١٣٨٠هـ، ١٩٦٠م. مكتبة الخانجي/ مصـــر .
- دار الكتب العلمية ،بيروت / لبنـان . (دون تاريخ)
- التاج في أخلاق الملوك/ابوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ،تحقيق احمد زكـــي باشا ،الطبعةالاولى ، ١٣٣٢ - ١٩١٤ ، القاهـــرة .
- تاج العروس من جواهر القاموس،السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدى ،تحقيق د . حسين نصار،مراجعة د . جميل سعيد وعبد الستار احمد فراج،١٩٦٩ الكويـــت .
- تاريخ بغداد ،الخطيب البغدادى (ت: ٤٦٣هـ) ،الطبعة الاولى ، ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م. مكتبة الخانجي ،القاهرة والمكتبة العربية / بغـداد .
- تاريخ الخلفاء ،جلال الدين السيوطي ، (ت: ٩١١هـ) ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . (دون تاريخ)
- تاريخ الرسل والملوك ،أبو جعفر: محمد بن جرير الطبرى (ت: ٣١٠هـ) ،تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم ،دار المعارف/ مصر ،(دون تاريخ)
- تاريخ اليعقوبي ،احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي ، دار صادر / بيروت . (دون تاريخ)
- تحفة المجالس ونزهة المجالس، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت: ٩١١هـ) عني بتصحيحه محمد بدرالدين الحلبي ،الطبعة الاولى ، ١٩٠٨ ،مطبعة السعادة / مصـــر .
- تزيين الاسواق بتفصيل أشواق العشّاق ،داوود الانطاكي المعروف بالأكمه ، ١٣٢٨ ، ١٩١٠م ،المطبعة الازهرية المصريـــة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- التوفيق للتلفيق ،أبو منصور :عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي (ت: ٤٢٩هـ) ،حققه وعلق عليه ابراهيم صالح ، ١٤٠٣ - ١٩٨٣ /دمشق .

- ثمرات الاوراق في المحاضرات،تقي الدين ابي بكر علي بن محمد بن حجة الحموى القادرى الحنفي ،شرحه وضبطه د . مفيد محمد قميحة ، الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م. دار الكتب العلمية / بيروت - لبنان .

- الجماهر في معرفة الجواهر ،أبو الريحان : محمد بن احمد البيروني (ت: ٤٢٣هـ) الطبعة الاولى ١٣٥٥هـ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية/ مطبعة حيدر آباد الدكن .

- الحدائق الغناء في أخبار النساء ،ابوالحسن : علي بن محمد المعافري المالقي ، (ت: ٦٠٥هـ) ،تحقيق وتقديم د . عائدة الطيبي ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م. الدار العربية للكتاب ،ليبيا / تونس .

- الحيوان ،أبو عثمان ،عمرو بن بحر الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) ،تحقيق وشرح عبد السلام هارون ،مكتبة مصطفى الحلبي .

- خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك ،عبد الرحمن سنيط قنيتو الاربلي (ت: ٧١٧هـ) ،وقف على طبعه وتصحيحه مكي السيد جاسم - بغداد (دون تاريخ) .

- الديارات،ابوالحسن : علي بن محمد المعروف بالشابشتي ، (ت: ٣٨٨هـ) ، تحقيق كوركيس عواد ،الطبعة الثانية ، ١٣٨٦ - ١٩٦٦ ، مطبعة المعارف / بغداد
منشورات مكتبة المثنى / بغداد .

- الذخائر والتحف،الرشيد بن الزبير ،حققه عن نسخة فريدة د . محمد حميد الله قدّم له وراجعه د . صلاح الدين المنجد ، ١٩٥٩ ،الكويت .

- ذم الهوى ،أبو الفرج :عبد الرحمن ابن الجوزي ،تحقيق مصطفى عبد الواحد ، مراجعة محمد الغزالي ،الطبعة الاولى ١٣٨١هـ -١٩٦٢ ،دار الكتب الحديثة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ذيل زهر الآداب أو جمع الجواهر في الملح والنوادر، ابو اسحاق اسماعيل ابن علي الحصري القيرواني (ت: ٤٥٣هـ)، ١٣٥٣هـ المطبعة الرحمانية / مصر .
- رحلة ابن جبير، ابن جبير، ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م. دار صادر للطباعة والنشر دار بيروت للطباعة والنشر / بيروت .
- رسائل البلغاء /يتيمة السلطان، ابن المقفع، اختيار محمد كرد علي، الطبعة الثالثة ١٣٦٥ - ١٩٤٦، لجنة التأليف والترجمة / القاهرة .
- رسائل الجاحظ:
  - البغال
  - الجواري والغلمان
  - القيان

  أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، ١٣٨٤، ١٩٦٥، مكتبة الخانجي / القاهرة .
  - النساء : جمع ونشر حسن السندوبي، الطبعة الاولى، ١٣٥٢ - ١٩٣٣، المطبعة الرحمانية / مصر .
- الرسالة القشيرية في علم التصوف، ابوالقاسم: عبد الكريم بن هوازن القشيري (ت: ٤٦٥هـ)، دار الكتاب العربي / بيروت - لبنان . (دون تاريخ)
- رسوم دار الخلافة، ابوالحسن: هلال بن الحسن الصابئ (ت: ٤٤٨هـ)، عني بتحقيقه والتعليق عليه ونشره ميخائيل عواد، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م. مطبعة العاني / بغداد .
- الروض الفائق في المواعظ والرقائق، الشيخ شعيب الحريفيش، ١٩٧٣، المكتبة الثقافية / بيروت - لبنان .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- روضة المحبين ونزهة المشتاقين / ابن قيم الجوزية / فسر غريبه وراجعه صابر يوسف ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع / بيروت ، لبنان .

- زهر الآداب وثمر الالباب ، ابو اسحاق : ابراهيم بن علي الحصرى القيرواني (ت: ٤٥٣هـ) ، مفصل ومضبوط ومشروح بقلم د . زكي المبارك ، الطبعة الثالثة ، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م. مطبعة السعادة / مصر .
حققه وزاد في تفصيله وضبطه وشرحه محمد محي الدين عبد الحميد .

- صبح الاعشى في صناعة الانشا ، ابوالعباس: احمد بن علي القلقشندي (ت: ٨٢١هـ) ، نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية ومذيلة بتصويبات واستدراكات وفهارس تفصيلية مع دراسة مراقبة وزارة الثقافة والارشاد القومي / المؤسسة المصرية العامة للطباعة والتأليف والنشر / مطابع كوستاتسوماتسي / القاهرة . (دون تاريخ)

- صفوة الصفوة ، ابوالفرج : عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ابن الجوزى (ت: ٥٩٧هـ) ، الطبعة الاولى ١٣٥٦هـ/ مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد / الهند .

- طبقات الشعراء ، ابن المعتز ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، دار المعارف / مصر . (دون تاريخ)

- طبقات الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي (ت: ٢٣١هـ) ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م. دار الكتب العلمية / بيروت - لبنان .
مع تمهيد للناشر الالماني جوزف هل مع دراسة عن المؤلف والكتاب للمرحوم الاستاذ طه احمد ابراهيم .

- الظراف والمتماجنين ، عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الله ابن الجوزى ، تقديم وتعليق محمد بحر العلوم ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٦-١٩٦٧ ، منشورات المكتبة الحيدرية / النجف .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- العقد الفريد ،أبو عمر: احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي (ت: ٣٢٨هـ) شرحه وضبطه وصححه ورتب فهارسه ،احمد امين ،احمد الزين ،ابراهيم الابياري ،١٣٥٩ - ١٩٤٠ / القاهرة .

- عقلاء المجانين ،الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري (ت٤٠٦هـ) ،قدمه وعلق عليه محمد بحر العلوم ،الطبعة الثانية ،١٣٨٧ - ١٩٦٨ ،المكتبة الحيدرية ومطبعتها / النجف .

- عيون الاخبار ،أبو محمد : عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ) الطبعة الاولى ١٣٤٩هـ - ١٩٣٠ / مطبعة دار الكتب / القاهرة .

- الفاضل في صفة الادب الكامل ،محمد بن اسحاق النحوي الوشاء (ت: ٣٢٥هـ) تحقيق يوسف يعقوب مسكوني ،جمعه ووضع فهارسه حكمت رحماني ،١٣٩٧-١٩٧٧ ،بغداد ،دار الحرية للطباعة .

- الفخري في الآداب السلطانية ،محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي راجعه ونقحه محمد عوض ابراهيم وعلي الجارم ،١٩٢٣ / مطبعة دارالمعارف / مصر .

- الفرج بعد الشدة ،ابو علي : الحسن بن علي التنوخي (ت: ٣٨٤) ،تحقيق عبود الشالجي ،دار صادر / بيروت . (دون تاريخ)

- الفهرست /ابن النديم / دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت - لبنان ، (دون تاريخ) .

- قطب السرور في أوصاف الانبذة والخمور (ت: ٤١٧) ،تصنيف ابو اسحاق ابراهيم المعروف بالرفيق ،بالنديم ،تحقيق احمد الجندي ،١٩٦٩ ، مطبوعات مجمع اللغة العربية / دمشق .

- المختار من قطب السرور في أوصاف الانبذة والخمور ،اختيار علي نورالدين المسعودي ،حققه وعارضه بأصوله عبد الحفيظ منصور ،١٩٧٦ ،نشر مؤسسات عبد الكريم عبد الله / تونس .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد الى مقام التوحيد ،أبو طالب :محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي (ت: ٣٨٦هـ) ، ١٣٨١-١٩٦١ ،مطبعة البابي الحلبي / مصر .

- الكامل في التاريخ ،عزالدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الاثير (ت: ٦٣٠هـ) ، ١٣٨٥-١٩٦٥ دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر .

- كتاب بغداد ،ابو الفضل احمد بن طاهر (ت: ٢٨٠هـ) الكاتب المعروف بابن طيفور ،عني بنشره وراجع أصله ووقف على طبعه السيد عزت العطار الحسيني . (دون تاريخ)

- كشف المحجوب،الهجويرى ،دراسة وترجمة وتعليق د . اسعاد عبد الهادي قنديل ،راجع الترجمة د . أمين عبد المجيد بدوي ، ١٩٨٠ ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر .

- لسان العرب/ ابوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري ، (ت: ٧١١هـ) ، ١٣٧٤ - ١٩٥٥ ،دار صادر / بيروت .

- لطائف اللطف : ابو منصور عبد الملك بن محمد النيسابورى الثعالبي (ت: ٤٢٩) تحقيق د . عمر الاسعد ،الطبعة الاولى ، ١٤٠٠ - ١٩٨٠ ،دار المسيرة / بيروت .

- المحاسن والاضداد ،ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت: ٢٥٥) ، ١٣٥٠-١٩٣٢ ،مطبعة المعاهد / القاهرة .

- المحاسن والمساوئ ،ابراهيم بن محمد البيهقي ، ١٣٨٠-١٩٦٠ ، دار صادر للطباعة والنشر / دار بيروت للطباعة والنشر .

- محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء ،ابو القاسم حسين بن محمد الراغب الاصبهاني ، ١٩٦١ ،دار مكتبة الحياة / بيروت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان ، عفيف الدين عبد الله ابن أسعد اليافعي اليمني (ت٧٦٨هـ) ، تحقيق عبد الله الجبوري ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٥ ، ١٩٨٤ ، مؤسسة الرسالة - بيروت .

- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ابوالحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت: ٣٤٦هـ) ، دار الاندلس للطباعة والنشر / بيروت (دون تاريخ)

- المستطرف في كل فن مستظرف ، شهاب الدين احمد الابشيهي ، حققه وقابله على عدة نسخ عبد الله أنيس الطباع ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١ ، دار القلم/لبنان بيروت .

- وبهامشه كتاب ثمرات الاوراق ، الطبعة الاخيرة ، ١٣٧١ ، ١٩٥٢ ، دار احياء التراث العربي / بيروت - لبنان .

- المستظرف من أخبار الجواري ، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٣ ، دار الكتاب الجديد / بيروت .

- مشاكلة الناس لزمانهم ، احمد بن اسحاق اليعقوبي (ت: ٢٨٤) ، تحقيق وليم ملورد ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٠ ، دار الكتاب الجديد ، بيروت/لبنان .

- مطالع البدور في منازل السرور ، علاء الدين علي بن عبد الله البهائي الغزولي ، الطبعة الاولى ١٣٠٠هـ ، مطبعة دار الوطن / القاهرة .

- الموشى أو الظرف والظرفاء ، ابو الطيب محمد بن اسحاق بن يحيى الوشاء (ت: ٣٢٥هـ) ، تحقيق كمال مصطفى ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٣ ، ١٩٥٣ / القاهرة .

- النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة ، جمال الدين ابي المحاسن يوسف ابن التغربردي الاتابكي (ت: ٨٧٤هـ) ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر . (دون تاريخ)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- نزهة الجلساء في أشعار النساء، تأليف الحافظ جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، الطبعة الثانية، ١٩٧٨ دار الكتاب الجديد، بيروت / لبنان.

- نساء الخلفاء المسمى جهات الائمة من الحرائر والاماء، تاج الدين أبي طالب علي بن أنجبي المعروف بابن الساعي (ت: ٦٧٤هـ)، حققه وعلق عليه د. مصطفى جواد، دار المعارف / مصر (دون تاريخ).

- نهاية الارب في فنون الادب، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري (ت: ٧٣٢هـ)، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، وزارة الثقافة والارشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. (دون تاريخ)

- الهفوات النادرة، تأليف غرس النعمة: ابوالحسن محمد بن هلال الصابئ (ت: ٤٨٠هـ)، حققه وعلق عليه وقدم له د. صالح الاشقر، الطبعة الاولى ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

- الورقة، ابو عبد الله: محمد بن داوود الجراح، تحقيق د. عبد الوهاب عزام و د. عبد الستار احمد فراج، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر. (دون تاريخ).

- الوزراء والكتّاب، ابو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري (ت: ٣٣١هـ)، حققه ووضع فهارسه مصطفى السقا، ابراهيم الابياري، عبد الحفيظ شلبي الطبعة الاولى، ١٣٥٧ - ١٩٣٨، مطبعة البابي الحلبي واولاده / القاهرة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا : المراجـــع :

- أثر المرأة السياسي والاجتماعي في العصر العباسي الاول ،رائدة حسام الدين ١٩٤٦ / القاهـرة .
- أدب العرب ،مارون عبود ، ١٩٦٠ ،دار الثقافة / بيـروت.
- أعلام النساء في عالمي العرب والاسلام ،عمر رضا كحالة ،١٣٧٨هـ ١٩٥٩م. المطبعة الهاشمية / دمشـق .
- ألحان الحان ،عبد الرحمن صدقي ، ١٩٥٧ ،دار المعارف / مصـر .
- البرامكة في بلاط الرشيد ،عبد الحليم العباس،مطبعة الجريدة التجاريـة/ القاهرة . (دون تاريخ)
- بلاغة الكتاب في العصر العباسي ،محمد نبيه حجاب ،الطبعة الاولى ،١٣٨٥ ، ١٩٦٥ ،المطبعة الفنية الحديثة .
- بين التصوف والادب ،محمد ابراهيم الجيوشي ،الناشر مكتبة الانجلو المصرية/ القاهـرة . (دون تاريخ)
- بين الخلفاء والخلعاء في العصر العباسي ،د . صلاح الدين المنجـد ، ١٩٥٧ ،دار الحياة / بيروت .
- تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ،د . حسن ابراهيـم حسن ،دار احياء التراث العربي / بيروت . (دون تاريخ)
- تاريخ العرب (مطول) فيليب حتى ،د . ادوارد جورجي ،د . جبرائيل جبـور ، الطبعة الرابعة ،١٩٦٥ .
- جمال المرأة عند العرب ،د . صلاح الدين المنجد ،الطبعة الثانية١٩٦٩ ، دار الكتاب الجديد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الجواري المغنيات / فايد العمروسي ، ١٩٤٥ ، دار المعارف / مصر .
- حضارة الاسلام في دار السلام ، جميل نخلة المحرور ، طبعة منقحة ، ١٩٣٧ ، المطبعة الاميرية / بولاق .
- الخليفة المغني ابراهيم بن المهدي ، بدري محمد فهد ، ١٣٨٦ ، ١٩٦٧ ، مطبعة الارشاد - بغداد .
- دراسات في الادب العربي في العصر العباسي / محمد زغلول سلام / ١٩٧٠ ، منشأة المعارف / الاسكندرية .
- دراسات في تاريخ العرب ، العصر العباسي الاول ، د . السيد عبد العزيز سالم ، ١٣٩٨هـ ، مؤسسة شباب الجامعة / الاسكندرية .
- الدليل الجغرافي العراقي ، د . احمد سوسة ، ١٣٧٩ ، ١٩٦٠ / بغداد .
- رابعة العدوية ، محمود الشرقاوى ، ١٩٧١ ، دار الشعب / القاهرة .
- شخصيات صوفية ، طه عبد الباقي سرور ، الطبعة الاولى ، ١٣٦٨ ، ١٩٤٨ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي / مصر .
- شهيدة العشق الالهي ، رابعة العدوية ، عبد الرحمن بدوى ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٢ ، مكتبة النهضة المصرية / القاهرة .
- ضحى الاسلام ، احمد أمين ، الطبعة الثامنة ، مكتبة النهضة المصرية . (دون تاريخ) .
- طبقات مجتمع بغداد في العصر العباسي الاول ، د . ابراهيم سلمان الكروي الطبعة الاولى ١٤٠٣ - ١٩٨٣ الكويت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الظرفاء والشحاذون في بغداد وباريس،د . صلاح الدين المنجد ، الطبعة الثالثة ١٩٦٩ ، دار الكتاب الجديد / بيروت .
- العصر العباسي الاول،د.شوقي ضيف ،الطبعة الثانية ،منقحة ،دار المعارف / مصر . (دون تاريخ)
- الغزل عند العرب،حسان ابو رحاب ،الطبعة الاولى ،١٣٦٦ ،١٩٤٧ /القاهرة .
- الفن الغنائي عند العرب،نسيب الاختيار،١٩٥٥ ، دار بيروت للطباعة والنشر / بيروت .
- كتّاب النثر ،عبد الحميد الدواخلي ،الطبعة الاولى ،١٣٧٤ ،١٩٥٥ ، دار مصر للطباعة .
- المجتمع العباسي من خلال كتابات الجاحظ،د . محمد عويس،١٩٧٧ ، دار الثقافة للطباعة والنشر / القاهرة .
- مختصر تاريخ العرب ،محمد أمير علي ،ترجمة عفيف البعلبكي ، ١٩٦١ ، دار العلم للملايين / بيروت .
- المرأة العربية في جاهليتها واسلامها ،عبد الله عفيفي ، ١٩٢١ ،القاهرة .
- المغنيات في الادب العربي / عيسى سابا ،دار الثقافة/ بيروت (دون تاريخ)
- المهدى العباسي ثالث الخلفاء العباسيين ،د . علي حسن الخربوطلي ،الدار المصرية للتأليف والترجمة . (دون تاريخ)
- نساء لهن في التاريخ الاسلامي نصيب،د . علي ابراهيم حسن ، ١٩٨١ ، مكتبة النهضة المصرية .
- هارون الرشيد أمير الخلفاء وأجل ملوك الدنيا ،شوقي ابو خليل ،الطبعة الاولى ١٣٩٧ ، ١٩٧٧ ،دار الفكر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهـرس الموضوعـات

الموضـــوع	الصفحـة
١. المقدمـة	١ - ٦
٢. ملامح المجتمع العراقي في العصر العباسي الاول (١٣٢ - ٢٤٧ هـ)	٧ - ٢٨
٣. الفصل الاول : الجمال الانثوى في مقاييس العصـر	
أولا : الجمال الحسـي	٢٩ - ٥٠
ثانيا : الجمال المعنـوى	٥١ - ٦٤
ثالثا : الملابس والتزيّـق	٦٥ - ٧٩
٤. الفصل الثانـي : المرأة والمجتمـع.	
أولا : مجتمع الجواري	٨٠ - ٨٦
ـ مكانة الجواري وأثرهن في المجتمع العباسي	٨٧ - ٩٨
ثانيا : مجتمع الحرائـر	٩٩ - ١٠٥
ثالثا : دور المرأة في الحياة الاجتماعيـة	١٠٦ - ١١٧
رابعا : أثر المرأة في الحياة السياسيـة :	
أ ـ أثر الحرائـر	١١٨ - ١٢٦
ب ـ أثر الجـوارى	١٢٧ - ١٢٨
٥. الفصـل الثالـث : المرأة والادب والفـن	
أولا : حياة المرأة العاطفيـة	١٢٩ - ١٤٠
ـ الحب الالهـي	١٤١ - ١٤٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضـــــوع	الصفحـــة
ثانيا : أدب الجـوارى	١٤٥-١٦٠
ثالثا : أدب الحرائـر	١٦١-١٧٢
رابعا: المرأة والفـن :	
أ - الجـوارى	١٧٣-١٨٢
ب - الحرائـر	١٨٣-١٨٤
٦- الفصل الرابع التقويم الادبـي	١٨٥-٢٠٩
٧. الخاتمـــة	٢١٠-٢١١
٨. الفهـارس العامـــة :	
- فهرس الايات الكريمـة	٢١٢-
- فهرس الاحاديث الشريفة	٢١٢
- فهرس الاشعـــار	٢١٣-٢٢٢
- فهرس الاعـــلام	٢٢٣-٢٥٢
- فهرس المصادر والمراجـع	٢٥٣-٢٦٥
- خلاصة باللغة الانجليزيـة	1 - 2

××××××××××××××××

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ABSTRACT

This study is about the image of women in the Iraqi society the first era of the Abbasid rule, and it is confined to the reflections of feminine life in contemporary artistic prose .

The study consists of a preface, four chapters and a conclusion. In the preface, I tried to give a brief account of the Iraqi society in the foresaid period. The account covered the political, the social and the cultural aspects of life in that society .

In the first chapter, the outlook of contemporaries to feminine beauty, both, physical and moral wes discussed. The chapter also dealt with the ways and means of artificial beauty resorted to by the women of that age .

The second chapter included a detailed discussion respecting the influence of women in the life of the Iraqis the infuence in question included that of free and slave women in the social, political,cultural and other fields .

In the third chapter,I wrote about the sentimental life of women in that age . The unique loyalty of certain women was explained and both kinds of womanly love, divine and human, were treated. I also presented women's preticipations in artistic prose; Verbal and written .

The fourth chapter was devoted to the evaluation of the prose under study . The artistic traits of this prose were presented,despite the diversity of the witers, since this prose was the product of various cotributors .

As usual , the study ended in a conclusion in which I summed up my findings in regard to the image women in the Iragi sociaty during

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

the first Abbasid period . The findings included a summary of all the outstanding features and charactertics of free and slave women in that period as well as an eveluation of contemporary feminine works of literary nature .

==========

==========

==========

==========

======

==

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit